الجزء الثاني

مولود معمري، تيزي–وزو
كلّيّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربيّة وآدابها

مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر
ⵙⵓⵡⴰⵔⵙ ⵏ ⵜⵜⵓⵙⵎⵔⵙⵜ ⵜⵜⴰⵡⵉⵙⵜ ⴳ ⵜⵣⵣⴰⵢⵔ

الملتقى الوطنيّ حول:

المُصطلح والمُصطلحيّة

TERME ET TERMINOLOGIE

2–3 ديسمبر 2014

المُسهِمون في إنجاز الملتقى:

- جامعة تيزي–وزو؛
- مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر؛
- سلطة الضّبط للبريد والمواصلات السّلكيّة واللّاسلكيّة (ARPT)؛
- دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

اللّجنة العلميّة للملتقى:

- د. نصيرة إدير، رئيسة اللّجنة العلميّة؛
- أ. صافية موساوي، عضوا؛
- أ. ياسين بوراس، عضوا؛
- أ. سعيد عامر، عضوا؛
- أ. كاهنة محيوت، عضوا؛
- أ. علجية آيت بوجمعة، عضوا؛
- أ. أمين قادري، عضوا.

II- الورشات

الورشة الأولى

فهرس الورشة الأولى

عنوان المحاضرة واسم صاحبها	الصفحة
المصطلح العربي مشاكل وحلول. ***أ. واضح عبد العزيز، جامعة الجزائر 2***	415
إشكالية المصطلح في لغات التخصص – المصطلحات القانونية أنموذجا– ***أ. كريمة نعلوف، جامعة بجاية***	429
إشكالية المصطلح اللّسانيّ بين الوضع والاستعمال (المعجم الموحّد لمصطلحات التَّواصل اللُّغويّ) نموذجا. ***أ. عبد الحفيظ شريف، جامعة تيزي–وزو.***	443
التعامل مع المصطلح التراثي بين المنهجية والاعتباطية. ***أ. بلقاسم منصوري، جامعة مولود معمري، تيزي–وزو***	459
المصطلح اللّساني العربي إشكالات وحلول. ***أ. تهامي بلعقون، جامعة مولود معمّري تيزي–وزو***	467
مصطلحات إبراهيم بن مراد اللّسانية في المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات ***أ. راضية حجبار– جامعة تيزي–وزو.***	783
ترجمة الكتب العلمية من الانجليزيّة إلى العربيّة– الترجمة التقنيّة وقلّة المصطلحات العربيّة– ***أ. يوسف يحياوي، جامعة بجاية***	501
المضايقات التِّقنيَّة للّغة العربيّة الصّعوبات والحلول ***أ. عبد القادر معبد، جامعة تيزي– وزّو***	517
توليد المصطلح من منظور العلوم المعرفيّة ***أ. نصيرة كتّاب، جامعة مولود معمّري، تيزي–وزو***	541
تقرير الورشة الأولى	555

المصطلح العربي مشاكل وحلول

واضح عبد العزيز
جامعة الجزائر 2

ملخص المداخلة: تهدف هذه المداخلة إلى تشخيص مشاكل المصطلح في الوطن العربي في ظل الفوضى المصطلحية الحالية ومحاولة حصرها ضمن هذه النقاط :

صياغة المصطلح صوغ المصطلح يتم عبر آليات علمية، لكن مع ذلك يعاني المصطلح العربي من اضطرابات كثيرة فأين يكمن الخلل؟.

المصطلح بين الوضع والاستعمال المصطلح مثل الكائن الحي إن حظي بالقبول عاش وإلا كان مصيره الموت، لكن المشكل أن المصطلحيين المنظرين بعيدون عن الواقع اليومي، فهم في أبراجهم العاجية ينظَرون ويخلقون مصطلحات ورقية لا حياة فيها، لكن العامة لا يتقيدون بها إما لغرابتها وإما لأن الزمن تجاوزها فيبتدعون مصطلحات خاصة بهم، ولنا أن نتفحص توصيات المجامع اللغوية بل وحتى اتحاد المجامع اللغوية العربية لنلمس ثنائية المستعمل والمهمل في الميدان.

توحيد المصطلح العربي يعاني المصطلح العربي من تشتت جهود واضعيه، وهذا راجع بالأساس إلى عدم التنسيق بين الأفراد فيما بينهم من ناحية وبين المجامع والمؤسسات الرسمية من ناحية أخرى، مما ينتج لنا عملا مكرورا للمصطلح نفسه.

مقدمة : يهتم الكثير من الدارسين بالمصطلحات فهي مفاتيح العلوم لتعريفها وتحديد مجالاتها ضمن منظومته المصطلحية الخاصة بها..

ومارس القدامى العمل المصطلحي ضمن منهجية محكمة كفوا بها أنفسهم مؤونة التسول المصطلحي.

وإذا كان العالم الغربي المتقدّم الآن يفرض المصطلح ليسمّي به مخترعاته الجديدة أو يعبّر به عمّا يستجدّ من مفاهيم في العلوم[1] نجد أنّ واضع المصطلح العربي يقف محتارا في اللّغة التي وُضع فيها المصطلح واللّغة التي أُخِذ منها، والمفهوم الذي يحمله هذا المصطلح.[2]

المصطلح بين المأمول والواقع

أسباب تعدد المصطلح العربي الفوضى والبلبلة بسبب تعدد المصطلحات والتّسميات للمسمّى الواحد، والتّعصّب الجهوي على حساب التوحيد القومي وما يترتّب عليه من نشوء لغات عربية متباينة في متنها المعجمي حقيقة نقر بها، ويعود ذلك إلى جملة أسباب نورد أهمها في الآتي:

1-**غلبة النزعة الفردية والتفرد على معظم الواضعين:** ذلك بأن الواحد منهم لا يكلف نفسه عناء البحث عن اجتهادات سابقيه، سواء من الأقدمين أو المحدثين أو حتى المعاصرين .فيسارع إلى وضع مصطلح عربي مقابل للمصطلح الأجنبي، فتتعدد المصطلحات المقترحة دونما مسوغ ولا فائدة .بل إن بعضهم يصر إرضاء لنزعة التفرد على وضع مصطلح جديد مقابل المصطلح الأجنبي ولو علم بوجود مصطلح عربي شائع ومقبول.

2-**التعصب القطري؛** ذلك بأن عددا من العلماء والباحثين يتعصبون للمصطلح الموجود في القطر الذي ينتمون إليه حتى وإن كان مصطلح آخر في قطر عربي أو أكثر أدق في الدلالة على المفهوم المراد وأنسب وأوسع انتشارا.

3-**تعدد الجهات الواضعة:** المصطلحات العربية تصدر من جهات متعددة، من مجامع لغوية ومؤسسات علمية ومعاهد مصطلحية وعلماء وأساتذة جامعات وغيرهم.

4-**غياب التعاون بين العلماء والمصطلحيين:** إذ غالبا ما يكون المتخصص في مجال علمي ما غير متمكن من اللغة العربية لظروف التكوين المعروفة، وغالبا ما يكون المتخصص في علم المصطلح غير ملم بالمفهوم العلمي الذي يدل عليه المصطلح الأجنبي.

5-**اختلاف منهجيات وضع المصطلح:** وضعت مجامع اللغة العربية معايير للأولوية في صوغ المصطلح إلا أنها قرارات غير ملزمة، ذلك أن البعض يفضل استعمال المصطلح التراثي مقابلا للمصطلح الأجنبي ما دام موجودا وصالحا لأداء

المفهوم العلمي المحدد، يقدم مصطلحات جديدة ويتوسع البعض في المجاز، ويعمل آخرون بالتعريب اللفظي، ويقبل البعض بالنحت ويرفضه غيرهم...

6- **ازدواجية المصطلح في لغة المصدر:** قد تنجم ازدواجية المصطلح الواحد في اللغة العربية عن ازدواجية المصطلح في لغة المصدر « ...ففي حالة اللغة الإنجليزية مثلا قد يستعمل العلماء الأمريكيون مصطلحا غير الذي يستعمله زملاؤهم البريطانيون للدلالة على المفهوم ذاته. ونذكر المثال التالي: يطلق الفيزيائيون الأمريكيون تعبير (electronic tube) على الشيء الذي يسميه زملاؤهم البريطانيون (electronic valve) ... ولهذا يحصل المترجم العربي الذي يستخدم المصدر الأمريكي على الترجمة العربية : أنبوبة إلكترونية، بينما يتوصل المترجم العربي الذي يعتمد المصدر البريطاني إلى الترجمة العربية : صمام إلكتروني، وهكذا نواجه مصطلحين عربيين للمفهوم الواحد ...[3] »

7-**اختلاف لغات المصدر:** ذلك بأن البعض ينطلق من المصطلح الإنجليزي لكونه أخذ تعليمه باللغة الإنجليزية، بينما ينطلق آخرون من المصطلح الفرنسي للسبب ذاته وينتج عن ذلك طبعا تعدد في المصطلح العربي مقابل مفهوم علمي واحد.

8- **وجود المترادفات في المصطلحات الأجنبية:** ذلك بأن عددا من المفاهيم العلمية وضع لها أكثر من مصطلح في اللغة الواحدة. وإذا تم ترجمة هذه المصطلحات المترادفة، فإن الحصيلة ستكون مصطلحات عربية مترادفة متعددة.

9- اِنصراف الجمهور عن اِجتهادات المجامع وما تقرّره من مسمّيات فصيحة ويعود هذا لغياب مدونة مصطلحية ميدانية تظهر ما هو مستعمل من المهمل من المصطلحات، أو لتأخر وضع المصطلح من قبل الجهات المختصة فتلجئ الحاجة إلى وضع مقابل مصطلحي، والاستعمال هو الحكم على حياة المصطلح من موته.

10-عدم الاستفادة من المصطلحات الجديدة :

إما لعدم اطلاع الجمهور عليها لغياب النشر والإعلام وإما لوجود مصطلحات تفي بالغرض ولا حاجة إلى ما يوضع من جديد.

12- إهمال التّراث المصطلحي في وضع مقابلات فصيحة لألفاظ الحضارة وما نتج عنه من قصور وعجز في مواجهة المصطلحات الوافدة ومقابلتها التّراث المصطلحي العربي، حيث يرى علي القاسمي[4] أنّ إهمال التّراث المصطلحي نتج عن عدة أسباب أهمها:

حالة الإستعجال التي فاجأت روّاد النهضة الفكرية العربية وغمرتهم بسيل جارف من المفاهيم الحضاريّة والعلميّ التقنيّة لم تسمح لهم بالبحث في التّراث عن المصطلحات التي تعبّر عن تلك المفاهيم المستحدثة.

أنّ مصادر المصطلحات التّراثيّة لم تكن في متناول أيدي المثقّفين العرب لأن المصطلحات كانت مبثوثة في كتب التّراث التي لم تكن مطبوعة أو منشورة آنذاك ولم ينشر من كتب التّراث في القرن التّاسع عشر إلاّ العدد القليل منها.

أنّ المصطلحات التّراثيّة لم تكن كلّها سليمة الوضع شائعة الإستعمال، إذ إنّ طائفة منها وُضعت في عُجالة أو نُقلت عن الفارسيّة أو اليونانيّة أو البيزنطيّة.

أنّ التّقدم العلمي فاق بمخترعاته ومبتكراته جميع المنجزات للقرون الماضية وبذلك يجد المصطلحي العربي نفسه عاجزا عن العثور على المصطلحات التّراثيّة التي تعبّر عن المفاهيم الجديدة والحديثة، على الرّغم من أنّه يسعى إلى توليد مصطلحات عربية خالصة للتّعبير عنها.

وهذه الأسباب كلها تنفر الطالب العربي من لغته العربية وتدفعه دفعا للغة أجنبية

<u>نماذج من اختلاف المصطلح</u>

-« ...التهاب اللوزتين (Angine) و(الدفتريا) يحملان اسماً واحدًا هو "خناق " مع أنّ مرض "الدفتريا" أخطر بكثير من التهاب اللوزتين ويتعين تمييزهما لإفادة المستعمل بتلك البيانات .وفي مجال الصوتيات لا يميز بين الحلق والحنجرة والبلعوم وبين اللهاة والحجاب .ولهذا الخلط انعكاسات سلبية على تدريس المادة وكثيراً ما يلجأ

المتعلّمون إلى المصطلح الأجنبي للتمييز بين الأعضاء .إن المصطلح الطبي. يفقد كثيرًا من دقّته في الاستعمال» [5].

- ضبط المصطلح برسمين مغايرين وبمدخلين معجميين مختلفين في المعجم نفسه لاروس المعجم العربي الحديث [6]

الغلفانومتر، الكلفانومترGALVANOMÈTRE نسبة إلى Galvani طبيب وفيزيائي إيطالي(1737-1798)

القاموس الجديد[7] الإيدروجين، الهيدروجين

ــ الأزوت azote بالفرنسية والنتروجين nitrogen بالإنكليزية مصطلحان لمفهوم واحد، لكن الطالب الجزائري يتعامل مع المصطلح الفرنسي الأزوت azote ويحتار عندما يجد حامض النتريك ونترات الصوديوم من أين اشتقا [8]

- فرض كلمات معربة مع وجود المقابل العربي الفصيح من مثيل بزنسة ورسكلة وكوادر وكوابل.

وضع المصطلح اللساني تطورت الدراسات اللغوية في العصر الحديث ــ خاصة في القرن العشرين ــ لتأخذ منحى علميا، وأسفرت ــ عند اللغويين العرب ــ عن أكثر من عشرين مصطلحا عربيا للتعبير عنها بين ترجمات وتعريب[9].

وظهر مع سوسير Saussure (ت 1913) في كتابه Cours de linguistique générale مصطلح Linguistique[10] وهو الدراسة العلمية للغة ونقل العمل إلى العربية بترجمات خمس متباينة في ضبط اسم المؤلف والعنوان والمصطلح خاصة[11].

والغاية من المصطلحات هي تحقيق التواصل وتيسيره بتغليب مبدأ الاستعمال والشيوع وتوصيات مؤتمرات التعريب تسير في هذا الاتجاه من خلال النص على "تفضيل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة كما هو الحال في المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات مثلا الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1989 من خلال اقتراحه مصطلحات لسانية جديدة مكان مصطلحات

شاعت عربياًمثل مقابلة مصطلح Structuralisme وما يتفرع منه من عبارات بلفظ البِنَوِية ومقابلة المصطلح Distribution وما تفرع منه باللفظ العربي استغراق.

ولا شك أن الصيغة المقترحة تطابق قواعد الصرف العربي جملة وتفصيلا ولكن الذي يكتب الانتشار الواسع للمصطلح ليس وجهه اللغوي فحسب بل استعماله من قبل المختصين،[12]

وهكذا "أصبحت المصطلحات مشكلاً قائم الذات عوضاً عن أن تكون مساعداً يقربنا من هذا العلم الدخيل علينا" [13]

آليات وضع المصطلح توصي مؤتمرات التعريب في توصياتها "باستخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقاً للترتيب التالي: التراث فالتوليد وفيه الاشتِقاق، المجاز، التعْريب، الترجمة، النحت.

تعتمد المصطلحية على آليات خمسُ تعد الوسائل الرئيسةَ المعتمَدة في وضع المصطلحات الجديدة وهي

1- **الاشتِقاق:** الاشتقاق أخْذ صيغة من أخرى ويشترَط أن يكون بينهما تناسبٌ في اللفظ والمعنى معاً.

ويعد الاشتقاق من أكثر الآليات المعتمَدة في توليد المصطلح في اللغة العربية بوصفها لغة اشتقاقيةً.

2- **المجاز:** ويقصد به التوسع في المعنى اللغوي لكلمة مّا لتحميلها معنى جديدا، وقد تم اعتماد هذه الآلية في وضع كثير من مصطلحات العلوم الشرعية الإسلامية، ومن أمثلة المصطلحات العربية الموضوعة بهذه الآلية نذكر الصيام والقاطرة،

3 – التعْريب: التعريب هو نقل اللفظ (ومعناه) من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية كما هو دون إحداث أي تغييرٍ فيه (الدخيل)، أو مع إحداث بعض التغيير فيه انسجاماً مع النظامين الصوتي والصرفي للغة العربية (المعرَّب).

في وضع كثير من المصطلحات ومن أمثلة المعــرَّب "الفلســفة"، و"الأنيميــا" و"البنْج".

4– **الترجمة:** هي نقل محتوى نص من لغة إلى أخرى، وفي "ترجمة المصطلح هو نقل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية بمعناه لا بلفظه

5 – النحت : ويعرَّف بأنه انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثــر علــى أن يكــون تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه ولا يُلجــأ إليهــا إلا عنــد الاقتضاء نحو برمائي وغيره فعمد إلى اختزال لفظين تركيبٍ واحد.

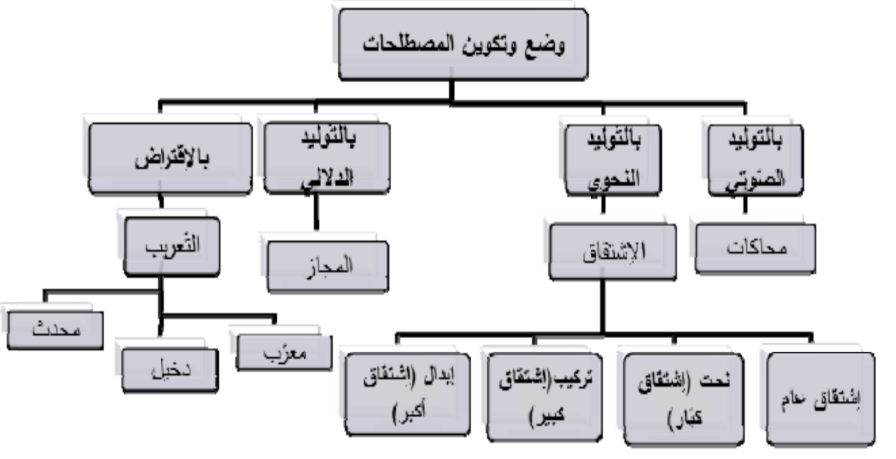

<u>وضع المصطلح الصوتي:</u> مصطلح الصوتيات phonétique "...أبقاه بعض الدارسين دخيلا، فقال فونيتيك دون تعريب، وغالبا ما كان يقرن كتابته بإحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية Phonetics أوPhonétique، مع شرح لمدلوله بالعربية، كما تُرجم إلى علم الصوت، منهج الأصوات، علم الأصوات العام، وعلم الأصوات، وعلم الأصوات اللغوية، والصوتيات، والصوتية..."[14]

التعريب والنحت: في معجم علم الأصوات للخولي نجد مصطلحات مترجمة ومعربة، والاقتصار على كتابة المصطلح بالعربية فقط : ألوفون، ألوكرون بعديصائتي، بعديفاصلي[15]...

التفرد في وضع المصطلحات ونجد عند سمير ستيتية مصطلحات خاصة به مثل : صرفون، صرصوتون، صرصويتون..[16]

الترادف : ونجد عند مبارك مبارك مصطلح ambiguité يقابله ثلاثة مصطلحات مرادفة وهي : أشكال، لبس، تعدد التفسيرات.[17]

وإن المصطلح العلمي المتخصص لا يقبل إطلاقاً هذا النوع من التـــرادف. إن شرط المصطلح الصحيح أن يكون متميزاً عن غيره، غير قابل للترادف إلا إذا كان ينتمي لمجالات معرفية متعددة.[18]

ومصطلح **وحصوتي** [19] ترجمة لمصطلح phonémique ومصطلح phonématique معا.

الترجمة الحرفية المضللة الكثير من المشتغلين بالصوتيات يصادف مصطلح les cordes vocale فترجمت بالحبال والأحبال الصوتية مع أنهما وتران صوتيان فقط .، فعوض ترجمة المفهوم ترجم المصطلح حرفيا.

الارتجال المصطلحي والذي أنتج لنا مصطلح التحلون كمقابل ل glycémie مع أنه وزن صرفي غير شائع. [20]

نحو التوحيد المعياري للمصطلحات unification ويعني تخصيص مصطلح واحد لمفهوم علمي واحد ويرى رشاد الحمزاوي أن التنميط يعتمد على أربعة مبادئ :

اطراد أو شيوع المصطلح ويعتمد عموما رواج المصطلح بين المستعملين له عند عامة الناس أو عند المتخصصين.

يسر التداول ومعنى ذلك أن يكون اللفظ سهلا ييسر التخاطب والتواصل، ولذا يستحسن ألا يكون معقد الشكل.

الملائمة أن يلائم المصطلح المترجم المصطلح الأجنبي ولا يتداخل مع غيره وهنا ينظر في عدد الميادين التي يستعمل فيها المصطلح.

الحوافز ويقصد به كل ما يحّفز المستعمل على اختيار المصطلح، من ذلك : صيغته البسيطة، قابليته للاشتقاق، تركيبه الصرفي الواضح، بعده عن الطول والغرابة..

والجدول التالي[21] مثال مطبق لترجمات كلمة téléphone من الفرنسية والإنجليزية إلى العربية

الرقم	الترجمات	الاطراد	يسر المعالجة	الحوافز	الملاءمة	المجموع
1	تليفون	9	6	6	9	30
2	هاتف	9	8	8	9	34
3	مسَرَّة	1	3	6	1	11
4	مقْوَل	1	3	6	1	11
5	إرْزيز	1	2	6	1	10
6	سماعة كبريت	1	1	1	1	4
7	سماعة حديثة بالسلك	1	1	1	1	4
8	آلة تكلم على بعد	1	1	1	1	4
9	آلة متكلمة	1		1	1	4
10	تلغراف ناطق	1	1	1	1	4

إن المصطلح الفصيح الفائز في العربية هو " هاتف " يليه " تليفون " باعتبار مجموع الدرجات المتقاربة المسندة لهما. وبالتالي يمكن في بعض الحالات اعتماد لفظ ثان مرادف إذا كانت درجته عالية ويترك للاستعمال الاختيار النهائي بينهما[22]

أخطار عدم توحيد المصطلح:

- انقطاع التواصل المعرفي بين العلماء في الأقطار العربية.

- الخدمات اللغوية في المنظمات التابعة للأمم المتحدة ستكون عاجزة عن خدمة العرب والعربية في المحافل الدولية كما ينبغي.

-تشكو بعض المؤسسات التقنية والصناعية العالمية التي لها علاقات مع العالم العربي المستهلك، من عدم توحيد المصطلحات في الوطن العربي؛ لأنها تحرص على مخاطبة السوق العربي، وتريد مصطلحات موحدة للاستخدام والتعامل؛ لأنها تستخدم الترجمات الآلية والفورية التي يهمها المصطلح الموحد، إذ يوقعها التشتت في الخلط والاضطراب والخطأ.[23]

الحلول والمقترحات :

1 ــ تفعيل القرارات بجعلها ملزمة للتنفيذ والاستفادة الفعلية من البنوك المصطلحية

2 ــ استثمار المصطلح الموحد في المجال التعليمي.

3ــ الإفادة من التقانة الحديثة بما فيها الإعلام والشبكة العنكبوتية لتوحيد المصطلح وإشاعته.

4ــ تنسيق الجهود هذه بدعم رسمي من الحكومات المحلية لتحقيق هذا الانجاز.

5ــ الإفادة من تجارب المتقدمين من العلماء العرب في ميدان التعريب والترجمة مع مراعاة العصر والزمن.

6ــ رواج المصطلح لا يكون إلا بالاستعمال وانتشاره بين الناس قبل أن يستقرّ نهائياً

7ــ التنفيذ والمتابعة لهذه التوصيات وعدم منهجية عقد مؤتمرات فحسب.

8ــ الإفادة من تجارب المجامع اللغوية في الأقطار العربية في حقل التعريب الترجمة وتطويرها، والاعتماد على خصائص العربية التي تؤهلها إلى أن تساير الركب العالمي من الاشتقاق والتوليد والتعريب والمجاز والنقل والنحت.

9ــ استثمار المهمل من الصيغ الواردة في المعاجم العربية في وضع المصطلح.

10ــ عدم جعل المصطلحات هي الغاية القصوى للجهود اللغوية. فإيجاد المصطلحات، ووضعها؛ ما هو إلا وسيلة لتحقيق غاية أكبر هي نقل العلوم الحديثة إلى الحضارة العربية.

ووفي الأخير أود أن أختم بقولي أن القصور لم يكن في اللغة يوما بل فينا ومن يفرض لغته يفرض تفكيره وحاليا نستورد التقانة والمعرفة ونستورد معهما المصطلحات المتعلقة بهما فمتى تنقلب المعادلة ؟

ثبت المصادر والمراجع

باللغة العربية

1. من قضايا المصطلح اللّغوي، واقع المصطلح اللّغوي قديما وحديثا مصطفى طاهر الحيادرة، عمّان :عالم الكتب الحديث، ط 1، 2008 ص:9-10
2. علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2008.
3. علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، إعداد شبكة تعريب العلوم الصحية وآخرون، 2005

4. الجهود العلمية في المصطلح العلمي الحديث، محمد علي الزركان منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998 دمشق
5. بحوث مصطلحية، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي 2006م
6. مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، ط1، سنة 1996، دمشق ص 72.
7. معجم علم الأصوات، الخولي محمد علي، ط1، 1982.
8. معجم المصطلحات الألسنية فرنسي، إنجليزي، عربي، مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني بيروت، ط1، 1995 .
9. كتاب العلوم، وزارة التربية الوطنية الجزائرية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2013.
10. المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، منشورات ضفاف منشورات الاختلاف، ط،1 2013.
11. لاروس المعجم العربي الحديث، خليل الجر، دار لاروس، 1973.

مجلات

- مجلة اللسان العربي، المنهجية العربية لوضع المصطلحات، محمد رشاد حمزاوي، العدد 24، 1984م/1985.
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة / ع 90

باللغة الفرنسية

Cours de linguistique générale, Ferdinand de Saussure édition Payot et rivage paris, France ,1995

هوامش البحث

1- حوالي 50 مصطلحا جديدا كل يوم.

2- ينظر : مصطفى طاهر الحيادرة، من قضايا المصطلح اللّغوي، واقع المصطلح اللّغوي قديما وحديثا، عمّان : عالم الكتب الحديث، ط1، 2008 ص:9-10.

3- علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2008، ص 189 بتصرف.
4- علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مرجع سابق، ص 217 بتصرف.
5- علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، إعداد شبكة تعريب العلوم الصحية وآخرون 2005، ص 144.
6- لاروس المعجم العربي الحديث، خليل الجر، دار لاروس، 1973.
7- من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، أحمد شفيق الخطيب، ص 617.
8- الجهود العلمية في المصطلح العلمي الحديث، محمد علي الزركان، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998دمشق، ص 99 بتصرف.
9- عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس1984، ص 72.
وينظر أيضا بحوث مصطلحية، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي 2006م، ص 174.
10- Cours de linguistique générale, Ferdinand de Saussure édition Payot et rivage paris, France ,1995 pp23
11- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، حافظ إسماعيل علوي، دار الكتب الجديد المتحدة ط1، 2009 ص 200،209
12- مجلة اللسان العربي، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات أي مصطلحات لأي لسانيات؟ مصطفى غلفان، العدد 46، 1998ص 146ـــ163
13- مجلة اللسان العربي، مشاكل وضع المصطلحات اللغوية، رشاد الحمزاوي: عدد1/18 1980، ص75.
14- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، ط1، سنة 1996، دمشق، ص 72.
15- معجم علم الأصوات، الخولي محمد علي، ط1، 1982، ص22، 33
16- مبادئ اللسانيات، ص 50، 51
17- معجم المصطلحات الألسنية فرنسي، إنجليزي، عربي، مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني بيروت، ط1، 1995، ص 21.
18- ترجم مصطلح pragmatique بالذرائعية والنفعية وفلسفة العمل وعلم المقاصد والنفعية والبرغماتية والتداولية حسب المجال المعرفي الذي ينتمي إليه.
ينظر المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، 2013، ط1، ص 110.
19- معجم المصطلحات الألسنية فرنسي، إنجليزي، عربي، ص 222.

20- كتاب العلوم، وزارة التربية الوطنية الجزائرية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2013، ص 64.
21 - مجلة اللسان العربي، المنهجية العربية لوضع المصطلحات، محمد رشاد حمزاوي، العدد 24، 1984م/1985، ص 51/41.
22- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة / ع 90، ص 186.
23- علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، ص 143.

إشكالية المصطلح في لغات التخصص
– المصطلحات القانونية أنموذجا–

أ. كريمة نعلوف
جامعة بجاية

الملخص: تستعمل لغات التخصص بصفة عامة مجموعة من المصطلحات التي نجدها في اللغة المستعملة يوميا، لكن لها استعمالات خاصة مرتبطة بهذا التخصص، ولغة القانون هي من اللغات المتخصصة تستخدم مصطلحات قانونية أي تنتمي إلى مجال القانون، وللحديث عن هذا المجال لابد من التحكم في المصطلحات الخاصة به والتي تشكل ركنا أساسيا في دراسة لغة التخصص.

نحاول في هذه المداخلة تسليط الضوء على إشكالية المصطلح في لغات التخصص وبالتحديد المصطلحات القانونية، وذلك لإبراز أهمية المصطلح في بنية الحقل الذي ينتمي إليه، نظرا لكون المصطلح ذو دور كبير في حياة الناس، فهو الذي ينظم التواصل بينهم في شتى ميادين النظم والعمل.

ولن نقف عند هذا الحد، بل يروم البحث أيضا إلى تسليط الضوء على مشكلة صعوبة فهم المصطلح القانوني لدى القارئ العادي، كما نحاول إعادة تأهيل لهذه المصطلحات القانونية بما يتفق وينسجم مع التقدّم المعرفي ومع التغيّرات الواقعية والقانونية، وكذلك لإزالة اللبس والغموض الذي يكتنف هذه المصطلحات جراء الاستخدام غير الدال على المعنى المقصود منه قانونيا أو سياسيا أو ثقافيا لتلك المصطلحات، وذلك لتمكين القارئ العادي من فهمها.

ومن هنا نتساءل: ما أهمية المصطلح في لغة التخصص؟ وما المشاكل التي يصادفها القارئ العادي في إدراكه للمصطلحات القانونية؟

وبما أنّ لهذه الكلمات معاني في الاستعمال العادي للغة ولها معاني أخري في لغة القانون، فما هو السبيل إلى التفريق بين المعنيين؟

مقدمة: تعد دراسة المصطلح موضوعا جوهريا داخل الحقل اللساني، بحكم المكانة الهامة التي يحتلها في بناء شبكة من العلائق التواصلية بين كل المكونات التي تنشغل بتطوير الدرس اللساني الحديث، وكذلك التنوع الذي يطبع المستويات وهذا لا يخفي عن المختص في حقل ما من الحقول المعرفية سواء في المستوى النظري أو التطبيقي أهمية المصطلح في بنية الحقل الذي يشتغل فيه ووظيفته حيث الإمساك بجهاز المصطلحات مدخل رئيس لتناول موضوعه عن دراية ووعي بمجموع الحمولات الدلالية والبنيات المعرفية التي تتفاعل فيها المفاهيم والتصورات، لتشكل تمثل ذلك الحقل في الذاكرة في درجته الصورية في شكل بناء معرفي مرتبط بمدخلات بنائه المختلفة. ولعلّ المنطلق الضروري لأي خطاب علمي يتحدد من خلال كون التناول العلمي لأية ظاهرة حية كانت أم جامدة ينبني أساسا على تحديد المصطلح المتعامل به في إطار تخصص علمي ما، والتعرّف على الإمكانيات التداولية لهذا المصطلح قصد تحديده بقدر كبير من الدقة تحديدا دقيقا، لأن إعطاء المصطلح مكانة في البيان، أمر طبيعي، لأن التسمية الصحيحة والدقيقة هي أصل وضع المصطلح، وأهم جزء في التعبير وفي دقة الدلالة[1]. وللمصطلح دور كبير في حياة الناس، فهو الذي ينظم التواصل بينهم في شتى ميادين النظم والعمل.

ولكن قبل أن نعرّف المصطلح يجب علينا أن نقف أولا عند مصطلح لغات التخصص:

1- تحديد مصطلح لغات التخصص: قال عبد السلام المسدي: "مفاتيح العلوم مصطلحاتها".

ومادامت المصطلحات هي الباب لولوج أيّ علم من العلوم فلابد من وجود لغات كاملة تعبّر عنها بواسطة أساليب تتضمن مصطلحات علمية. ولما كانت

العلوم كثيرة اقتضى الأمر وجود أكثر من لغة تعبر عن هذه العلوم المختلفة عرفت عامة بلغات التخصص.

وانطلاقا من هذا ماذا نقصد باللغات المتخصصة أو الخاصة أو بلغات التخصص؟

لغة التخصص أو اللغة الخاصة (Langue de spécialité) « هو التلون الذي لا يستعمل إلا من قبل أفراد أو جماعات فرعية موضوعة في ظروف خاصة».[2]

وينطبق هذا الأمر على الحكام والقضاة والرهبان والسحرة ورؤساء القبائل والعشائر والجماعات الفرعية لنبلاء متعلمين في مواجهة مرؤوسهم ورعيتهم وأيضا الجماعات الفرعية للراشدين في مواجهة الأولاد.

إنّ لغات التخصص المعرّفة على هذا النحو لا يمكنها أن تكون ألوانا مرتبطة فقط بالمجتمعات المفترض أنّها بسيطة ومتآلفة، فالوقائع اللسانية والسير الاجتماعي للغات الخاصة لا يختلفان بالطبيعة عن وقائع وسير الألوان الملحوظة في المجتمعات المركبة، مثل اللهجات العامية وأيضا المصطلحات التقنية أو العلمية.

وقد ورد تعريف لغات التخصص أو اللغات الخاصة في معجم "غاليسون وكوست" Galisson et Coste بأنّها: « اللغات المستعملة في وضعيات تواصلية شفوية كانت أو كتابية والتي تستلزم توصيل معلومات من حقل معين».[3]

إذن لغات التخصص هي اللغات المستعملة في حقل معرفي معين مثل لغة الطب والقانون والاقتصاد والإدارة إلى غير ذلك، فكل هذه التخصصات تستعمل مصطلحات خاصة لا يفهمها إلا المتخصص في ذلك المجال.

لقد اتفق علماء المصطلحية على تعريف اللغة الخاصة بأنّها: « جملة الوسائل اللغوية المستعملة في حقل موضوعي محدد لتأمين الاتصال في هذا الحقل مثل الفيزياء أو لغة الكيمياء أو الطب».[4]

يعني أنّ لكل مجال علمي لغته الخاصة، التي لا يُفهم إلا من خلالها، كما قد يكون لبعض العلوم رموز خاصة بها ليست من مفردات اللغة مثل الرياضيات

والكيمياء، وقد تكون مشكلة المصطلح في هذه العلوم هينة، بيد أنّها مشكلة عظيمة عند اللغويين، فاللغوي مضطر إلى أن يستخدم اللغة ليصف اللغة، ومبتدع المصطلح اللغوي أو مصنفه في موقف أعقد، لأنّه كما يقول أحدهم: « مضطر أن يستخدم اللغة المستخدمة في وصف اللغة».[5]

فبالإضافة إلى استخدام مفردات أو مصطلحات في لغة التخصص يمكن الاستعانة برموز رياضية كيميائية...

وقد تعرض أيضا إلى تعريف لغة التخصص "بول ريفونس" P. Rivenc فقال: « ليس هناك اختلاف بين لغة التخصص ولغة العامة إلا من حيث الاستعمال الخصوصي لعناصر اللغة التقنية على المستوى الإفرادي (Lexique) أمّا البنية الأساسية للغة فلا تتغير».[6]

يكمن الاختلاف بين اللغة المتخصصة واللغة العامة من ناحية المفردات بالنسبة للعامة والمصطلحات بالنسبة للمتخصصة، وكلاهما تشتركان في البنية الأساسية.

يبدو أنّ لغات التخصص مطبوعة بشكل خاص على مستوى معجميتها؛ بمعنى أنّ هذه اللغات لها معاجم مصطلحية خاصة مختلفة عن اللغات العادية غير المتخصصة ولكنها ليست مجرد مصطلحات، فالمصطلحات وحدها لا تقيم لغة بل فيها أيضا خصائص صرفية ونحوية محددة، وأنّ السمة الجوهرية المميزة للعبارة المتخصصة تكمن في مصطلحاتها، فقد أثبتت بحوث تعليم اللغات لأغراض خاصة، وأنّ في كل لغة تخصصية خصائص صرفية ونحوية تشيع فيها، وهذه الخصائص من اللغة العامة.[7]

إذن فالمصطلحات جزء من لغات التخصص، لكنها ليست عنصرها الوحيد فلغات التخصص تتوخى الدقة والدلالة المباشرة، وكلتاهما سمة جوهرية في المصطلحات العلمية والتقنية.

وهذه السمة تجعل هذه اللغات تختلف عن اللغة العامة وعن اللغة الأدبية وكذلك عن اللغات الفئوية مثل لغة جماعات الشباب وبعض أصحاب الحرف المتواضعة والجماعات الهامشية.

وتتسم لغات التخصص بصفة عامة بمصطلحاتها المحددة وبتراكيبها الواضحة والبسيطة، وتضم هذه اللغات أسلوبين وظيفيين اثنين:[8] هما الأسلوب المهني العملي والأسلوب العلمي.

أ- الأسلوب المهني العملي: يكون في التعامل العام في العمل وفي التناول المباشر للموضوعات العملية.

ب- الأسلوب العلمي: ويكون في الموضوعات العلمية المختلفة، وينبغي في كلا المجالين أن يكون المصطلح محددا وواضحا حتى يكون صالحا للدلالة المباشرة.

ومن لغات التخصص نذكر:

- اللغات العلمية
- لغة الإدارة
- لغة القانون التي هي موضوع بحثنا

2- تعريف المصطلح ونشأته:

2-1- تعريف المصطلح: كلمة مصطلح كلمة قديمة في اللغة العربية ومن أقدم استعمالاتها ورد في عناوين الكتب المقترح في المصطلح منها الجدل "لأبي منصور محمد بن محمد البروي الشافعي المتوفي سنة 567هـ" ومن المسلم به أن استعمالها كان رائجا على الأقل خلال القرن الثامن الهجري في عدة مجالات علمية ومعرفية كعلم الحديث والقراءات، وعلوم اللغة والتاريخ والطب والصيدلة وغيرها إلاّ أن لفظ "اصطلاح" هو تاج العروس في القرن الثالث عشر الهجري، وربما كان أول قاموس عربي معاصر أدخل (لفظ المصطلح) إلى مدونته هو "المعجم الوجيز" الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1980م، ثم تبعه "المعجم العربي الأساسي" الصادر عن المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة سنة 1988م

وتفسير ذلك أنه من المعروف في ضوابط القواميس العربية وقواعدها المقررة ولاسيما القديمة منها، عدم إيراد صيغ المشتقات المطردة وكل الكلمات التي يمكن توليدها بآلية قياسية وبقواعد صرفية معروفة إلاّ في الحالات الشاذة أو عند الضرورة والاقتصاد...ولو عملت هذه القواميس على إيراد كل المشتقات والصيغ القياسية من كل مادة معجمية لأصبح حجمها أضعافا مضاعفا لما هي عليه الآن.[9]
وقد ذكرت المعاجم العربية القديمة أصل اشتقاق الاصطلاح والمصطلح وما يدور عليه من المعاني، فقد ورد في لسان العرب لابن منظور: "صلطح: الصلطحة العريضة من النساء، واصطلنطحت البطحاء: اتسعت: قال طريح: المنسرح ش14/2[10].

ومعنى ذلك أنّ الاصطلاح في اللغة هو اتفاق على معروف، فمعنى الاتفاق مأخوذ من السّلم، ومعنى المعروف مأخوذ من نقيض الفساد.

وأمّا تعريفه اصطلاحا عند علماء العرب الأوائل فهو تخصيص لما ورد عاما من المعاني السابقة: فقد عرّفه الجرجاني بأنّه "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف أو غيرها"[11].

ومن خلال هذا التعريف نستنتج أن المصطلح لن يكون إلا عند اتفاق المتخصصين المعنيين على دلالته الدقيقة. وكما يختلف عن كلمات أخرى في اللغة العامة، نتيجة تغيّر دلالي يطرأ على الكلمة العامة فيجعلها مصطلحا ذا دلالة خاصة ومحددة. وقد عرّفه الكفوي بأنّه: "إخراج الشيء عن معناه اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد"[12].

وهذا يعني أن عملية وضع المصطلح تتمثل في تحويل المفردة التي كانت تدل على معنى من المعاني في اللغة العامة إلى مفردة تدل على معنى جديد شريطة وجود ما يربط بين المعنى الأول وبين المعنى الجديد.

أمّا المحدثين فقد عرّفوا المصطلح: "بأنّه أداة البحث، ووسيلة التواصل بين العلماء؛ فهو لغة خاصة يستعملها المنتمون لحقل معرفي معين."[13]

يعني أن كل علم بحاجة إلى مجموعة من المصطلحات المحددة كي يعبّر بواسطتها عن الظواهر الضرورية، والمفاهيم المجردة التي يستقل بها أو يشارك فيها بعض العلوم المجاورة.

أمّا تعريف المصطلح في المعاجم الغربية المتخصصة فيمكن اختصارها فيما يلي: يعرّف معجم "روبير" بأنه لفظ خاص يستعمل في حقل من المعرفة أو في حقل حرفي؛ أو هو مجموعة من الألفاظ التقنية المنتمية إلى علم ما أو فن ما."[14] أي أن هذا المعجم يرجع لفظ مصطلح (Terme) في اللغة الفرنسية إلى أصله اللاتيني، ومعناه الحد؛ أي ما يحدُّ أو المعنى.

2-2 نشأته:

ظهر مصطلح "علم المصطلح (Terminologie) أو "علم المصطلحات" (science des termes) في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي على يد المفكر الألماني "كريستيان كوتفريد شوتز" (1747-1832)، ولكنه لم يأخذ طابعه النسقي على صعيد التسمية، استنادا "لألان راي"(1974) إلا مع المفكر الانجليزي "ويليام" (1887)، حيث عرف مصطلحات التاريخ الطبيعي بأنها: "نسق المصطلحات المستعملة في وصف موضوعات التاريخ الطبيعي."[15] أمّا البيانات المصطلحية (Relevés Terminologiques) الأولى فيعود تاريخها إلى سنة (1906)، وقد اقترن ظهورها بأسماء علماء روس

مثل "زهَروف" (Zaharouv) و"سفررجان" (Severgin). وكان الغرض منها توحيد قواعد وضع المصطلحات على النطاق الدولي، وهكذا صدر بين عامي (1906) و(1928) معجم "شلومان" المصور للمصطلحات التقنية في ستة عشر مجلدا، وبست لغات.

وتكمن أهمية هذا المعجم في اشتراك مجموعة من الخبراء الدوليين في تصنيفه وأنه لم يرتب المصطلحات ألفبائيا وإنّما رتبها على أساس المفاهيم والعلاقات القائمة بينها. بيد أن الأبحاث المصطلحية لم تأخذ طابعا نسقيا حقيقيا على المستويين النظري والتطبيقي إلاّ في بداية العقد الثالث من القرن العشرين تحت تأثير أفكار المهندس النمساوي "أوكن فوستر" (Eugen Wuster) وهي الأفكار التي طورها في هذه المرحلة كل من "لوط" (Lotte, D.S 1898-1950) و"شابلجين" (Tchaplygine S.A 1869-1942)، وتقضي في مجملها بضرورة إعطاء البحث المصطلحي طابعا أكثر عقلانية وذلك بتطوير المقدمات النظرية للعمل المصطلحي ومناهجه، وفي هذا الإطار تم انجاز تمثل فلسفي لعلم المصطلح يجعله منفتحا على علم المنطق وعلوم اللغة وعلم الوجود وعلم التصنيف. وأدى التطور الذي عرفه مجال البحث في مصطلحات العلوم والتقنيات إلى نشأة عدّة منظمات وفدراليات ولجان ومجالس، نذكر منها:

– مجلس المصطلحية العلمية والتقنية Comité de terminologie scientifique et technique الذي أنشأه كل من "لوط وكابيين" سنة (1933) بالاتحاد السوفيتي.

– الفيدرالية الدولية للجمعيات الوطنية للتقييس International federation of national Standarizing (ISA) associations التي أنشئت سنة (1936) بتأثير من فوستر، وأسهمت فيها كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا.

ومن مهام هذه المنظمات توحيد طرائق وضع المصطلحات والبت في السبل الناجعة لتيسير تداوله وكيفية تنظيم مجاله، وهكذا صدرت أولى التوصيات المصطلحية (Recommandation Terminologiques) سنة 1968 عن المنظمة الدولية للتقييس في أول مؤتمر حول البحث المصطلحي الذي انعقد سنة 1959 بموسكو ومع نهاية العقد السادس ظهر أول بنك مصطلحي تابع للجمعية الاقتصادية ببروكسل.

3- المصطلحات القانونية: ثمة ضرورة منهجية معرفية لإعادة النظر في كثير من المفاهيم والمصطلحات التي هي شكل من أشكال إعادة تأهيل لهذه المفاهيم والمصطلحات القانونية بما يتفق وينسجم مع التقدم المعرفي ومع التغيرات الواقعية والقانونية والسياسية وكذلك لإزالة اللبس والغموض الذي يكتنف اللغة القانونية جراء الاستخدام غير الدال على المعنى المقصود منه قانونيا أو سياسيا أو ثقافيا لتلك المصطلحات.

إذ تستعمل لغات التخصص بصفة عامة مجموعة من المصطلحات التي نجدها في اللغة المستعملة يوميا، لكن لها استعمالات خاصة مرتبطة بهذا التخصص. ولغة القانون هي من اللغات المتخصصة تستخدم مصطلحات قانونية؛ أي تنتمي إلى مجال القانون، وللحديث عن هذا المجال لابد من التحكم في المصطلحات الخاصة به. ونظرا لإدراك القارئ العادي صعوبة فهم هذه المصطلحات، لأنّها انزاحت عن معانيها المعجمية الأصلية لتتخذ معاني جديدة اصطلاحية قانونية هو الأمر الذي سمح لنا بالحديث عن اللغة القانونية، ونظرا لأهمية هذه المصطلحات كان لابد من تسليط الضوء عليها وتقييمها.

ومن المفيد الإشارة إلى عدد من المصطلحات المستخدمة في هذا المجال وهذه المصطلحات تشكل ركنا أساسيا في دراسة اللغة القانونية كما يتضح فيما يلي:

- السفتجة (الكمبيالة) Lettre de change: محرر مكتوب وفق أوضاع شكلية حددها القانون ويتضمن أمرا من الساحب موجها للمسحوب عليه بأن يدفع للمستفيد مبلغا من النقود لمجرّد الاطلاع أو في ميعاد معين أو قابل للتعين.

- الساحب: هو محرر السند وموقعه وطلب المسحوب عليه أن يدفع المبلغ للمستفيد.

- المسحوب عليه: وهو الشخص الذي طلب منه الساحب تسديد قيمة السند المستفيد.

– المستفيد: هو الشخص الذي صدر الأمر لصالحه بأن يدفع له المبلغ المحرر في السند.

الخصم (Escompte): وهو التقدم بالسند التجاري وقت الحاجة إلى الأصول لدى إحدى المصاريف وتحويله إلى نقود بقيمته المدونة بصلبة.

– الإفلاس بالتقصير: يعد مرتكبا لتفليس بالتقصير كل تاجر في حالة توقف عن الدفع يوجد في إحدى حالاته الآتية:[16]

1– إذا ثبت أن مصاريفه الشخصية أو مصاريف تجارته مفرطة.

2– إذا استهلك مبالغ جسيمة في عمليات نصيبيه محضة أو عمليات وهمية.

3– إذا كان قد قام بمشتريات لإعادة البيع بأقل من سعر السوق بقصد تأخير إثبات توقفه عن الدفع أو استعمل بنفس القصد وسائل مؤدية لإفلاس ليحصل على أموال.

– الإفلاس بالتدليس: يعد مرتكبا للتفليس بالتدليس كل تاجر في حالة توقف عن الدفع يكون قد أخفى حساباته أو بدد أو اختلس كل أو بعض أصوله أو يكون بطريق التدليس قد أقرّ بمديونيته بمبالغ ليست في ذمته سواء كان هذا في محرراته بأوراق رسمية أو تعهدات عرفية أو في ميزانيته.[17]

– الوفاء بالديون: استحقاق الدين.

– شهر الإفلاس: الإعلان عن الإفلاس؛ أي إفلاس المدين المتوقف عن دفع ديونه في مواعيد استحقاقها.

– قفل التفليسة: إنهاء التفليسة.

– الذمة المالية: رأس المال، أو أموال المدين.

– الإعسار: هي عدم كفاية أموال المدين للوفاء بديونه.

– عريضة افتتاحية: افتتاح دعوى.

– المشرّع: أعضاء البرلمان بغرفتيه.

– التجنس: اكتساب جنسية أخرى غير الجنسية الأصلية.

– قسمة غرماء (قسمة تناسبية): هي قسمة ناتج أموال المدين المفلس أو المعسر بين دائنيه العاديين كل بنسبة دينه دون تمييز لأحد منهم على الآخرين.

– الانفصال الجسماني (La séparation de corps): وقف المعيشة المشتركة بين الزوجين وتعليق الالتزامات المتبادلة، مع بقاء الرابطة الزوجية.

فأغلب المصطلحات المتداولة في اللغة القانونية دقيقة ولها دلالة خاصة، وهذا يدل على أن لغات التخصص تتوخى الدقة والدلالة وكلتهما سمة جوهرية في المصطلحات العلمية والتقنية، وهذه السمة تجعل لغات التخصص تختلف عن اللغة العامة وعن اللغة الأدبية، ووجه الخلاف بينهما أن لغات التخصص تتجنب الإيحاء والعموم وعدم الدقة، ولهذا فإن المصطلحات ينبغي أن تكون دالة على نحو مباشر ودقيق وبعيد عن اللغز والغموض.

وهذا ما ذهب إليه محمود فهمي حجازي في كتابه: «أنّ لغات التخصص تتجنب الإيحاء والعموم وعدم الدقة ولهذا فإنّ المصطلحات ينبغي أن تكون دالة على نحو مباشر ودقيق وبعيد عن اللغز والغموض»[18].

لكن يبقى رأي هذا الباحث ضبابيا غير واضح ولا يتطابق مع الواقع القانوني إذ تتميز لغة القانون بالتأويل، فلو كانت مصطلحاتها دقيقة لكانت معانيها مفهومة دون تفسير أو تأويل، والأمثلة على ذلك كثيرة في نصوص القانون.

فمثلا ورد في المادة 53 من قانون الأسرة الأمر (05– 02) المتضمن قانون الأسرة المعدل والمتمم سنة 2005م يجوز للزوجة أن تطلب التطليق للأسباب التالية:[19]

1– فقرة (3) "الهجر في المضجع فوق أربعة أشهر."

2– الفقرة الأخيرة من نفس المادة "لأيّ ضرر معتبر شرعا."

إذا تأملنا الفقرة (3) من هذه المادة أنّها واضحة ودقيقة لكن يعلوها نوع من الإشكال، إذ لم يحدد نوع الضرر، لأنّ الهجر واقعة لا يمكن إثباتها، فهناك من

المحامين من يؤكد على وجود فعل الهجر، وهناك من ينفيه، والقاضي يمكن أن يأخذ بالرأيين إن أثبت المحامي بأدلة قاطعة.

وبالنسبة للفقرة الأخيرة من هذه المادة فللمحامين والقضاة وجهات نظر مختلفة فيها.

إذن فلا يمكن القول أنّ اللغة القانونية هي لغة مباشرة ودقيقة، وذلك لحدوث تأويلات في تفسير بعض المصطلحات القانونية كما في المثال المذكور أعلاه.

وقد لاحظنا أيضا استعمالهم لمصطلح Le code فعند ترجمته في لغتهم يعني "القانون" وهذه الترجمة هي المعتمدة في لغات التخصص، وهي تختلف عن اللغة العامة أو اللغة الأدبية، فهذا المصطلح يمكن أن يترجم بـــ "السنن" أو "الرمز".

أمّا مصطلح القانون فترجم في تخصصهم بـــ Le code أمّا في اللغة العامة فيترجم بـــ Loi, Code, Règlement, statut فهذا يدل على أن هناك فرقا بين اللغة العامة واللغة الخاصة.

وما يزيد من خطورة مشكلة المصطلح في اللغة القانونية هو ذاك التخبط، وعدم التخطيط لمواجهة هذه المشكلة فيتولد لنا من ذلك مشكلة أخرى لا تقل خطورة بالكثرة والتراكم، إنها مشكلة الفوضى الاصطلاحية والتخبط والفردية الاصطلاحية.

وهذا الاضطراب في وضعية المصطلح يمكن أن يعود بالأساس إلى الطريقة المتبعة من طرف مجموعة من المؤسسات التي تضطلع بصوغ المصطلح، فندرك أن كلمة واحدة يمكن أن تصاغ بناء على ترجمة المعنى، أو بناء التعريف أو بناء على نقل اللفظة الأجنبية إلى اللغة العربية مع إخضاعها للصوت والنطق العربي.

فهذه هي أهم المصطلحات الواردة في المدونة فاستخدامها ينطلق من الواقع المعاش، فهو الذي يفرض علينا اتخاذ مصطلحات في هذا المجال، إلا أن المصطلح دائما وأبدا قابل للتطوير وقابل للتغيير، وقابل للالتباس بقدر تطور الحالات الثقافية وبقدر تطور المفهومات والوعي الاجتماعي.

وبما أن المصطلحات التي ذكرناها لا يفهمها عامة الناس وإنما يفهمها المتخصص فقط في هذا المجال، ولكن رغم هذا إلا أنها تؤدي وظيفتها في اللغة القانونية، فهي تعبّر عن المفاهيم العلمية بكل سلاسة وطلاقة.

الهوامش:

1- سعيد مقدم "إشكالية المصطلح الإداري" مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر: 1999م ع2، ص 221.

2- جولييت غارمادي، اللسانيات الاجتماعية، تر: حلمي خليل أحمد، ط1. بيروت: 1990م، دار الطليعة ص53.

3 - R. Galisson et D. Coste, Dictionnaire de didactique des langues, p511.

4- عبد الرحمن حسن العارف، تمام حسان رائدا لغويا، ط1. القاهرة: 2002م، عالم الكتب ص294.

5- المرجع نفسه، ص295.

6- الأخضر مصطفاوي، دراسة المصطلحات التقنية الخاصة بميكانيكا المحركات وكهربائها مذكرة ماجستير جامعة الجزائر: 1988م، ص65.

7- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دط. دت، دار غريب للطباعة والنشر ص14.

8- المرجع نفسه، ص15.

9- علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية –المكتب الاقليمي لشرق الأوسط – ومعهد الدراسات المصطلحية، المملكة المغربية: 2005م، البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية، ص 24.

10- ابن منظور: لسان العرب، المجلد2، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1. (1424 هـ 2003م)، ص211-212.

11- محمود فهمي حجازي، المرجع نفسه، ص10.

12- عمر أوكان، اللغة والخطاب، دط. افريقيا الشرق: 2001، ص57.

13- المرجع نفسه، ص57.

14 - Paul Robert, Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue Française Terminologie, p11.

15 –La terminologie, Rey.A, p6. نقلا عن: علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية، ص4

16– أنظر المادة 370 في القانون التجاري في ضوء الممارسة القضائية، طبعة 2005–2006 الجزائر، منشورات بيرتي، ص129.

17– أنظر المادة 374 في القانون التجاري، ص130.

18– محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص14.

19– فضيل لعياش، قانون الأسرة، ط2. الجزائر: دت، ديوان المطبوعات الجامعية، ص50.

إشكالية المصطلح اللّسانيّ بين الوضع والاستعمال (المعجم الموحّد لمصطلحات التَّواصل اللُّغويّ) نموذجا

أ. عبد الحفيظ شريف

جامعة مولود معمري، تيزي–وزو

المُلخّص: تعالج الورقة تجاذب المصطلح بين معياريَيْ الوضع الذي تشدّها اعتبارات لسانيَّة نابعة من حقيقة لغة المصطلح، ومضايقات ترجمته، وطبيعة لغة شرحه وبيان دلالته وتحديد التَّعريف، والتي تتأسّس على دلالة المعجم وبنية المصطلح وسائر الضوابط اللِّسانيَّة الأخرى، وبين الاستعمال الذي تحكمه سياقات تتجاوز الشَّكل اللّسانيّ إلى الاعتبارات الذَّاتيَّة والموضوعيَّة لمستخدِم المصطلح ومتلقِّيه.

وبين صرامة وضع المصطلح، وتعدُّد ظروف الاستخدام ورغبات المستخدمين تحاول الورقة عرض الإشكال، واقتراح بعض ما يُقرِّب المسافة بين الوضع والاستعمال عبر محورَيْن يتناول أوَّلُهما:

- استعراض بعض ملامح وضع المصطلح ومدى مطابقتها لاعتباراته.
- متابعة بعض عقبات ضبط حدود العلاقة بين الوضع والاستعمال.
- اقتراح بعض ما يقارب بين الجانبَيْن في سبيل إزالة ما بينهما.

الكلمات المفاتيح: وضع المصطلح استعمال المصطلح.

نصُّ المداخلة:

التَّعريف بالمُدوَّنة: (المعجم المُوحَّد لمصطلحات التَّواصل اللُّغويّ)، معجم ثلاثيُّ المداخل (الإنجليزيَّة الفرنسيَّة، العربيَّة) أُحاديُّ الشَّرح (العربيَّة) وهو الحلقة السَّابعة والثَّلاثون (37) في سلسلة المعاجم المُوحَّدة التي يُصدِرها مكتب تنسيق التَّعريب

التَّابع للمُنظَّمة العربيَّة للتَّربيَّة والثَّقافة والعلوم، إحدى ملاحق جامعة الدُّول العربيَّة بإدارة الأستاذ ميلود حبيبي، طُبِع سنة إحدى عشر وألفين (2011م) وتولَّت طَبْعه مطبعة النَّجاح الجديدة، وتضمَّن أربعة وعشرين وألْفَيْ مصطلح (2024) وردت بها قائمتان باللُّغتَيْن الفرنسيَّة والعربيَّة مُرتَّبتَيْن حسب التَّرتيب الهجائي.

تَصدَّر الكتابَ – من اليمين بعد المُقدِّمة– قائمةٌ كاملةٌ للمصطلحات باللُّغة العربيَّة، وشَغَلت ثمانية وأربعين (48) صفحة، في ما كانت البدايةُ الحقيقيَّة للمعجم في الجهة المقابلة، فيَرِدُ المصطلح الإنجليزيُّ مرقَّما ترقيما مُتتاليًّا إلى آخر المعجم وتحته المقابلُ الفرنسيُّ، مقابلا لهما المقابل العربيَّ.

وخُتِم التَّرتيبُ بقائمةٍ للمصطلحات باللُّغة الفرنسيَّة الَّتي التَقَت بالتَّجاوُر مع القائمة العربيَّة في يمين المُعجم، وخَضَع متنُ المُعجَم لترقيم استقرَّ عند الصَّفحة الثَّامنة والتِّسعين بعد المئة (198) وهي آخر صفحات القائمة الفرنسيَّة للمصطلحات، ويُضاف إليها صفحات القائمة العربيَّة، فتُكوِّنُ مجتمعةً مئتان وستًّا وأربعين(246) صفحة من القطع المتوسط (17/24سم)

وقُسِّمت الصَّفحات في المُعجَم إلى عَمودين، تضمَّن كلُّ عمود طائفةً من سبعة (07) مصطلحات –غالبا– بشروحها؛ أيْ أنَّ كلَّ صفحة تضمَّنت أربعة عشر (14) مصطلحا، وهو ما يعطي صورةً كافيَّةً عن مقدار شرح المصطلح.

يُصنَّف المعجم ضمن المعاجم المُتخصِّصة التي تكتفي بإيراد طائفة المصطلحات التي يجمعُها الانتماء إلى مجالٍ معرفيٍّ واحد هو في المعجم موضوع الدِّراسة (التَّواصُل اللُّغويّ) ولقد كان اختيار هذا المجال أحدَ أبرز العوامل التي فتحت على المعجم معضلة أخرى تضاف إلى العديد من المعضلات التي واجهت وتواجه معاجم المصطلحات.

إنَّ انفتاح المعجم على هذا المجال، يعني انفتاحه على كمٍّ هائل من المصطلحات التي تناولتها الجهود اللِّسانيَّة الحديثة منذ إعلان ميلادها إلى زمن إعداد المعجم من النَّاحية التَّاريخيَّة، وأمَّا من النَّاحيَّة الموضوعيَّة، فإنَّ المعجم منفتحٌ على عدَّة معايير

تتحكَّم في تصنيف المصطلح، وتحديد مفهومه وغير ذلك ممَّا تُوضِّحه التَّرسيمة التَّالية:

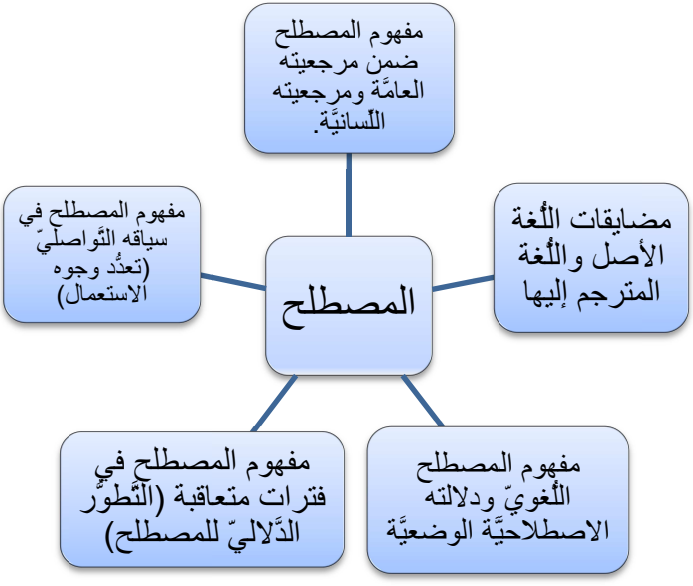
المصطلح
مفهوم المصطلح ضمن مرجعيته العامَّة ومرجعيته اللّسانيَّة.
مضايقات اللُّغة الأصل واللُّغة المترجم إليها
مفهوم المصطلح في سياقه التَّواصليّ (تعدُّد وجوه الاستعمال)
مفهوم المصطلح اللُّغويّ ودلالته الاصطلاحيَّة الوضعيَّة
مفهوم المصطلح في فترات متعاقبة (التَّطوُّر الدَّلاليّ للمصطلح)

ترتيب مداخل المعجم بين الشَّكل والمضمون: تشكَّلت بنية المعجم من مصطلحات عَرَفَ أغلبَها الدَّرسُ اللِّسانيُّ الحديث، والدَّرس التَّداوُليّ منها خاصَّة باعتبار أنَّ هذا الدَّرس هو من آخر قضايا اللِّسانيَّات بحثا وتصنيفا، ثُمَّ إنَّ موضوع المعجم هو (مصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ) وهو من صميم البحث التَّداوُلي تحديدا ولكَوْن هذا البحث ذا تشعُّبات تتوزَّع على المُرسل والمتلقِّي والرِّسالة والمقام بمُتضمَّناتِه اللُّغويَّة والثَّقافيَّة والاجتماعيَّة؛ فإنَّ ذلك التَّشعُّب قد ألقى بظلاله على طبيعة المصطلحات وكيفيَّة تصنيفها، فاصطدم واضعوا المعجم بعقبة التَّصنيف أتكون حسب موضوع عناصر عمليَّة التَّواصُل، أم حسب الترتيب الهجائي؟ وبما أنَّ الاختيار كان للجانب الشَّكليّ (الألفباء) فقد كان ارتباط المصطلحات الموضوعيّ مشتَّتا في المعجم، مع أنَّ الاستعمال يستدعي تقريب المصطلح من ناحية المعاني والدَّلالات أولى من تقديم البنية التَّي احتكمت إلى التَّرتيب الأبجدي الإنكليزي لا

العربي، ولْنَقِف على الصَّفحة التَّاسعة والأربعين بعد المائة (149) من المعجم في أحد عمودَيْها لنجد[1]:

تضامن	***(علاقة بين المتخاطبَيْن)***	***1782 solidarity***
خطاب النَّفس	***(متعلِّق بالمتكلِّم أو المُتلقِّي)***	***1783 soliloquy***
جهارة	***(متعلِّق بالخطاب)***	***1784 sonority***
صوت	***(متعلِّق بالخطاب)***	***1785 sound***
دليل صوتي	***(متعلِّق بالخطاب)***	***1786 sound***
مصدر	***(متعلِّق بالمُرسِل)***	***1787 source***
لغة مصدر	***(متعلِّق بلغة المُرسِل)***	***1788 languagesource***

وسبب هذا التَّشتُّت الموضوعيّ هو تسليم ترتيب الوضع إلى الأبجديَّة الإنجليزيَّة.

ملاحظات حول الشُّروح والتَّعريفات: يواجه التَّعريفَ في المعاجم بصورة عامَّة صعوبات جمَّة "نظرا لارتباطه بعلم الدَّلالة، وهو العلم الذي أُهمِل نسبيًّا في الدِّراسات اللِّسانيَّة الحديثة... ولأنَّ قضايا المعنى لا تهمُّ اللُّغويِّين فحسب، بل كانت ولا تزال مجالا هامًّا للدِّراسات الفلسفيَّة والنَّفسيَّة والاجتماعيَّة[2]" ومن خلال هذا تعدَّدت أشكال التَّعريف في المعاجم بحسب طبيعتها والهدف منها وغير ذلك، وهو ما تولَّد عنه مشكلاتٌ كبيرة في ضبط مفاهيم المصطلحات أو التَّعريف بها أو شرحها لغة أو اصطلاحا، وبالإضافة إلى ذلك فقد واجهت تعريف المصطلح في المعجم موضوع الدِّراسة عقبات أخرى أفرزتها طبيعة موضوع التَّواصُل اللُّغويِّ ذاتُه، بتعدُّد مصطلحات عناصره، ثمَّ باعتبار طبيعة نشأة هذه المصطلحات وبيئتها المعرفيَّة ذات الأصول الابستمولوجيَّة الخاصَّة، والتي صيغت استجابة لمعطيات معلومة في محيطها ولكنَّها لا تتناسب بالضَّرورة مع الابستمولوجيا التي نُقِلَت إليها ولا تتطابق تماما مع معطيات التَّواصُل العربيّ، يضاف إلى ذلك ما ينتج من تنازُعٍ

وتصادُمٍ بين مصطلحات التَّواصُل ذات الأصول العربيَّة المُترجمة أو المعرَّبة وبين ما نزلت فيه من بيئة مصطلحيَّة عربيَّة ليست فارغة تماما.

وهكذا وجد (المعجم الموحَّد لمصطلحات التَّواصل اللُّغويّ) نفسَه أمام إشكالات كثيرة تجلَّت في كثير من التَّعريفات حين حاول تكييف المصطلحات المترجَمَة مع كمٍّ مُعتبَر من مصطلحات عربيَّة تراثيَّة وحديثة.

ولمزيد من تفصيل العقبات التي باتت ثغراتٍ تعاني منها المُعجميَّة العربيَّة الحديثة عموما، والتي تعالج مجالات الدَّرس اللِّسانيِّ الحديث خصوصا، تستعرض الورقة بعض الشَّواهد من المُعجَم موضوع الدِّراسة.

مظاهر الارتباك في الوضع: من المواضع تُظهِر الارتباك في وضع المصطلح وضبط تعريفه في المعجم ما جاء مخالفا لما ورد في (ندوة توحيد منهجيَّات وضع المصطلحات العلميَّة الجديدة) والتي أسفرت على الإقرار بثمانية (18) عشر بندا مفصَّلاً كانت المبادئ الأساسيَّة لاختيار المصطلحات العلميَّة ووضعها.

وبالرجوع إلى المبدأ الثاني "وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد[3]" نجد أنَّ واضعي (المعجم الموحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ) لم يتمكَّنوا من تجاوُز هذه العقبة في عدد كبير من مصطلحات المعجم فمن بين أربعة وعشرين وألفي (2024) مصطلح، نقف على سبعة وعشرين ومئة (127) موضعا؛ أيْ ما نسبته 6.27% ينقل ارتباكا ظاهرا في وضع مصطلحات متجانسة أو متماثلة لمفاهيم مختلفة أو متقاربة. وللوقوف على مدى الثَّغرات المعرفيَّة والمفهوميَّة جرَّاء ذلك تورد الورقةُ النَّماذج الآتيَّة:

فيتناول المعجم لشرح وتعريف مصطلح (تقدير) ما يلي:

شكر، تقدير ***appreciation*** *147*

remerciement

التَّعبير عن الامتنان لشخص ما[4].

تقدير ***assessment*** *176*

appreciation

اعتراف بقيمة خطاب المتكلِّم[5].

تقدير *711* ***esteem***

estime

إبداء الاحترام لشخص ما اعتبار لفضله أو مجهوده[6].

ويلاحظ الفرق بين مقابِلات المصطلحات، خاصَّة حين يتوجَّه في الأوَّل إلى (شكر، تقدير) –وليسا على معنى واحد– إلى الشَّخص، دون تعيين للسَّبب الذي يُفتَرَض أنْ يكون ذا مغزى تَواصُليٍّ وفاءً لموضوع المعجم، وهو التَّعيينُ الذي يستدركُه المقابلُ للمصطلح (711) الذي يكون لفضل أو مجهود بينما يتوجَّه في المُقابل رقم (176) إلى (الخطاب) اعترافا بقيمته. وقد يُبرَّر هذا الاضطراب بأثَرِ ترجمة المصطلح الذي يتعدَّد ويختلف تماما في لغته الأصليَّة عن المُصطلح العربيّ الذي اكتفى فيه الواضع بمصطلح (تقدير) مقابلاً لثلاثة مصطلحات، ولم يظهر الاختلاف على المصطلح بشكلٍ واضحٍ إلاَّ عند مقابلته في الشَّرح والتَّعريف المصطلحيِّ بغرض تحقيق ضبطٍ مفهوميٍّ أقرب.

كما قد يُبرَّر بعدم قدرة الواضع العربيِّ على تكييف المصطلح المقابل عند التَّرجمة أو التَّعريب، وانتقاء الدَّقيق منها للوفاء بمعنى المصطلح الأجنبيّ، ولعلَّ هذا العامل هو الأقرب، ذلك أنَّ استحضارَ مثالٍ آخر سيُبيِّن التَّساهُل والسَّطحيَّة في انتقاء المُقابل العربيّ الذي تمَّ فيه الجمعُ بين (شكر، تقدير) في المثال السَّابق والجمع بين (اتِّصال، تَواصُل) في المثال الآتي:

تواصل، اتِّصال ***communication*** *397*

communication

التَّواصل هو تبادُل الكلام بين متكلِّم يُنتِج ألفاظًا موجَّهة لمتكلِّم آخر يقوم بدور المخاطَب المُستمع الاتِّصال حسب المُنظِّرين واللِّسانيِّين هو نقل معلومة من نقطة إلى أخرى، مكانا كانت أو شخصا بواسطة إرساليات لها شكل معين[7].

اتِّصال ***contact*** *480*

contact

تماس بين مُوصلِين يسمح بمرور رسالة ما[8].

إنَّ وضع المقابل العربيّ (تَواصُل، اتِّصال) على نفس الدَّرجة لا يستقيم من ناحيَّة الدَّلالة الصَّرفيَّة فصيغة (تَوَاصُل) على وزن (تفاعُل) تفيد القيام بالفعل من الطَّرفين، وفيه حركيَّة منهما معا، بينما تفيد صيغة (اتِّصال) انتقال المُرسَلة من الطَّرف (أ) إلى الطَّرف (ب) ولا يُشتَرَط في ذلك حركيَّة الطَّرف (ب) ولعلَّ هذا المعنى هو ما تنبَّه له واضع التَّعريف للمُصطلحَيْن مُجتمِعَيْن، فجاء الشَّطر الأول شرحا لمصطلح (اتِّصال) والبؤرة فيه مفردة (تبادل) بينما جاء الشَّطر الثَّاني شرحا لمصطلح اتِّصال، والبؤرة فيه مفردة (نقل).

يُوقِفُنا هذا الاستعراضُ على معضلة عدم قدرة الواضع العربيِّ للمصطلح على انتقاء المصطلح العربي الدَّقيق المنضبط الدَّال على المقابل بشكل لا يترك أيَّ فجوة في الدَّلالة على ما وُضِع له، وهو أمرٌ بالغُ الخطورة، باعتبار أنَّ أحَدَ مُبرِّرات ذلك هو خصائصُ اللُّغة العربيَّة ذاتُها، كالمُشتَرَك اللَّفظيّ الذي يفرض على واضع المُصطَلَح تصنيفَ وترتيبَ مداخل المُعْجَم بطريقةٍ تدفَعُ الالتباس عن المصطلح المقصود بالشَّرح ودلالته المُحدَّدة.

ومن النَّماذج الَّتي تُظهِر صُورة أخرى من صُوَر الارتباك في وضع المصطلح وتحرير مُقابله، ما جاء في مصطلح (سلوك لغويّ) الذي ورد في موضعين بنفس اللَّفظ:

سلوك لغوي languagebehvour 1114
comportement
مجموع أنشطة الفرد القائمة على استعمال اللغة إنتاجا وفهما[9].

سلوك لغويlinguisticbehvour 1149
comportement linguistique
مظهر من مظاهر التَّعبير يستعمل اللُّغة أداة للتَّواصل[10].

ولنا أنْ نُقارن بين الشَّرح حين نتساءل، هل ما سبق شرحٌ للمصطلح (سلوك لغوي) العربيّ؛ وعليه فيجب أنْ يتوحَّد الشَّرح كما توحَّد المُصطلح، إلاَّ إذا كان

هناك من المبرِّرات ما يستسيغ هذا، فينبغي ذكرُه وإمَّا أنَّ الشَّرح شرحٌ عربيٌّ للمصطلح الأجنبيّ، وتلك معضلة أخرى تُحيل الباحث اللِّسانيَّ العربيَّ على مدى مطابقة المفاهيم والمنطلقات اللِّسانيَّة العربيَّة مع استعمال مصطلحات ذات شُحنات مفهوميَّة لسانيَّة غربيَّة خالصة، وإنِ اجتهدت التَّرجمة في رأب تلك الفجوات الطبيعيَّة النَّاجمة عن اختلاف البيئتَيْن مُنطلَقًا وغايَةً.

تأرجح الشُّروح بين المرجعيَّات اللِّسانيَّة المُتعدِّدة: لا شكَّ أنَّ انفتاح (المعجم الموحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ) على مصطلحاتٍ عايشت مختلف المدارس اللِّسانيَّة في فتراتها المُتعاقبة، قد سبَّب معضلةَ التَّوفيق بين المفاهيم المرجعيَّة لمختلف هذه المدارس، فهناك مصطلحاتٌ لسانيَّةٌ حازت اتِّفاقا وقابليَّة، ولكنَّها أُردِفَت باختلافٍ مفهوميٍّ صارخٍ، وتضارُبٍ تعريفيٍّ مُربِكٍ.

ويبدو أنَّ تنبُّه واضع المعجم لهذا الجانب لم يكن كافيا للسَّيطرة على تعريفاتِ وشروحِ كلِّ المُصطلحات واطِّراد تلك العمليَّة في المُعجم كُلِّه، فمع محاولة صياغة تعريفٍ توفيقيٍّ جامعٍ بين مختلف رؤى الاتِّجاهات اللِّسانيَّة لمصطلحٍ من أشهر المصطلحات اللِّسانيَّة وهو (لغة) إلاَّ أنَّه لم يتمكَّن من التَّوفيق في كلِّ المصطلحات فيَرِدُ المصطلحُ في المعجم كالآتي:

لغة language *1109*

langue

نظام العلامات الصَّوتيَّة التي تُمكِّن الإنسان من التّعبير عن أفكاره، ومن التَّواصل مع بني جنسه[11].

ويُلاحَظ على التَّعريف حرصُه على مفردات تُحيل على الاستعمال المُفضَّل عند مدارس لسانيَّة بعينها فمصطلح (النِّظام) مرتبطٌ مباشرةً بالوصفيَّة السُّوسيريَّة ومصطلح (التَّعبير) يُحيل على أحد أهمِّ خصائص اللُّغة ولكنَّه عند البنويِّين إبلاغٌ عن فكر، وعند السُّلوكيِّين (سلوك) وعند التّداوليِّين(تواصُل) ولكنَّ هذا الشَّرح لم يَفِ بحقِّ كلِّ الاتِّجاهات اللِّسانيَّة، فرَاح يُوجِّه مُصطلح (لغة) نحو مفهوم التَّداوليِّين له بإقحام عنصرَيْ (التَّعبير، التَّواصُل) استجابةً للموضوع العام للمعجم.

لم تَقتصر مشكلة المصطلح في معجم مصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ على الوضع وعقباته بل طفت على السَّطح معضلة الاستعمال بشكل لا يقل خطرا عن مشكلات الوضع.

العقبات الخارجيَّة: يتحوَّل عدم تنفيذ الجهات التي يناط بها نشر المصطلح وتعميمه كالجامعات ومراكز الدِّراسات، ومخابر البحث لقرارات المؤسَّسات اللُّغويَّة المجمعيَّة إلى مُعضلة تجعل من كثير من اجتهادات المؤسَّسات المُنتِجة للمصطلح حبيسة مُدوَّناتها، فلا تحظى لدى المُستعمِلين الحقيقيِّين من الكُتَّاب والباحثين بما يُرجى لها من القبول، كما تسبَّب غياب سلطة إلزاميَّة تقارب بين عمليتَيْ الوضع والاستعمال لدرجة المطابقة، في اتِّساع الهُوَّة بين الواضع والمستعمل، وتشتُّت أكثر الجهود البحثيَّة في اتِّجاهات لا تخدم في مُجملها وجهة البحث العلميّ عامَّة واللِّسانيّ منه خاصَّة.

وفي هذا الإطار، قد يُصنَّف بُعْدُ الشُّقَّة ما بين مُدوَّنات المصطلحات الموحَّدة ومستعمليها ملمحا عاما لا يكاد يغادر الساحة البحثية العربية، فلا يَبعُد خلوُّ جامعات بأكملها من السِّلسلة الكاملة للمعاجم المُوحَّدة التي أنجزها مكتب تنسيق التَّعريب بالرِّباط بوصفها مؤسَّسة أُسنِدت لها هذه المهمَّة، برعاية أكبر هيأة عربية (الجامعة العربيَّة) ممَّا يعني التزاما ضمنيًّا من كلِّ الدُّول العربيَّة بالعمل على تسهيل نشر وتعميم استعمال مادَّة هذه المعاجم، وهو ما لا يتمُّ به العمل في معظم الدُّول العربيَّة وفي مؤسَّساتها وبين باحثيها بالتَّبع.

عقبة التَّوفيق بين ذاتيَّة الواضع والمستعمل وموضوعيَّة البحث: قد لا يختلف مُنصِفَان في الإقرار بذلك التَّجاذب الذي يشدُّ العلاقة بين واضعي المصطلح العلميّ العربيّ الممثَّلين في الهيئات المجمعيَّة والمؤسَّسات اللُّغويَّة، وبين المستعملين الفعليِّين له من المؤلِّفين والدَّارسين.

فبينما ينادي الواضعون بضرورة استجابة المستعملين لاقتراحاتهم ومساعدتهم على إشاعة المصطلحات المتَّفق عليها في المؤتمرات الدَّوريَّة للمؤسَّسات اللُّغويَّة

والمجمعيَّة، من موقع قيام هؤلاء بدور المصطلحيِّين؛ يقف المستعملون موقف المتردِّد من نتائج أعمال هؤلاء وتفضِيلهم لجهودهم الخاصَّة في التَّرجمة والتَّعريب واقتراح المصطلحات وتحديد مفاهيمها من خلال كتُبهم المترجمة أو المؤلَّفة ولمزيد من توضيح هذا الجدل العنيف الصامت الذي يتناول أحدُ الباحثِين ملمحًا منه تحت عنوان "تعثر التَّنسيق" ويستعرض صورة لـــ "تعدُّد المعاجم في الميدان الواحد مثلما وقع لمعجم الرِّياضيَّات، معجمٌ مغربيٌّ، وآخرُ جزائريٌّ، وثالثٌ سوريٌّ، ورابعٌ صادر عن مكتب تنسيق التَّعريب[12]" وقد تأخذ الهُوَّة بين الوضع والاستعمال بُعدًا آخر حين تُسهِم الجهود الفرديَّة للباحثين في تعميقها ولو من غير قصد، فقد أسهمت كثيرٌ من الجهود الفرديَّة في إثراء المكتبة المصطلحيَّة بالمصطلحات والمفاهيم سواءٌ من خلال مؤلَّفات مصطلحيَّة مُتخصِّصة (معجمات فردية) أو من خلال الملاحق المصطلحيَّة ومفاهيمها الَّتي تُذيِّل كثيرا من المُصنَّفات الَّتي حَظيَّت في السَّاحة اللِّسانيَّة العربيَّة بقَبُول واسع، لم تُوفَّق لحدِّ الآن مؤسَّساتٌ لغويَّة ومعجميَّة رسميَّة في تحقيقه لمنشوراتها. وللوقوف على ذلك تستعرض الورقة منهج (المعجم الموحَّد لمصطلحات التَّواصل اللُّغويّ) في وضع بعض المصطلحات الشَّائعة وضبط مفاهيمها، مُقابل استعمال نفس المصطلحات في مؤلَّفات متخصِّصين لها ليقف القارئ على نوعِ وحجم الهُوَّة بين الوضع والاستعمال أو بالأحرى بين الواضعين والمستعملين.

يستعمل المعجم مصطلح (خطاب) كالآتي:

خطاب ***allocution*** *98*

allocution

يطلق في بعض الحالات على الفعل الذي بواسطته يتوجَّه المُتكلِّم إلى غيره من النَّاس[13].

خطاب ***discours*** *629*

discours

سلسلة من الملفوظات خاضعة لنظام يضبط العلاقات السِّيَاقيَّة والنَّصيَّة بين الجمل[14].

وظاهرٌ التَّردُّدُ الذي يعتري شرح المصطلح العربيّ من جانب مقابلته ترجمةً لمصطلحَيْن أجنبيَّين مختلفَيْن تماما، فبينما تُورد المعاجمُ العامَّة ترجمة (خطاب allocution) بمعنى خطبة موجزة، كلمة... تُورِد (خطاب discours) مرادفا لـــ: خطاب، مقالة، حديث.

ومن ناحية ثانية؛ وبالنَّظر إلى التَّعريف الأوَّل الذي يجْنَح إلى البُعد التَّداوليِّ حين يورد المتكلِّم والمُتلقِّي والكلام، وهي عناصر العمليَّة التَّداوليَّة؛ يغلِب على التَّعريف الثَّاني البُعدُ البِنَويُّ النَّصِّيُّ حين يقتصر على إيراد عناصر نصِّيَّة تجعل من التَّعريف أقرب إلى تعريف (النَّصِّ) منه إلى تعريف (الخطاب) ولا شكَّ أنَّ هذا الاضطراب سَيرجِع بالقارئ إلى الجدل القائم بين الدَّارسين حول طبيعة العلاقة بين (النَّصِّ) و(الخطاب) وتعريفِ كلٍّ منهُما في ظلِّ الاتِّجاهات اللِّسانيَّة المُختلفة.

وبمقابلة الأوضاع السَّابقة لهذا المصطلح من (المعجم المُوحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ) بمثلها في الاستعمال، نقف على الآتي:

يتناول معجم (المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب) لدومنيك مانغونو، وترجمة محمد يحياتن – رحمه الله– مصطلح (الخطاب) مقابلا لـــ: Discours بتفصيل نأى به عن الخلط، مبررا ذلك بأنَّ "الخطاب لا يمكن أنْ يكون موضوعَ تناوُلٍ لسانيٍّ صرف".

وبناء على اتِّساع دلالة المصطلح جاء بيان تعريف (الخطاب) على أنَّه:

- خطاب/ جملة: وحدة لغويَّة أساسها الجملة، والتي آلت إلى النَّص واللِّسانيَّات النَّصيَّة.
- خطاب/ ملفوظ: وحدة لغويَّة أنشئت في ظروفِ إنتاج مُعنيَّة، وهو من حيث الإنتاج (نصٌّ) ومن حيث الدِّراسة (خِطابٌ).
- خطاب/ لغة: أ– من حيثُ هي مفردات معجميَّة ذات قيَّم دالَّة.

ب- من حيثُ هي اتِّفاقٌ واستعمالٌ جماعيٌّ يشترك فيه صنفٌ من المُتكلِّمين.

- خطاب/ نص: حين ارتباط النَّص بسيَّاقه[15].

ومع هذه الاستفاضة في تعريف المصطلح (خطاب) إلاَّ أنَّه الضَّمانة الكفيلة بضبط التَّعريف بالمصطلح، ومحاولة إتاحة فرص استخدامه على أوسع مدى مُمكِن من السِّياقات الَّتي هي من صميم موضوع المعجم، أمَّا بمقابلة مفهوم المصطلح في (معجم مصطلحات التَّواصل اللغوي) مع استعمالات بعض الدَّارسين في مجالات التَّداوُليَّات وتحليل الخطاب موضوع المعجم، فنقف على استخدام محمَّد خطَّابي لمصطلح (الخطاب) على أنَّه ذا شقَّيْن: دلاليٍّ يقوم على بنية لسانيَّةٍ نَصِّيَّة، وتَداوُليٍّ يقوم على السِّيَّاقات المُصاحبة[16]. وقد كان يُفتَرَض أنْ يكون بين الواضع والمستعمل من الوفاق ما يُجنِّب البحث المصطلحيَّ هذا الارتباك.

وفي مثال آخر يتناول (المعجم الموحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ):

استنتاج، استدلال، استنباط. ***564 deduction***

déduction

الوصول إلى نتيجة تنشأ حتما من مقدِّمة منطقيَّة[17].

استدلال ***982 inference.***

inférence

استنتاج معنى من معنى بواسط قواعد استدلال، أو هو التَّوصُّل إلى حكم ما أو نتيجة ما من مُقدِّمة معلومة أو بيانات معيَّنة[18].

وبمقابلة المصطلح (استدلال) عند المستعمل ممثَّلا في كتاب (التَّداوُليَّة اليوم علمٌ جديدٌ في التَّواصل) نجد تحديدا أدقَّ وأكثر شمولا في الدَّلالة ضمن ملحقٍ تعريفيٍّ ذُيِّل به الكتاب-وهو نشاطٌ مصطلحيٌّ خارجٌ عن متن الكتاب ولكنَّه في فضائه- فيضبط المصطلح (استدلال) مقابل اللَّفظ الأجنبيّ باللُّغتين كما جاء في معجم مصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ (inférence/inference) وفي هذا ردٌّ ضمنيٌّ على عدم علميَّة مقابلة ثلاثة مصطلحات (استنتاج، استدلال، استنباط) لمقابلٍ أجنبيٍّ واحدٍ

من ناحيَّةٍ، ومن ناحيَّة أخرى تَبَاعُد مفاهيم المُصطلحات الثَّلاثة في المعاجم العامَّة فكيف بالمعاجم المُتخصِّصة.

ثمَّ جاء الشَّرح لمصطلح (استدلال) "هو كلُّ قضيَّة ضمنيَّة يُمكن استخلاصُها من قولٍ، أو استخلاصُ نتيجة من محتواها الحرفيِّ بالتَّأليف بين معطيات متنوِّعة من خارج القول ومن داخله[19]".

ولانفتاح التَّعريف على مفهومٍ واسعٍ جدًّا، فقد استدرك واضعُه على ذلك بتحديد مجالاته المختلفة ويُدرِج (التَّداوُليّ) واحدا منها "حيث تخضع العمليَّات الاستدلالية ... تحليليَّة، أو تداوليَّة أو منطقيَّة أو تجريبيَّة لنظام أشدَّ صرامة من النِّظام المُولِّد للاستدلالات الطبيعيَّة"[20] فكانت هذه الإضافة تمييزا لـــ (الاستدلال التَّداوُليّ) عن غيره من أنواع الاستدلال، ومن ثمَّ ساق مفهوما آخر للمصطلح قد يراد به "الاستدلال على العمليَّة الدَّلاليَّة الرَّابطة بين مجموعة من الأقوال التي تُمثِّل مُقدِّمات... ونتيجة ما تلزم تلك المُقدِّمات بالوصول إليها[21]".

ويورد الملحق نفسه مصطلح (استنباط) ترجمةً لـــ:(déduction /deduction) ويعرفه "هو: استنتاج حكم جزئيٍّ انطلاقا من كلِّيَّاته بينما يُورِد (معجم مصطلح التَّواصُل اللُّغويّ" تعريفه: "الوصول إلى نتيجةٍ حتما من مُقدِّمة منطقية[22]" وفيما يُركِّز المستعمل على الجزئيَّة والكلِّيَّة؛ يتوجَّه الواضع إلى المقدِّمة والنَّتيجة.

الخاتمة: في ظلّ هذا العرض المقتضب لبعض النَّماذج المُقتَطَعة من (المعجم المُوحَّد لمصطلحات التَّواصل اللُّغويُّ) والتي أظهرت فجوةً كبيرة بين وضع المصطلح واستعماله، ترى الدِّراسة أنَّ من أبرز أسباب هذا، عوامل ذاتيَّة استأثر فيها كلٌّ من الواضع فيها والمستعمل بجانبه. فالواضع وهو العالم المصطلحيُّ المعجميُّ الذي ملَكَ من أدوات صناعة المعجم، وآليات إخراجه، ولكنَّه يعمل في معزِلٍ عن خبرات أصحاب الميدان من الباحثين والدَّارسين والمشتغلين على مفاهيم المصطلحات في بيئاتها منشأً وهجرةً، وهذا ما نشأ عنه في أهمِّ ما نشأ:

- استئثارُ المعجميِّين بحيازة العمل المعجميِّ والقاموسيِّ دون الاشتراك اللازم لبقيَّة الطاقات المادَّة للمفاهيم الحقيقيَّة والشُّروح الصَّحيحة المضبوطة، وهو ما سبّب اضطرابَ العمل المعجميِّ والمصطلحيِّ منه خاصَّة.

- إحساسُ الدَّارسين والباحثين والمترجمين الضِّمنيّ بتهميش المُعجميِّين والمصطلحيِّين لهم، وهذا ما يُبرِّر الجهود المعجميَّة الفرديَّة في شتَّى العلوم والفنون. وكانت النَّتيجة العامَّة:

قصورٌ معجميٌّ ومصطلحيٌّ عامٌّ، لم تكتمل به الأعمال الَّتي تدَّعي الجماعيَّة لعدم تحقيقها لجوهر العمل المعجميّ الجماعيّ، يقابله عجزٌ معجميٌّ فرديٌّ يتجلّى في عدم مصداقيَّة كثير من الأعمال الفرديَّة في زمن ريادة الأعمال الجماعيَّة المُؤسَّسة على سلامة المُنطلق وعلميَّة الوسيلة وعلوِّ الغاية.

المصادر والمراجع:

1- مكتب تنسيق التَّعريب، المعجم المُوحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ، د ط. الرِّباط: 2011م، مطبعة النَّجاح الجديدة.

2- مجلَّة الدِّراسات المعجميَّة، الجمعيَّة المغربيَّة للدِّراسات المعجميَّة، الرِّباط: ربيع الأول 1435هـ- يناير2014 م، ع 9-10.

3- علي القاسميّ، علم المصطلح أسسه النَّظريَّة وتطبيقاتُه العلميَّة، ط1، بيروت: 2008 م، مكتبة لبنان ناشرون.

4- قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، دط. الرِّباط: 9-10-11 مارس 2000 م جامعة مولاي إسماعيل، كلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة مكناس- جامعة سيدي محمَّد بن عبد الله، كُلِّيَّة الآداب، ظهر المهراز معهد الدِّراسات المُصطلحيَّة، فاس، سلسلة 12، ع1.

5- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمَّد يحياتن ط1. بيروت- الجزائر: 1428هـ-2008 م، الدَّار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف.

6- آن روبول، جاك موشلار، التَّداوليَّة اليوم علم جديد في التَّواصُل، تر: سيف الدِّين دغفوس، محمَّد شيباني مراجعة: لطيف زيتوني، ط1. بيروت: تموز (يوليو) 2003م، دار الطَّليعة للطِّباعة والنَّشر.
7- محمَّد خطَّابي، لسانيَّات النَّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2. الرِّباط: بيروت: 2006م المركز الثَّقافيّ العربيّ.

الهوامش:

1- مكتب تنسيق التَّعريب، المعجم المُوحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويِّ، د ط، الرِّباط، 2011 مطبعة النَّجاح الجديدة، ص 149.

2- محمد العمدوني "من قضايا التَّعريف المنهجيَّة، المعجم العربيّ الحديث لاروس نموذجا، مجلَّة الدِّراسات المعجميَّة الجمعيَّة المغربيَّة للدِّراسات المعجميَّة، الرِّباط: ربيع الأوَّل 1435هـ-يناير 2014م، ع 9-10.

3- علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النَّظريَّة وتطبيقاتُه العلميَّة، ط1، بيروت: 2008م، مكتبة لبنان ناشرون، ص 558.

4- المعجم الموحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ، ص15.

5- المرجع نفسه، ص17.

6- المرجع نفسه، ص59.

7- المرجع نفسه، ص35.

8- المعجم الموحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ، ص41.

9- المرجع نفسه، ص94.

10- المرجع نفسه، ص97.

11- المعجم الموحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ، ص94.

12- عز الدِّين البوشيخيّ- محمد الوادي، قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانيَّة، دط. الرِّباط: 9-10-11 مارس 2000 م جامعة مولاي إسماعيل، كلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة مكناس- جامعة سيدي محمَّد بن عبد الله، كلِّيَّة الآداب ظهر المهراز، معهد الدِّراسات المصطلحيَّة فاس، سلسلة 12، ع1، ص189.

13- المعجم الموحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ، ص12.

14- المرجع نفسه، ص53.

15- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1. بيروت- الجزائر: 1428هـ-2008م، الدَّار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف، ص32.

16- ينظر: محمد خطَّابي، لسانيَّات النَّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2. الرِّباط: بيروت: 2006م، المركز الثَّقافيّ العربي، ص 27.

17- المعجم الموحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ، ص 48.

18- المرجع نفسه، ص 82.

19- آن روبول، جاك موشلار، التَّداوليَّة اليوم علم جديد في التَّواصُل، تر: سيف الدِّين دغفوس محمَّد شيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، ط1. بيروت: تموز (يوليو) 2003م، دار الطَّليعة للطِّباعة والنَّشر، ص 262.

20- المرجع نفسه، ص 262.

21- المرجع نفسه، ص 262.

22- المعجم الموحَّد لمصطلحات التَّواصُل اللُّغويّ، ص 48.

التعامل مع المصطلح التراثي بين المنهجية والاعتباطية

أ. بلقاسم منصوري
جامعة مولود معمري، تيزي–وزو

إنّ الحديث عن المصطلح التراثي يستدعي في نظرنا التنبيه إلى ثلاثة اعتبارات أساسية؛ وهي أنّ هذا الموضوع من أصعب المواضيع التي رافقت التقدم العلمي وإنّ هذا الموضوع مرتبط أساسا بإشكالية تأصيل وتحديث اللغة العربية بصفة عامة، والذي يرتبط بدوره حول الجدل القائم حول تجريد اللغة العربية من صبغة الحصانة التي تحمّل عليها باعتبارها لغة تؤدي نصوصا دينية مقدسة، إضافة إلى الاعتبار الثالث وهو أنّ مسألة إعمال أو إهمال المصطلح التراثي يختلف عن مسألة وضع المصطلح العربي بصفة عامة.

ولا يمكن الحكم على علمية أي علم إلاّ إذا توفرت فيه ثلاثة أسس أكدها الدارسون في أبحاثهم؛ وهي الموضوع المحدد الذي يبحث فيه، والمنهج المتبع للوصول إلى الحقيقة العلمية، والمصطلحات الخاصة به؛ التي تميّزه عن غيره من العلوم، وتوضح مفاهيمه، ونحن في دراستنا سنعالج قضية التعامل مع المصطلح التراثي، وحضوره في الاستعمال المعاصر، وهذا يعود لعدة اعتبارات تواجه اللغة العربية في عصرنا الراهن:

1- المفاهيم الغربية الوافدة، ومحاولة الهيآت المختصة إيجاد مقابلات لها باللجوء إلى الرصيد التراثي؛

2- المنهجيات والشروط النظرية التي وضعها أهل الاختصاص، من أفراد ومجامع وهيآت متخصصة، للتحكم في المطلحات وتوحيدها؛

3- مراعاة خصوصية المصطلح التراثي.

يعدّ المصطلح من أهم المؤشرات التي نتبين بها ما وصل إليه العلم من نضج وتمكُّن، وبفضله يصل إلى درجة التجريد العقلي، فهل وظّف العرب المحدثين تقنيات العلوم اللسانية المعاصرة في بناء مناهج علمية في وضع المصطلح؟ وكيف تعاملوا- أو ينبغي أن يتعاملوا مع المصطلح التراثي- كمعطى مرجعي؟

ميلاد الصناعة المصطلحية عند العرب: شهد القرن الثاني للهجرة ميلاد المفاهيم العربية في مختلف العلوم من مصطلحات تعبر عن الثقافة العربية أنذاك بهدف الدفاع عنها بحجج منطقية، وفي هذه الفترة تلاقح الفكر العربي مع الفكر الأجنبي من فارسي وهندي ويوناني، وكان هذا في البدايات الأولى من نشأة العلوم العربية، وهذا لا يعني عدم أصالتها، وإنّما يعني قدرة العقل العربي على المثاقفة مع تراث العالم، وقدرة اللغة العربية على استيعاب الأفكار الجديدة[1]، فالأصالة هي سمة كل عمل فكري يبرز فيه جانب الإبداع، والإنتاج الأصيل قد يكون قديما وقد يكون معاصرا، كما أنّه لا يعدم الأصول، بل هو صياغة جديدة لجملة من الأصول المعروفة، إنّها عملية دمج تعطينا كائنا جديدا.

المصطلح التراثي الحد والمفهوم: قبل أن نحدد مفهوم المصطلح التراثي يتوجب أن نقف عند حد المصطلح وحد التراثي.

قد مرّ المصطلح العربي منذ نشأته الأولى بطورين:

الطور الأول: أي غالبية البنية المجازية على غالبية المصطلحات التي ظهرت في بداية تشكّل العلوم العربية، وعلى وجه الخصوص العلوم اللغوية، وهو ما يؤكد نقص الحبرة في تأسيس المصطلحات العقلية المجردة في تلك المرحلة من تطور العقل العربي، والذي أدى إلى عرقلة استقرار المصطلح العلمي في الثقافة العربية وإذا تتبعنا التغيّر في دلالات المصطلحات العربية فسوف نحصل على أكثر من دلالة للمصطلح الواحد، في مراحل زمنية مختلفة، فمصطلح المجاز مثلا كان يعني لدى أبي عبيدة ت 210 هـ التفسير، ثم تحول إلى معنى النقل بالمفهوم البلاغي

كما أنّ مصطلح البلاغة مرّ بمراحل مختلفة من المعاني إذ أطلق عليه البيان والفصاحة والبلاغة والخطابة وكلها، تعني البلاغة[2].

وكان التعامل بالمصطلح النظري يعني في ثقافة ذلك العصر إحالتها إلى طلاسم كهنوتية، غير مفهومة، وعندما اتسعت الذخيرة الاصطلاحية في هذه الثقافة بادرت إلى تأسيس مقدمات نظرية شملت العلوم كلها، وهو ما يطلق عليه العصر الذهبي للفكر العربي في بغداد والبصرة والكوفة والموصل[3].

كما أن الفكر العربي مرّ بطورين معرفيين وهي المعرفة الفطرية التي كانت قبل عصر التدوين، والمعرفة الثقافية وهو عصر التفكير الذي ولّد لغة اصطلاحية شاملة جعل من اللغة العربية تنتقل من حالتها الوجدانية إلى لغة قادرة على استيعاب لغة العلم والثقافة[4]

عرف الشريف الجرجاني (ت: 816هـ) في كتابه الكليات الاصطلاح بقوله: "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما، يُنقل عن موضعه الأول"[5].

ويعرف محمود فهمي حجازي المصطلح بقوله: "هي الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصص الواحد، للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصص"[6].

أمّا "التراث هو من نتاج فترة زمنية تقع في الماضي وتفصلنا عن الحاضر مسافة زمنية ما، تشكّلت خلالها هوة حضارية فصلتنا وما زالت تفصلنا عن الحضارة المعاصرة، الحضارة الغربية الحديثة"[7]

"فالفجوة قائمة وعميقة بين ماضينا ومستقبلنا المنشود، فما نسميه التراث يوجد هناك في فترة من فترات الماضي، إنّه تراث حضارة، توقفت فيها جوانب التقدّم والإبداع منذ زمان، فأصبحت بعيدة عن واقع العصر الذي نعيش فيه، والفكر الأروبي الذي أصبح اليوم فكرا عالميا يوجد هو الآخر هناك، كحلقة في سلسلة من التطور لم نعش بداياتها ولم نواكب بالتالي تطورها، أما حاضرنا بكل قضاياه ومعطياته ... فيشكل مزيجا فريدا أو مجمعا غريبا تتلاطم فيه بقايا أمواج ماضينا

وامتدادات أمواج حاضر غير حاضرنا ... هكذا نجد أنفسنا نعيش ثلاثة عوالم تحتوينا كلا أو بعضا دون أن نحتويها مجتمعة" [8].

ومن هنا فمفهوم المصطلح التراثي هو: **مجموع الألفاظ الاصطلاحية التي عُبر بها عن مفاهيم في أي علم من العلوم التي عرفها تراثنا عبر التاريخ.**

الابتعاث في النظر أثناء وضع المصطلح: والابتعاث ليس الإفراط أو التعسف أي على واضع المصطلح أن يبتعث (التاء زيدت للمبالغة في معنى البعث أي الإرسال والإحياء، أما النظر فهو التأمّل والتفكر[9].

ويعدّ جابر بن حيان (160 هـ) رائدا في تأسيس علم المصطلح في مباحث الفكر العربي آنذاك فهو يرى أنّ كتبا في الحدود ذات أفانين ومتصرفات متباينة بحسب طبقات العلوم، ويحدد وظيفة المصطلح في رسالة الحدود بقوله: "واعلم أن الغرض بالحد هو الإحاطة بجوهر المحدود على الحقيقة حتى لا يخرج منه ما هو فيه، ولا يدخل فيه ما ليس منه، لذلك صار لا يحتمل زيادة ولا نقصان"[10]

واقع الاهتمام بالمصطلح التراثي:

1- **المؤسسات الرسمية:** إن الاهتمام بالمصطلح التراثي لدى المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، ضعيف، وأنه متأثر كل التأثر بالتصور العام السائد للمسألة المصطلحية مفهوما ومجالات: ذلك بأن الذي يتبادر إلى الذهن أولا، عند ذكر المسألة المصطلحية، هو هذا الهم المصطحي الذي حُمّله مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليكسو)، وما يُنسق، أو يُفترض أن ينسق، بينه من مجامع لغوية، ومعاهد ومؤسسات، ولجن للترجمة والتعريب.

وبناء على هذا التصور العام صدرت قرارات الندوات والمؤتمرات المتعلقة بالمصطلح العلمي في التراث مثل:

- ما أقرته ندوة الرباط سنة 1981 من ضرورة استقراء وإحياء التراث العربي، وخاصة ما استعمل منه، أو ما استقر منه، من مصطلحات علمية عربية

صالحة للاستعمال الحديث وما ورد فيه من ألفاظ معربة. ثم ما اقترحته في المقترح الخامس من "الاستعانة بالتقنيات الحديثة الرائدة في استقراء التراث القديم والحديث، والمصطلحات الموضوعة، لتكون أساسا لتنسيق المصطلحات وتوحيدها".

– ما أقرته ندوة عمان سنة 1993 من "اعتبار ما ورد بخصوص منهجية وضع المصطلح العلمي العربي في ندوة الرباط 1981 الأساس الذي ينطلق منه تطوير هذه المنهجية"[11]

ثم من المطالبة باستقراء الأمهات من المؤلفات التراثية، والتعمق في آرائها ونظرياتها ومصطلحاتها القويمة المبررة للاستفادة منها في وضع المصطلح العلمي المعاصر.

– ما أقرته ندوة دمشق 1999 من "الحرص على استعمال ما جاء في التراث العربي من مصطلحات عربية أو معربة وتفضيل المصطلحات التراثية على المولَّدة."[12]

2– **لمبادرات الفردية:** يقول الباحث جواد حسني سماعنة، رحمه الله، محاولا تصنيف تلك الجهود: "تتباين أهمية المصطلح العربي التراثي من معجمي إلى آخر فهو ذو منزلة أولى في معاجم العلماء وشيوخ اللغة المجمعيين الأوائل استقصاء وجمعا وتدوينا، أمثال: أحمد فارس الشدياق، وحسني سبح، ومصطلفى الشهابي وعند بعض المصطلحيين المحدثين أمثال: أحمد شفيق الخطيب، وهم كلهم أو جلهم أعضاء رسميون أو مراسلون في المجامع اللغوية والعلمية العربية. وهو في منزلة دون ذلك، عند علماء الاختصاص المحدثين الذين لا يتقنون اللغة العربية... مفضلين عليه التعريب اللفظي والترجمة الحرفية اعتقادا منهم بأن المصطلحات التراثية لا تفي بدلالات المصطلحات الأجنبية الحديثة"[13].

التعامل مع المصطلح التراثي وضرورة تفعيله: مادام أن التراث هو مجموع الجهد الحضاري عند العرب بين القرن الهجري الأول والقرن العاشر، كما يمثل نسقا ثقافيا ممتدا عبر تاريخ الأمة العربية يعبر عن حضارتها وشخصيتها ويعكس

فترات إبداعها وتفوقها كما يعكس أيضا فترات خمولها وتقهقرها فهو مرصد لحركة العقل العربي وتطورها التاريخي في مجالات العلم، فتفعيل مصطلح ذلك المنتوج هو زرع الروح فيه بإخراجه من الإهمال إلى فضاء الإعمال بما يحقق مصلحة الأمة العربية الفكرية والحضارية، على أساس أن هذا الإخراج للمصطلح التراثي من جموده لن يكون موفقا ما لم ينبن على منهجية علمية شاملة للتعامل مع التراث عموما والمصطلح خصوصا.

ويستمد تفعيل المصطلح التراثي مشروعيته من كونه يحتوينا باستمراريته ولم تحدث أي قطيعة بيننا وبينه ولا سبيل إلى الانفكاك عن حقيقته التاريخية، حضوره القوي في حاضرنا، وما يفتح من آفاق مستقبلية متعددة الأبعاد يمكن زرع روح الفاعلية في الحياة الفكرية والإنتاج الحضاري.

ويستمد التفعيل مشروعيته ثلاثية **الاقتحام ،المحافظة، التجديد**، وهي ثلاثية نتناولها بإيجاز شديد بما يخدم مشروعية تفعيل المصطلح. والاقتحام والمحافظة والتجديد في هذه الثلاثية تمثل مراحل عرفها تاريخ التراث العربي؛ فالاقتحام مرحلة ذات طابع اجتهادي اقتحامي، استغرقت طيلة القرون الخمسة الأولى الهجرية، انتشر فيها العلم انتشارا واسعا وتم فيها إرساء قواعد الثقافة العربية وليس مبالغة تسمية هذه المرحلة بالمرحلة الاقتحامية لأن العرب كانوا يحملون مشروعا كونيا يقتحمون به العالم، والمحافضة مرحلة ذات طابع دفاعي يتسم بالمحافظة على ما أنجز، أما التجديد فبدأ مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ولا زالت مستمرة حيث بدأت الأمة تستعيد إفاقتها وتشعر بتأخرها عن أمم كانت بالأمس أضعف منها، فبدأت تفكر في عوامل انحطاطها وسبل نهضتها.

وعلاقة هذه المراحل بالتفعيل للمصطلح التراثي هو أخذ نفس مرحلة الاقتحام وتجاوز مخلفات ورواسب مرحلة المحافظة ومناسب غاية المناسبة لمرحلة مشروع التجديد.

منهج التعامل مع المصطلح التراثي: إنّ تتبّعنا المصطلحات الموجودة في عالمنا العربي، نستطيع أن نرى بوضوح ذلك الالتباس والإشكال في فهم هذه المصطلحات، التجديد في قراءة هذه المصطلحات، وحسب منهج متمثل بالخطوات التالية:

- البحث عن دلالات المفهوم في لغته الأصلية التي أُخذ منها وحمل بدلالاتها ومعانيها، ومن ثمّ يتمّ الوصول إلى تجريدٍ للمفهوم يعبِّر عن حقيقته وجوهره وماهيته بعيداً عن أيّ إلتباسٍ بخبراتٍ أو دلالاتٍ لحقتْ به في تطوره.

- تتبع تطور المفهوم في البيئة الأصليّة وكيف تمّ سحبه من معانيه اللغوية إلى معانٍ اصطلاحية معيّنة. وهل هناك اتساق بين الاثنين؟ أم أنّ المفهوم تجاوز تماماً الدلالات اللغوية وحُمِّل بدلالات أخرى.

- التركيز على واقعة الترجمة واختيار مقابل عربيّ–أو أيّة لغةٍ إسلامية–لهذا المفهوم، وهل تمّتْ ترجمةً للمعاني والدلالات أم للفظ في معناه الظاهر فقط؟، وذلك من خلال تجريد دلالات اللفظ في لغته الأصيلة وتجريد الدلالات العربية للفظ والمقابلة بينهما في صورتها المجرّدة بعيداً عن التعريفات والماصدقات.

- تتبع تطور المفهوم في الفكر الإسلامي التالي لترجمته ومدى التغيير الذي لحِق باللفظ، وهل ظلّ اللفظ العربي محافظاً على دلالات المفهوم الأجنبي أم الدلالات الأصيلة له في اللغة العربية – باعتبارها أمّ اللغات الإسلامية – أم أحدث مزيجاً منهما ؟.

– العودة للدلالات العربية الأصيلة للمفهوم الإسلامي الذي وضع كمقابل للمفهوم الأجنبي، وتوضيح المعاني والدلالات الحقيقية له، ومقارنتها بالدلالات المعاصرة لهذا المفهوم التي هي دلالات المفهوم الأجنبي نفسها، وذلك تمهيداً لمحاولة إعادة تعريف المفهوم إسلامياً أو تنقيته مما لحِقَهُ من ظلال المفهوم الأجنبي، وصولاً إلى المعاني والدلالات الأصيلة للمفهوم العربي.

الهوامش:

1- ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، ط1. دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان: 2009، ص63.

2- ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، ص63-64.

3- ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، ص65

4- ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، ص66-67

5- الشريف الجرجاني، التعريفات، ط1. مكتبة لبنان، بيروت: 1985، ص28.

6- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دط. مكتبة غريب، مصر: دت ص08.

7- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات ومناقشات، ط1. مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان: 1991، ص30.

8- محمد عابد الجابري، نفس المرجع، ص36.

9- ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، ص71.

10- جابر بن حيان، رسالة الحدود، ضمن كتاب "المصطلح الفلسفي عند العرب"، دراسة وتحقيق: عبد الأمير الأعسم، ط1. مكتبة الفكر العربي، بغداد: 1985، ص 164-165.

11- بحوث ندوة عمان 93، النقطة الأولى من تقرير لجنة الصياغة

12- مجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق، مج 75، ج4، ص1038.

13- جواد حسني سماعنه، المصطلحية العربية بين القديم والحديث، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس بالرباط، السنة الجامعية 1998-1999، ص 465.

المصطلح اللّساني العربي إشكالات وحلول

أ. تهامي بلعقون

جامعة مولود معمّري، تيزي–وزو

يهتمّ هذا المبحث بقضيّة أسالت حبر الكثير من الباحثين والدّارسين، وهي ما تُعرف بإشكالية المصطلح اللّساني العربيّ الحديث، حيث حاولتُ في هذا البحث البسيط تسليط الضوء على وضعيّة المصطلح اللّسانيّ في الثقافة اللّسانيّة العربيّة الذي بات يشكل–حسب رأي الكثير من الباحثين– عقبة من العقبات التي تحول دون تطور هذا العلم، فقد أحدثت إشكالية المصطلح اللّسانيّ ضجّة كبيرة في أوساط الباحثين والنقّاد المهتمّين بهذا المجال النَّشِط من مجالات المعرفة؛ نظراً لأهميّته البالغة في نشر اللّسانيات بأُسُسها ومبادئها العلميّة الصّحيحة والدقيقة، وقد حاولتُ من خلال هذه المداخلة أن أقف على مسبّبات هذه الإشكالية والتّعريف بالمجهودات المبذولة من طرف الأفراد والمؤسّسات في مجال المصطلح اللّسانيّ واقتراح الحلول والبدائل الممكنة.

وقبل الشروع في الحديث عن إشكالية المصطلح اللّساني؛ فإنّ المنهج العلميّ يقتضي الحديث عن العلم الذي يحوي هذه الإشكالية، فاللّسانيات علم حداثيّ برز في بداية القرن العشرين واستطاع أن يحجز لنفسه مكانة بين الكثير من العلوم الإنسانية والتجريبية، ولعلّ السبب الذي جعل اللّسانيات تشغل صدارة العلوم الإنسانية؛ تميّزها بتوجّه علميّ دقيق قرّبها من العلوم المجاورة لها، إضافة إلى الدقّة والوضوح الابستمولوجي بالنسبة لمنهجها وأسسها القائمة عليها، فلا أحد يمكن أن يشكِّك من قريب أو من بعيد في الدور الذي تلعبه اللّسانيّات في مجال خدمة العلوم الأخرى، فلقد أضحت اللّسانيات بفضل توجّهها العلميّ جسراً تعبره كلّ العلوم الإنسانيّة في سبيل تحقيق الرِّيادة العلميّة.

ولقد استفاد الغرب كثيرا من نتائج هذا العلم في مجال العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، فاللّسانيات استخدمت في المجال التربوي، ونقصد بذلك طرق تعليم اللّغات القومية للناطقين وغير الناطقين بها، كما وظّف الغرب نتائج اللّسانيّات في مجال الحاسوبيّات، فكانت نتائج دراساتهم تتّسم بالدقّة والعلميّة، كما وظّف الغرب نتائج اللّسانيات في الجانب الاجتماعي فوضعوا الأطالس اللّغوية الجغرافية وغيرها من المجالات المعرفية الأخرى، فالحديث في هذا المجال يطول لكن ما يهمّنا أنّ الغرب استفادوا من النتائج التي توصلت إليها اللّسانيات، واستثمروها على نطاق واسع.

أمّا في الثقّافة العربيّة، فالمتتبِّع لما هو سائد في الكتابات الأدبيّة واللّغويّة العربيّة؛ يُلاحِظ إقبالاً متزايداً على اللِّسانيّات وفروعها، غير أنّ هذا الاهتمام لا يمكنه أنْ يُخفيَ حقيقة بارزةً مفادها أنّ الدّرس اللِّسانيّ العربيّ لم يُعطِ بعدُ ما كان متوقعاً منه، على نحو ما حدث في الثقّافة الغربيّة، فاللّسانيّات في ثقافتنا كما يُعبِّر عنها أحد الباحثين بأنّها "لسانيّات لا تراوح مكانها، فقدت كل البريق واللّمعان اللّذيْن دوّخا المثقفين والباحثين العرب إلى عهد قريب"[1] فهذا العلم وعلى الرّغم من مرور أكثر من نصف قرنٍ على دخوله إلى ثقّافتنا يُوصَفُ من قبل الكثير من المختصّين بأنّه علمٌ لم يبرح مكانه، وهذا ما أدّى إلى القول بوجود أزمةً في تلقّي هذا العلم في ثقّافتنا العربيّة. يقدم عبد الرحمن الحاج صالح واصفا الحالة اللِّسانية العربية فيقول: "يتَّصف البحث العلميّ في اللّغة العربيّة في زماننا هذا بصفات جدُّ سلبية، بالإضافة إلى ما يعرفه العصر من تكنولوجيا حديثة تطبق على البحوث اللّغوية بنجاح تام في البلدان الراقية ويعرف كل واحد البطء الذي يسير به وضع المصطلحات وإقرارها وحرفية هذا العمل وفرديته ومشكل ذيوع هذه المصطلحات في الاستعمال"[2].

إنّ مواكبة تطوّرات البحث اللّساني العالميّ تطرح الكثير من الصعوبات التي لا تختلف في جوهرها عن صعوبات في مجالات الفكر والثقّافة، ويزيد الأمر تعقيدا كون هذا العلم يُعتبر في نظر العديد من الدّارسين من العلوم الكمالية، فاللّسانيات

في الثّقافية العربيّة تعاني من أزمات كثيرة ومتعدّدة منها أزمة تلقِّي هذا العلم في الفكر العربي وما طرحه من صعوبات كبيرة، وأزمة أو إشكالية المصطلح التي ما تزال تثقل كاهل المهتمّين بتطوّر البحث اللّسانيّ العربيّ، بوصفها العقبة الكأداء التي تواجه مشروعية استقرار العلم في المؤسّسة العلميّة العربيّة.

واقع المصطلح اللّساني بين الاضطراب والتعدّد: إنّ مفاتيح العلوم مصطلحاتها ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفيّة وعنوان ما به يتميّز كلّ واحد منها عمّا سواه، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان الوصول إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، فإذا استبان خطر المصطلح في كلِّ فنٍّ توضَّح أنّ السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي، الذي يُقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المنيع.

فالمصطلح يُعدّ ركيزةً أساسيّة في العلوم، فليس هناك علم دون مصطلح، كما لا يُمكن التوصّل إلى كنه العلم ومنطقه ما لم نتمكن من مصطلحاته، فللمصطلحات دور كبير ومهم في بناء وإنتاج المعارف.

والمصطلح رمز لغوي يدلّ على تصور ذهنيٍّ أكثر ما يكون متفقاً عليه، وهذا التصور يربط بين المصطلح والمفهوم، وهو على حدّ تعبير المعاصرين "لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلميّة"[3] ويعرّفه علي القاسمي بقوله: "هو العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والألفاظ اللّغوية"[4] ومن خلال هذه التعاريف يتضح لنا أنّ للمصطلح جانبين؛ الأول نظري متعلّق بواضعي المصطلح، والثاني تطبيقي متعلّق بالمصطلح نفسه. وغير خافٍ على أحد أهميّة المصطلح باعتباره ركيزة أساسيةً ودِعامة حيوية للممارسة العلميّة ذاتها. فليس هناك علمٌ دون مصطلح ولهذا السبب أولى العلماء بمختلف مشاربهم عناية فائقة للمصطلح.

وعلى الرّغم من الاهتمام الكبير من طرف المؤسسات والمجامع والأفراد بالمصطلحات بصفة عامة والمصطلح اللّساني بصفة خاصّة، إلاّ أنّ المصطلح

يعاني من إشكاليات كبيرة، فلقد ذهب جملة من الباحثين واللّغويين إلى أنّ مشكلة المصطلح بدأت بالتحديد منذ بزوغ فجر النّهضة العربية الحديثة؛ حيث توافدت على البلاد العربية مفاهيم علميّة ومخترعات جديدة في جميع المجالات، فاجتهد العلماء والمختصون والقائمون على المؤسسات التربوية في إيجاد وتوليد مصطلحات عربية تعبّر عن تلك المفاهيم" وبعد فترة وجيزة اتضح أن اللّغة العربية أمست تعاني من ازدواجية مصطلحية فحواها التعبير عن المفهوم الواحد بعدّة مصطلحات، أو التعبير بمصطلح واحد عن عدّة مفاهيم"[5]. ولم تقتصر الأزمة على علم دون آخر، فلد مسّت جميع العلوم دون استثناء ولعلَّ اللّسانيات من العلوم التي لم تَسْلم من أزمة المصطلح؛ كونها من العلوم المقترضة الواردة من ثقافة غير عربية، فالكثير من الدارسين يذهب إلى أنّ مشكلة المصطلح اللّساني بدأت في الظهور بداية القرن العشرين، حين بدأت الاتّصال الفعليّ بالعلوم اللّغوية الغربية فلقد حاول اللّسانيّون العرب ممّن درسوا في الجامعات الغربيّة، نقل هذا العلم إلى الثقافة اللّغويّة العربيّة، فظهرت الحاجة إلى إيجاد مقابلات لهاته المصطلحات الغربيّة يقول عبد الصبور شاهين: "ومن المسلَّم به في محيط الدراسات اللّغوية العربية أنّ مشكلتها مشكلة مصطلحات فما زال أساتذة علم اللّغة الحديث من العرب يحاولون أن يضعوا ترجمات ومقابلات لما يصادفون من مصطلحات غربية نتجت من اختلاف التقسيمات أو تصحيح المدلولات"[6].

لقد كثرت المصطلحات اللّسانية كثرة لا يمكن حصرها، ممّا أدّى إلى عدم القدرة على إحصائها والإلمام بها من قبل الباحثين، وقد غدا هذا العلم عند الكثير من الباحثين ضبابياً بسبب هذه المشكلة، فقد تدفَّق إلى المعجم اللّساني كمٌ هائل من المصطلحات التي لم تستقر في مفهومها أو ترجمتها "فهي مشكلة تعدُّ أكبر المشاكل التي رافقت دخول اللِّسانيات الأجنبية ودرسنا الحديث، فاللّسانيات تعاني أساسا ما تعانيه العلوم المقترضة من مشكلات تتصل بوضع ثمرات الدرس الأجنبي في متناول الباحثين العرب من حيث اللّغة والأسلوب والطرق المنهجية"[7] وقد نتج عن

فوضى المصطلحات "أنّ معظم الدّارسين صار يفضّل ما استعمله هو أو ما ابتدعه دون الالتفات إلى توحيد المصطلحات أو مراعاة شيوعها أو موافقتها لخصائص العربيّة، وقد ظهر ذلك جلياً لدى الدّارسين ولا سيما العائدين من الدراسة في الدول الأجنبية"

إنّ صفة الخلط والاضطراب الكائنين في إشكالية المصطلح التي عمّت جميع الممارسات والاجتهادات تفاعلت حتّى أصبحت إشكالية من إشكاليات الثقافة العربيّة الحديثة، فقد وصفها مصطفى الشهابي بأنّها داء خطير ينخر جسد اللّغة العربية حيث يقول: "لقد أصبح اختلاف المصطلحات العلمية داء من أدواء لغتنا الضادية وهذا الداء ينمو ويستشري كلما اتسعت الثقافة في البلاد العربية، وكثر نقلة العلوم الحديثة وعدد المؤلفين في تلك العلوم، ولعل أهم سبب من اختلاف المصطلحات إنّما هو فقد الاتصال بين النقلة والمؤلفين في مختلف أقطارنا العربية"[8] وهو ما يعرف التعصب القطري.

"إنّ اضطراب المصطلح راجع إلى تعددية المناهج المتبعة عربياً في صوغ المصطلح التي تخضع بدورها لمنظور التعريب المتبع في هذا البلد العربي أو ذاك. ومن هذا المنطلق نجد من يصوغ المصطلح العربي مترجماً معناه، وهناك من يعربه، أي ينقله بلفظه الأجنبي مع إخضاعه للوزن والنطق العربيين ويضع آخرون المصطلح باعتماد الاشتقاق أو التوليد أو النحت، ويرجع آخرون للتراث العربي قصد إحياء ما فيه من مصطلحات. وقد سار على هذه الطرق جميعها كل الدارسين العرب أفراداً وجماعات مؤسسات وهيئات، تعددت الوسائل والهدف واحد. وقد أدى هذا التعدد في تصور وضع المصطلح"[9] إلى خلق لغات علمية عربية عديدة قائمة الذات.

لقد بلغ المصطلح اللّساني حدّه الأقصى الذي ينذر بكارثة مصطلحية، هي نتاج حركتيْ التعريب والترجمة العشوائيتين اللّتين كان لهما أثر سلبيّ في صناعة المصطلح، وفي إفشال عمليّة التثاقف بين العالمين العربي والغربي، وفي غياب

الرقابة من المؤسسات المعنية بمراقبة وتوحيد المصطلحات وتأطير عملية التعريب والترجمة، انتشرت في الساحة اللّسانية الكثير من المصطلحات التي توصف في غالب الأحيان بعدم الدّقة والإتقان"فترجم المصطلح الواحد بعشرات الأشكال حتى اختلفت الترجمة وتعريب المصطلح من بلد إلى آخر، بل حتى داخل البلد الواحد نفسه إذ نجد تباينا في المصطلحات من مؤسسة لأخرى"[10].

ولعلّ أبرز مثال لتعدد المصطلحات اللّسانية هو عنوان هذا العلم (Linguistique) فلقد اختُلِف في ترجمة هذا المصطلح اختلافاً كبيرا، ممّا نتج عنه الكثير من المقابلات له والتي لم يستقر على أيّ منها ولقد أحصى منها الدكتور عبد السلام المسدي في قاموس اللّسانيات (23)[11] مصطلحا من بينها: علم اللّغة علم اللّسان، اللّغويات، علم اللّغويات الحديث، الألسنية الألسنيات، اللّسْنيات، الدراسات اللّغوية الحديثة علم اللغة العام، اللانغويستيك، علم اللّسان البشري... وإن كانت ندوات اللّسانيات التي عُقِدت في تونس1978 ودمشق 1981 أجمع فيها المعنيّون والمختصّون على استعمال مصطلح (لسانيات) إلاّ أنّ هناك من الباحثين من يفضل استعمال مصطلحات أخرى لأسباب متعدد. ومن أمثلة التعدد أيضا "ترجمة sign برمز أو علامة أو إشارة أو دليل، وترجمة phrase بركن وركينة وتركيبة وتركيب ومركب وترجمة discours بحديث وقول وخطاب وكلام"[12].

ومن الأمثلة على ذلك أيضا ما نجده عند الدكتور السعران الذي يدلل على مصطلح (phonology) بالفونولوجيا أو علم الأصوات اللّغوية الوظيفي، ويعلق على ذلك فيقول: "والدكتور تمام حسان في كتابه (مناهج البحث في اللغة) يترجم هذا المصطلح بـــ(التشكيل الصوتي) ويترجم (phnonlogical) بـــ(تشكيلي) أو (التشكيلية)... ونحن نؤثر استعمال (الفونولوجيا) و(فونولوجي، أو فونولوجية) حتى يظهر مصطلح عربي محدد ومرن" ومن خلال عبارته الأخيرة"[13] حتى يظهر مصطلح عربي محدد ومرن" يظهر لنا مدى الاضطراب والحيرة في ترجمة المصطلح الذي وقع فيه الكثير من اللّسانيين. يقول الدكتور الفاسي الفهري في هذا

السياق: "ومن مظاهر الفوضى الاصطلاحية؛ اقتراح مقابلات غير واردة ولا تؤدي المعنى من ذلك ترجمة(phonology) بعلم الأصوات الوظيفي، وphonetics بعلم الأصوات وطبعا هناك فنولوجيا وظيفية، وفنولوجيا غير وظيفية، كما أن هناك فونيتيك وظيفية حينها نضطر إلى نقل funcstional phonology بعلم الأصوات الوظيفي غير الوظيفي، ونخلط في الترجمة بين(phonology) و(funcstional phonology) وهذا يدل على أنّ الترجمة لم تراع الحقل الدلالي وكذلك السياق الذي يرد فيه اللّفظ"[14].

ومن ملامح اضطراب دلالة المصطلح ما يحدث عند ترجمة مصطلح أجنبي "فالمصطلح اللّساني يتميّز بأنّه مشحون بالدلالة أي الإيجاز الذي يغني عن كلمات كثيرة ونلاحظ في معاجمنا أنّه في كثير من الأحيان لم يتوخ واضع المكافئ العربي الإيجاز بل فكّك المصطلح وأتى بعبارات"[15] فقد يلجأ الكثير من المترجمين إلى التعبير عنه بجملة أو أكثر بدل كلمة واحدة ممّا يجعله مفتقرا لعنصر الإيجاز الذي يعتبر مهما في بناء المصطلحات، وأبرز مثال على ذلك مصطلح (synchronie) وهو: دراسة اللّغة في حالة استقرار، ومصطلح (diachronie) وهو: دراسة اللّغة في حالة تطور. ومن أمثلة ذلك أيضا مصطلح (dialectolgy) فقد ترجم بـ: لهجيات، علم اللّهجات، دراسة اللّهجات، دراسة العاميّة.

ومن مظاهر اضطراب المصطلح اللّسانيّ أيضا، معاناته من المشترك اللّفظي أي استخدام لفظة عربيّة واحدة مقابل أكثر من مصطلح عربيّ والأمثلة على ذلك كثيرة:

* احتكاكي: spirant ,fricative ,constrictive
* تعبيرة: sentence.word group. Phrase. Cluster
* الاشتقاق: dirivation/formation/dymology
* تقطيع: decopage/segmentation/syllabation[16]

ومن خلال هذه الأمثلة المقتضبة يمكن اعتبار المشترك اللّفظي "آفة من الآفات الواجب تجنّبها لأنّه يثير اللّبس ويعوق الفهم ويؤدّي إلى الخلط"[17].

أسباب اضطراب وتعدّد المصطلح اللّسانيّ: لقد كثُرت الاجتهادات الفرديّة والجماعيّة واختلطت في مجال معالجة المصطلح اللّسانيّ وأثمرت العديد من المعاجم الاصطلاحيّة الحديثة على المستوى الفرديّ، أمّا على المستوى الجماعيّ فلقد أسهمت المجامع العلميّة ومكتب تنسيق التعريب التّابع للمنظمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم إسهاماً عظيماً في خدمة المصطلح اللّسانيّ، وأتاحت الفرص للباحثيّن والمختصّين لنشر نتائج أبحاثهم ومعاجمهم الاصطلاحيّة، وعلى الرّغم من كثرت الجهود المبذولة؛ لا يزال المصطلح اللّسانيّ العربيّ يعاني من الاضطراب والتعدّد والغرابة، ولقد ردّ الكثير من المختصّين هذه الوضعيّة المزريّة إلى أسباب كثيرة ومتنوعة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 ــ اعتبار اللّسانيّات علماً حديثاً على الثقافة العربيّة اللّغويّة، فالعديد من أساسيّات هذا العلم ما تزال تشكّل عائقاً في تلقّي هذا العلم، فالكثير من مصطلحاته لم تُتمثّل بعد في المتخيّل اللّغويّ، إضافة إلى التفريع المتشعّب لهذا العلم، فالمجال المعرفي للّسانيّات يتميّز بالاتّساع وتعدّد المستويات والفروع، ولكلٍّ فرع مصطلحاته، ويتمظهر ذلك في انطواء الصوتيّات والتراكيب والصرف تحت عنوان اللّسانيات[18].

2 ــ التحيّز اللّغوي، وارتباطه بالتعصّب المدرسيّ والجهويّ، وهذا السبب في نظرنا تؤطّره عقليّة القبيلة التي تهيمن على التفكير والموقف العربيّ العلميّ، وناتج أيضا عن أنانيّة التفكير اللّسانيّ، ويمكن أن يصطلح عليها بالشوفينية القُطرية[19].

3 ــ التداخل الحاصل بين المصطلحات اللّسانيّة ومصطلحات العلوم الأخرى المجاورة، فالعلوم اللّغوية أضحت تمتح من العلوم الإنسانيّة كعلم النّفس وعلم الاجتماع والفيزياء وغيرها فظهرت علوم مستحدثة كعلم اللّغة الاجتماعيّ وعلم

اللّغة النّفسيّ وعلم اللّغة الحاسوبيّ، وهذا ما أدّى إلى تضخّم المصطلحات وتداخلها[20].

4 ــ ضعف الاتصال الثقافي بين الأقطار العربية وبخاصّة في البحث اللّساني وواقع التبادل العلمي الجامعي العربي شاهد حي على هذه الوضعية، وهذا ما يمكن أن نسمه بالنعرة القطرية الضيقة؛ "أي وجود شبه قطيعة بين اللّسانيين، فلا أحد منهم يهتمُّ بما يكتبه الآخر" وهذا ما يجعل أمر المصطلح اللّسانيّ في الثقافة العربيّة متروك للاجتهادات الفرديّة التي تقف عند حدود الاتجاهات اللّسانيّة، وفي أحسن الأحوال عند الحدود الجغرافيّة[21].

5 ــ الاعتباطية/ العفويّة في وضع المصطلح؛ أي عدم خضوعه لضوابط علميّة منهجيّة دقيقة وعدم اكتراث واضعيه بالأبعاد النّظريّة للمشكل المصطلحي اللّسانيّ، يقول الدكتور الفاسي الفهري: "وأهمّ ما يتّسم به وضع المصطلح العربي طابعه العفوي، بمعنى عدم تقيّده بمبادئ ضابطة تتحكّم في لفظه ومعناه ورواجه وقد قادت هذه العفوية إلى الكثير من النتائج السلبيّة، وإلى الاضطراب والفوضى وعدم تناسق المقابلات المقترحة للمفردات الأجنبيّة"[22]

6 ــ غياب سياسة لغوية شاملة، وتخطيط علميّ يضع ضمن أهم اهتماماته توحيد الخطاب اللسانيّ العربي في مستوى تداول النظريات والمصطلحات، ولعلّ أهمّ خطوة عمليّة في سبيل حل هذه المشكلة دعوة الجامعات والأفراد إلى تسويق جهودهم العلمية في ميدان المصطلح اللساني التداولي بخاصة واللساني بعامة عبر شبكة الانترنيت الدولية، أو من خلال استحداث بنوك معلوماتية تتيح للدارسين الاطّلاع على ما جدّ من كتابات وابتكارات اصطلاحيّة تفي بتلافي التكرار والتعدديّة السلبيّة[23].

7 ــ عدم الاستجابة الكاملة للمصطلحات التي أقرّتها المجامع اللّغوية ومؤسّسات التّعريب، وعدم وجود سلطة تفرض تطبيق ما تقرّه من مصطلحات فيمكن القول إنّ المصطلحات الموضوعة التي تصدره عن هذه المؤسّسات "تبقى

في الكثير من الأحيان حِبراً على ورق، أي في بطون المعاجم والكتب، على حين يستخدم الناس أو مستعملوا المصطلحات كلمات غيرها" فهذه المؤسسات لا تملك سلطة تلزم المؤسسات العلميّة أو التربوية استخدام المصطلحات، يقول الدكتور شاكر الفحّام: "إنّ المأساة الحقيقية في أمر المصطلح، هي وجود المصطلحات التي قامت بوضعها جهات علميّة عديدة، ولم يتح لها أن ترى النّور"[24] أدّى غياب السلطة المُلزمة لاستخدام المصطلحات إلى بلبلة وفوضى في المصطلح اللّساني.

8 ــ حرفيته، أي اقتصاره على البحوث الفردية، التي هي أشبه شيء بالصناعات التقليدية يعتمد فيه على المعالجة اليدوية كالنظر الجزئي في القواميس والاقتصار على جرد العديد من المعلومات بالأيدي العزلاء، بالإضافة إلى عدم شموليته بعدم الرجوع إلى كلِّ المصادر العربية التي يمكن الاستقاء منها بخاصة المخطوط منها، وجميع المراجع الأجنبية التي يمكن استغلالها لتحديد المفاهيم الحديثة[25].

9 ــ عدم اختبار قبول الجمهور للمصطلح الموضوع، وعدم الالتفات إلى حاجته ومصلحته، فيحدث أنّ الجمهور يستعمل فعليا مصطلحا يفي بالغرض، ولكنّ واضعي المصطلحات ليسوا على علم به أو أنّهم أهملوه لسبب أو لآخر، وبعبارة أخرى، أنّ المجمعيين والأكاديميّين لم يُجروا مسحا لما هو مستعمل فعلا من المصطلحات في الحقل العلميّ المعني قبل أن يُقدموا على وضع مصطلحاتهم الجديدة.

10 ــ استعمال المصطلح القديم في مقابل الأجنبيّ، يقول الدكتور الفاسي الفهري في هذا الصدد: "وقد حاولنا ما استطعنا الابتعاد عن استعمال المصطلح المتوفر القديم في مقابل المصطلح الداخل، لأن توظيف المصطلح القديم لنقل مفاهيم جديدة من شأنه أن يفسد علينا المفاهيم الواردة والمفاهيم المحليّة على السواء، ولا يُمكن إعادة تعريف المصطلح القديم وتخصيصه إذا كان موظفا"[26]

لقد عرضنّا في هذا المبحث جملة من المعوّقات التي تقف حجر عثرة في طريق التمثُّل الجيّد لمصطلحات اللّسانيّات، والتي تحُول دون الوصول إلى حلّ لأزمة المصطلحات اللّسانية.

الحلول المقترحة لأزمة المصطلح: يظهر لنا من خلال هذه المسحة الطفيفة على إشكالية المصطلح وبيان أسبابها؛ الحاجة الماسّة إلى وضع خطة منهجيّة لنقل المصطلح اللّسانيّ إلى اللّغة العربيّة، فيلزم" وضع تخطيط مدروس لاحتياجاتنا من مصادر أجنبيّة وعربية يكون عونا لنا في حصر المصطلح اللّسانيّ الحديث بمدارسة وفروعه المختلفة، وكذلك جمع المكافئات العربيّة بحيث لا يُحرم اجتهاد من الاجتهادات من فرصة الدخول في عمليّة الجمع والحصر"[27]

1 ــ تخصيص مصطلح واحد لكلِّ تصوّر يتمُّ اختباره بدقّة من بين المقابلات المتاحة أي أنّ المقابل العربي ينبغي أن يكون خالياً من الترادف والوضع الأمثل أن يخصّص مُقابِل عربيّ واحد لمصطلح بعينه.

2 ــ لابدَّ من الاستفادة بما حدث ويحدث في اللّغات الأخرى كاليابانيّة والصينيّة والكوريّة، وغيرها من اللّغات التي تكيفت وتصالحت مع المصطلحات الأجنبيّة وتقدّمت على دول عربيّة كثيرة في حلِّ هذه المعضلات.

3 ــ فتح مجال التسجيل لطلبة الدراسات العليا بكليات العلوم والكلّيات العلمية والتطبيقية لنيل الماجستير والدكتوراه في علم وضع المصطلحات والأداء العلمي والمعاجم العلميّة.[28]

4 ــ توظيف الحاسوب في مجال المصطلح؛ والمقصود بذلك بنوك المصطلحات التي تعدُّ نوعا من قواعد البيانات،يتخصّص في تجميع رصيد من المصطلحات العلميّة والتقنيّة، مع معانيها ومعلومات مفيدة عنها بلغو واحدة أو أكثر، ويُستخدم هذا النّوع وسيلةً معينة للمترجمين أو المصطلحيّين الذين يسعوْن إلى حصر صنف من المصطلحات أو تنسيقها أو تحديدها.

وقد يتخصّص بنك المصطلحات في نوع معيّن من المصطلحات، كما هو الحال في بنك المصطلحات التابع لشركة سيمنز في ميونخ، الذي يرك اهتمامه على المصطلحات المتعلّقة بالهندسة الكهربائية، فيُخزّن مصطلحاتها بثمان لغات أوروبية.

أمّا عن طريقة عمل بنوك المصطلحات؛ فالباحثون يقومون بتجميع المصطلحات من مصادرها... تتألف من المعاجم العامّة والمعاجم المتخصِّصة أحاديّة اللّغة كانت أو ثنائية اللّغة... وقوائم المصطلحات التي تصدر عن المجامع اللّغوية والمعاهد المتخصّصة، وهناك مصدر هامّ للمصطلحات هو النّصوص العلمية والتقنية، ثمّ يوضع كل مصطلح على جذاذة وجميع المعلومات التي تخصُّه ثمّ يقوم خبراء المصطلحات بتصميم نموذج لاستمارة خاصّة بإدخال المعلومات إلى الحاسوب الذي يتولّى تخزينها ومعالجتها طبقاً لبرنامج يحدّد له الخطوات الواجب اتّباعها، وبعد ذلك يُستنطق الحاسوب عن طريق لوحة المفاتيح، وتظهر إجابات الحاسوب على الشاشة الموضوعة للبحث، ومن مميّزات بنوك المصطلحات: حداثة المعلومات، وسهولة تخزين المصطلحات وتجميعها، وسرعة التعرف على التكرار والتناقض في المصطلحات، وتوفير الوقت والجهد والمال[29].

5 ــ العمل على إصدار مجلات علمية جماهيرية، يُشرف عليها علميّون متضلعون في تعريب العلوم وذلك على غرار مجلّة "العلم" القاهرية وقد تكون هذه المجّلات مترجمة إلى العربية كمجلّة "العلوم" الكويتية، على أن يلتزم المسؤولون عن هذه المجّلات في أعمالهم بقرارت وإصدارات مجامع اللّغة العربيّة في المصطلحات[30].

6 ــ إعادة الدّور الريادي للمجامع اللّغوية والمراكز البحثيّة لتُسهم في حلّ هذه الإشكالية[31].

7 ــ توحيد الترجمة اللّسانيّة في كافّة أقطار الوطن العربي "ولو توحّدت المصطلحات اللّسانية لكان من الممكن لظاهرة التّرجمة أن تكون كافية لإيجاد

معرفة لسانيّة متقدّمة، والأمر كذلك لو أنّ كل المترجمين كانوا على علم باللّغات التي ينقلون عنها"[32]

8 ــ العمل على قيام شبكة معلومات عربيّة للأنشطة المصطلحية على غرار الشبكة الدولية في مركز المعلومات الدولي لعلم المصطلح (إنفوترم) فمن خلال هذه الشبكة تتيسّر مجاراة النّشاط المصطلحي العالمي، ويسهل إشاعة المصطلحات الموحّدة بين العاملين في هذا المجال في كل أنحاء الوطن العربيّ[33].

9 ــ العمل على ترويج المعاجم العلميّة الصادرة عن مجامع اللّغة العربيّة وتوفيرها لدى الهيئات المهتمّة بتدريس العلوم وبالتأليف فيها بالعربيّة وترجمتها إليها، فذلك يساعد على إشاعة استعمال المصطلحات المتفق عليها[34].

الخاتمة: لقد عرضنا في هذه المداخلة المتواضعة موضوعا من المواضيع؛ التي نُوقِشت من قِبل الكثير من المهتمّين بمجال المصطلحات والتّعريب ولا ندّعي فضل السبق فيها، فلقد بُذلت في هذا المجال مجهودات كبيرة من طرف المجامع والمؤسّسات وغيرها، بهدف القضاء على هذه الإشكالية المحيّرة، والتي تزداد يوما بعد يوم بسبب التطور الحال في هذه العلوم المُقترضة من الغرب، هذا ما جعل الحاجة إلى توحيد المصطلح أصبحت ملحة إلى أقصى درجاتها، بخاصة ونحن في عصر الإنترنيت، وهو ما من شأنه تسهيل الاتصال وبناء الروابط بين اللسانيين والمترجمين العرب ليتبادلوا تجاربهم في هذا المجال وهو ما من شأنه تقليص الفوارق والاختلاف، على أننا نشايع من ذهب إلى أن وضع المصطلح بعامة واللساني منه بخاصة ليس رهين مواصفات مواضعاتية معينة بل هو خاضع للاستعمال العادي للغة في تعبيرها عن المفاهيم العلمية بكل سلاسة وطلاقة لا يجيدها كثير من اللغويين، أن ما أدى إلى انتشار اللغة العربية في عصرها الذهبي ليس مرده إلى تسامح معجمها اللغوي مع كل لفظة جديدة فحسب بل للريادة العلمية والعملية التي كانت للحضارة الإسلامية في ذلك الزمان.

الهوامش:

1 ــ مصطفى غلفان، اللّسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين. المغرب: 2006، شركة النشر والتوزيع المدارس،ص5.

2 ــ عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقية اللغات، محاضرة ألقيت في الندوة الدولية حول "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية" المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر أيام 6-8 نوفمبر2000، ص 25.

3 ــ مصطفى الشهابي، مصطلحات العلوم الزراعية، ص 14.

4 ــ علي القاسمي، في علم المصطلح،ط1. 2008، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ص634-637.

5 ــ د. محمد يوسف حسن، في تمكين العربية من الأداء العلمي، مجلة اللّسان العربي، العدد 39. 1995، ص256.

6 ــ هنري فليش، العربية الفصحى، تع وتر أحمد شفيق الخطيب، ط5، لبنان:2003، مكتبة لبنان ناشرون، ص 14.

7 ــ علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط1، مصر، دار النهضة القاهرة، ص 28.

8 ــ مصطفى الشهابي، توحيد المصطلحات العلمية العربية، ص537

9 ــ محمد مجيد السعيد: دور مؤسسات التعليم العالي في توحيد المصطلح وإشاعته. اللسان العربي عدد 29 ص148.

10- www.anaba.org/nbaa news ــ عبد الكبير الحسني، إشكالية المصطلح اللّساني، (مقال متاح على الشابكة).

11 ــ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس –ليبيا، ١٩٨٤ ص72.

12ــ د. عبد القادر الفاسي الفهري، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع نّدوة جهوية، الرباط 1987، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1991، ص 30.

13ــ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة، بيروت. لبنان. د ت ص 194.

14- عبد القادر الفهري، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ص 31 .

15- المرجع نفسه، ص 310 .

16ــ المرجع نفسه، ص 312 -313.

17ــ المرجع نفسه، ص 314.

18ــ جيلالي بن يشو، مشكلة اضطراب دلالة المصطلح اللّساني، مجلة اللغة العربية، العدد:24 السداسي الأول 2010، ص161.
19 ــ د. بوقرة نعمان، الكتابة اللسانية العربية وإشكاليات المصطلح التداولي، (مقال متاح على الشابكة).
20 ــ د.عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ط3. الدار البيضاء:1993، دار طوبقال،ج1، ص224.
21 ــ حمزة المزيني، التحيز اللغوي وقضايا أخرى، ص 214.
22– د. عبد القادر الفاسي الفهري، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ص 28.
23– د. بوقرة نعمان، الكتابة اللسانية العربية وإشكاليات المصطلح التداولي، (مقال متاح على الشابكة) ــ
24 ــ شاكر الفحام، قضية المصطلح العلمي، مجلة مجمع اللغة العربية دمشق، ص705.
25 – عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقيــة اللغات، محاضرة ألقيت في الندوة الدولية حول "مكانة اللغة العربية بــين اللغــات العالمية" المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر أيام 6–8 نوفمبر2000
ص 25.
26 – عبد القادر الفاسي الفهري، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ص 36.
27 ــ محمد حلمي هليل دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ندوة جهوية، ص 322.
28 ــ د. محمد يوسف حسن، في تمكين العربية من الأداء العلمي، مجلة اللّسان العربي، العدد 39. 1995، ص 45.
29 ــ علي القاسمي، في علم المصطلح، ط1. 2008، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ص634–637.
30 ــ د. محمد يوسف حسن، في تمكين العربية من الأداء العلمي، مجلة اللّسان العربي، العدد 39. 1995، ص45.
31 – الاستمداد من اللسانيات الحديثة، الاشكالات والضوابط ،مجلة الباحث، العدد: 04، جوان 2009، جامعة عمار ثليجي الأغواط. ص29.
32 ــ حافظ اسماعيلي علوي+ وليد العناتي، أسئلة اللغة اسئلة اللسانيات، الرباط، مكتبة 2009. الأمان+ منشورات اختلاف+ الدار العربية للعلوم ناشرون، ص53.

33 – د. محمد يوسف حسن، في تمكين العربية من الأداء العلمي، مجلة اللّسان العربي، العدد 39. 1995، ص45.

34 ــ المرجع نفسه، ص46.

مصطلحات إبراهيم بن مراد اللّسانية في المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات

أ. راضية حجبار
جامعة مولود معمري، تيزي-وزو

أدّى التقدم العلمي الكبير الذي عرفته أوربا في القرن الثامن عشر إلى بذل جهود كبيرة في مجال وضع المصطلحات وتوحيدها. فبدأت تظهر في شكل أعمال فردية، ثمّ أعمال المؤسسات والهيئات العاملة في مجال المصطلحات، ومنها مكتب تنسيق التعريب، الذي قام بإنجاز المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي– فرنسي– عربي) بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ بهدف إقرار مقابل عربي واحد، للمصطلح الواحد، في الحقل اللّساني. فإذا تعدّدت المصطلحات الدالة على مفهوم واحد، أدى ذلك إلى ارتباك في الفهم، ينعكس سلبا على استيعاب المعرفة العلمية وحسن تمثّلها. ولكن هل حقا يعتمد البحثة واللّسانيون هذا المعجم الموحّد، في كتاباتهم وفي الاستعمال الميداني: المهني والتعليمي؟ وهل ينفرد إبراهيم بن مراد بمصطلحات لسانية، غير واردة في المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات؟

وقبل هذا لا بأس أن نقدّم مفاهيم المصطلحات ذات العلاقة بالموضوع.

– **مفهوم المصطلح:** (le terme) كلمة المصطلح في اللغة العربية مصدر ميمي للفعل (اصطلح) من المادة "صلح" وقد حدّدته بعض المعاجم العربية: كالصّحاح: الصلاح: ضد الفساد[1]. كما دلت النصوص العربية على أنّ كلمات هذه المادة تعني كذلك الاتفاق، وتتوالد عن هذه المادة أفعال عدّة منها: صَلُحَ، وصَالَح، وأَصْلَحَ وتَصَالَحَ، وإِصْلاح، واستصلاح أما مشتقاتها فهي: صالِح، وصَليح، ومصلِحُ

وصَلاحاء ومصْلحة"[2]. هذا عن التعريف اللّغوي. أمّا عن التعريف الاصطلاحي فقد جاء أنّ المصطلح "مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها أو الأحرى استخدامها وحدد في وضوح، وهو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة وواضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى ويرد دائماً في سياق النّظام الخاص للمصطلحات فرع محدّد فيحقق بذلك وضوحه الضروري"[3]. ونفهم من خلال هذا القول أنّ المصطلح لا يقتصر فقط على مفردة واحدة بل يتعداها إلى عبارة مركبة، هذا إضافة إلى ضرورة وأهمية التّحديد الدقيق لمعنى المصطلح، فالمصطلح لابد أن يكون بدلالة واضحة وواحدة داخل التخصّص الواحد.

– **مفهوم المصطلحية:** (Terminologie) هو العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلميّة والمصطلحات اللغويّة"[4] وتستخدم في الدراسات العربية عدة مترادفات للدلالة على دراسة المصطلحات وتوثيقها، مثل: المصطلحية، وعلم المصطلح، وعلم الاصطلاح، وعلم المصطلحات، والمصطلحاتية، إلخ.

– **أهمّيّة المصطلح:** إنّ المصطلح لفظ يعبّر عن مفهوم، والمعرفة مجموعة من المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في شكل منظومة؛ يعني أنّ استيعاب مفاهيم المصطلحات هو نصف المعرفة. ولمّا ازدادت أهميّة المصطلح وتعاظم دوره في المجتمع المعاصر، الذي أصبح يوصف بأنّه مجتمع المعلومات أو مجتمع المعرفة حتّى أنّ الشبكة العالمية للمصطلحات في فينا بالنمسا اتّخذت شعار "لا معرفة بلا مصطلح"[5] كان تثبيت المصطلحات اللّسانية العلمية، وضبط مفاهيمها والتدقيق في معانيها، وبالتالي توحيدها وإشاعتها لدى المتلقي العربي، لحاجة ملحّة من شأنها تحقيق التواصل بين أهل هذا العلم، ودفع عجلة البحث العلمي في هذا الاختصاص قدما إلى اللّحاق بالركب الحضاري المتطور.

– مصطلحات إبراهيم بن مراد اللّسانية في المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات: سنحاول في بحثنا، تبيان مدى اعتماد "إبراهيم بن مراد" المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمساهمة مكتب تنسيق التعريب عام 2002 في طبعته الثانية، وذلك من خلال مقالاته، التي وردت في مجلة المعجمية، التي تصدرها جمعية المعجمية التونسية وتناولنا تسع مقالات من مجلة المعجمية. وهذه عناوينها التي كانت مدوّنة اعتمدناها في الدراسة:

1– منهجية في تعريب الأصوات الأعجمية، مجلة المعجمية، ع1–2.

2– المصطلحات اليونانية واللاتينية في كتب الأدوية المفردة المغربية والأندلسية من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجريين (ق10 إلى ق13 م)، مجلة المعجمية، ع07.

3– المصطلحية وعلم المعجم، مجلة المعجمية، ع 08.

4– من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلمي، ووضعه وتقييسه في اللغة العربية، مجلة المعجمية، ع 08.

5– مقدمة لنظرية المعجم، مجلة المعجمية، ع 9–10.

6– المعجم والمعرفة، مجلة المعجمية، ع 11.

7– الصيغمية المعجمية، مجلة المعجمية، ع 12–13.

8– المقولة الدلالية في المعجم، مجلة المعجمية، ع 16–17.

9– في المفهمة في المعجم، مجلة المعجمية، ع 18–19.

وسنتناول في بحثنا هذا النقاط التالية:

أ– مصطلحات "إبراهيم بن مراد" الواردة في المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات بنية فقط لا مفهوما:

ب– مصطلحات "إبراهيم بن مراد" الواردة في المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات مفهوما فقط لا بنية.

ج- مصطلحات "إبراهيم بن مراد" غير الواردة في المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات لا بنية ولا مفهوما.

ولقد كان اختيارنا للمصطلحات اللّسانية الواردة في مقالات إبراهيم بن مراد باعتماد المتواترة منها، والتي ترد باستمرار في كتاباته، والتي تنتمي إلى حقل المعجمية خاصة؛ لكون أغلبها تتناول مواضيع عن المعجم.

أ- مصطلحات "إبراهيم بن مراد" الواردة في المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات بنية لا مفهوما:

المصطلح	المفهوم الوارد عند "إبراهيم بن مراد"	المفهوم الوارد في المعجم الموحّد
الترتيب	الطريقة التي يختارها مؤلف المعجم في تبويب مداخل معجمه وتصنيفها[6].	ترتيب - Words order - ordre des mots تظهر الكلمات، في السلسلة الكلامية وفي تمثيلها الخطي المكتوب الواحدة بعد الأخرى بحيث تقدّم نظاما معيّنا للجملة.[7]
الجمع	الجمع يخص تكوين المدوّنة المعجمية، ويقوم على ركنين هما: المصادر التي يعتمدها جامع المدوّنة في تكوين مادته المعجمية والمستويات اللغوية التي تنتمي إليها الوحدات المعجمية المجمعّة.[8]	- جمع - plural - pluriel الجمع حالة نحوية لمقولة العدد منتجة التعدد في الكلمات القابلة للعد. ويكتب الجمع بواسطة سمة – مفرد.[9]
المستويات اللغوية	هي المستويات التي تنتمي إليه الوحدات المعجمية المجمّعة وتصنّف إلى: الفصيح والمولّد	- مستويات لغوية - level of language niveau de langue

	والعامي والأعجمي المقترض.[10]	يلاحظ بالنسبة إلى لغة معينة أنّ بعض الاستعمالات تظهر بشكل خاص في أوساط محددة ويرتبط مفهوم مستويات اللغة باختلاف المجتمع وانقسامه إلى طبقات أو فئات من أنواع مختلفة. ومجملا وكيفما كانت الوضعية اللغوية يمكن أن نصادف ثلاثة مستويات هي: اللغة المدعومة سياسيا وتكون لغة رسمية، اللغة الشعبية وهي اللغة السائدة والمستعملة في المعاملات اليومية، بعض اللهجات المحلية.[11]
مصدر	هو ما يعتمده جامع المدوّنة في تكوين مادته المعجمية.[12]	– مصدر - source - source مكان إرسال الخطاب، وهو المرسل. في علم المصطلح المرجع الذي أخذ مصطلح ما. دور من الأدوار الدلالية، وفي النظرية المحورية عند كروبس وهو الموضع الأوّل للمحور الذي ينطلق منه إلى الموضع الثاني وهو الهدف عبر مسار معين.[13]

الوضع	إخراج المعجم الكتاب، أو إنجازه أو التأليف بين عناصره، ويقوم الوضع على ركني الترتيب والتعريف.[14]	– وضعية، سياق (ال...) الظرفي - Situation - situation مجموع الظروف النفسية والاجتماعية والتاريخية أو العوامل الخارج لغوية التي تحدد إرسال خطاب أو عدة خطابات في لحظة زمنية معطاة وفي مكان محدّد.[15]

نلاحظ من خلال هذا الجدول، أنّ مجموع المصطلحات تحمل الصيغة أو المبنى نفسه، والاختلاف في مفاهيم هذه المصطلحات التي وردت في مقالات "إبراهيم بن مراد" ولم ترد بالمفهوم نفسه، في المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، بل وردت بمفهوم آخر، رغم أنّ هذه المفاهيم وردت في مقالات المجلات التي صدرت قبل إصدار طبعة 2002 من المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، مع العلم أنّ جرد مصطلحات المعجم الموحّد كان باعتماد المستعمل من المصطلحات في مؤلفات التعليم العالي. وعليه يجب إضافة هذه المفاهيم إلى المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات؛ ليتعرّف عليها الدّارسون والبحثة.

ب– مصطلحات "إبراهيم بن مراد" الواردة في المعجم الموحّد مفهوما لا بنية:

المصطلح الوارد عند "إبراهيم بن مراد"	**المصطلح الوارد في المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات**
تقييس اصطلاحي – Normalisation إخضاع العمل المصطلحي لمواصفات ومقاييس منهجية دقيقة	– تنميط اصطلاحي، معيرة اصطلاحية - Terminological standardization -Normalisation terminologique عملية توحيد المصطلحات المتداولة لدى مجموعة معينة من الأشخاص. وهي عملية

يُتقيّد بها عند الوضع.[16]	تقوم بمقتضاها هيئة رسمية بتحصيل مصطلح دون سواه، وذلك بعد دراسة الملفات الاصطلاحية التي تمّ إعدادها بدقة.[17]
الصائت - vowel	– حركة - vowel - voyelle صوتية غير صامتية، وهي عبارة عن صوت موسيقي ناتج عن ذبذبات مرحلية للهواء الحنجري الذي ينساب في حرية عبر تجويف الفم. وتتأسس الفروق بين الصوائت من خلال تغير شكل الرنان الفموي، بسبب تحرك الاعضاء المصوتة (لسان، شفتان لهاة).[18]
الصرف Morphologie يبحث في الوحدة الصرفية سواء كانت وحدة تامة، أو وحدة غير تامة. من حيث هي بنية صرف وهي وحدة شكلية تمييزية، كما يبحث في قواعد توليد الوحدات الصرفية الجديدة.[19]	– صِرافة - Morphology - Morphologie الصرافة في النحو التقليدي، هي دراسة صيغ الكلمات (تصريف واشتقاق) – للصرافة في اللسانيات وجهتان: أ– هي وصف القواعد المتحكمة في البنية الداخلية للكلمات أي قواعد التأليف بين الصرفيات الجذور لتكوين الكلمات بالإضافة إلى وصف الصيغ المختلفة للكلمات حسب مقولة العدد والجنس والزمن والشخص. ب– هي وصف قواعد البنية الداخلية

	للكلمات وقواعد تأليف المركبات إلى جمل وهي بهذا تتشابه مع تكوين الكلمات والتصريف والتركيب وتتقابل مع المعجم والصواتة.[20]
علم المفردات - lexicology - lexicologie	– معجمية، علم المعجم - lexicology - lexicologie الدراسة العلمية للمفردات أو البحث النظري الذي ينشغل بتحديد جوهر النظرية المعجمية مثل تحديد المفردات غير الممكنة وأيضا بتحديد نظرة التمثيل المتبناة أو النموذج المختار كوسيلة لمحاكاة الموضوع.[21]
المعجم المدوّن dictionary dictionnaire هو مدونة المفردات المعجمية في كتاب، مرتبة ومعرّفة بنوع ما من الترتيب[22].	– قاموس - Dictionary - dictionnaire مؤلف يظم تمثيلا معينا لمعجم لغة ما أو عدة لغات (قاموس أحادي اللغة أو قاموس متعدد اللغات) ويتضمن التعريف إضافة إلى المدخل. – والقاموس صناعة تتوق إلى وصف المعجم أي المخزون اللغوي والمعرفي عند مستعمل اللغة.[23]
مبنى، دال forme	– شكل، صيغة - form - forme وحدة لغوية محددة من خلال بنيتها وسماتها الصورية، يجد التقابل المؤسس بين المادة

	والشكل أصوله في صياغة دو سوسير "اللغة شكل وليس مادة" في تصوره، يرادف الشكل البنية أي العلاقات التي تنسجها الوحدات اللغوية فيما بينها، ويقابل الجوهر الذي يعبر عن الحقيقة الدلالية. – عند يلمسليف، يرتبط الشكل والمادة اللغويان بالعبارة والمحتوى، فلكلّ عبارة شكل ومادة وشكل اللغة هو مجموع أنماط التأليفات الصواتية الممكنة في لغة معطاة ومادتها هي المادة الصوتية المستقلة. أمّا شكل المحتوى فهي الصيغ المقدّمة حسب التقابلات المعجمية في اللغات، ومادته هو مجموع العناصر المتجانسة والمتصلة التي تدور حول معنى واحد. في التصور التقليدي يقابل الشكل المضمون[24].
المعنم Sémème هي الوحدات الدلالية الدنيا. [25]	– سمة - feature - trait خاصية دنيا، غير قابلة للتحقيق بشكل مستقل.[26]
نسخ calque	– نقل - calque - calque ترجمة حرفية لعبارة أو كلمة من لغة معينة إلى لغة أخرى، لكي تعطي تسمية لمفهوم أو لشيء جديد.[27]

إنّ هذه المصطلحات اللّسانية تحمل المفاهيم ذاتها، سواء التي وردت في مقالات "إبراهيم بن مراد" أو في المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، والاختلاف كما هو ملاحظ كائن في المبنى أو في صيغة المصطلح، مثل: تقييس (ابن مراد)، تنميط معيرة (المعجم الموحد)– المعجم المدوّن (ابن مراد)، قاموس (المعجم الموحّد) – النسخ (ابن مراد)، النقل (المعجم الموحد). ولذلك يجب أن تضاف هذه المرادفات إلى المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات؛ ليطّلع عليها الدارسون.

ج– مصطلحات "إبراهيم بن مراد" غير الواردة في المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات لا بنية ولا مفهوما:

المصطلح	مقابله الأجنبي	مفهومه عند "إبراهيم بن مراد"
الإبدال	mutation	/
أحادية المعنم	Monosémique	/
الأس	radical	/
بند معجمي	Lexical item	/
البنية الذهنية	Structure Mentale	/
البنينة	structuration	/
تعريب صوتي		نقل الصوت من اللغة الأعجمية إلى اللغة العربية[28].
التماثل	assimilation	/
التولّد		قابلية اللفظ الحدوث في اللغة والانتماء إلى معجمها، بحسب ما يسمح به نظام تكوّن المفردات فيها.[29]
التوليد الدلالي		/
التوليد الصرفي		/

جزيء معجمي	Molécule lexicale	
الحقل الدالي	Champ sémasiologique	/
خانة معجمية		/
الذرة	Atome	/
الذرة التركيبية	Syntatic atom Atome syntaxique	/
الرصيد اللغوي		/
شبه الجملة	Groupes de mots	/
الصرفم	morphème	الوحدة البنيوية الصغرى[30].
الصرفمية		هي البحث في تكوّن الوحدة المعجمية الصرفمي.[31]
الصوتم		
الصيغم		الوحدة الصيغية النموذجية[32].
الصيغمية	Morphomème	هي المبحث الصرفي الذي ينبني على الصياغم.[33]
علم التركيب	syntaxe	/
علم التصريف	Morphologie flexionnelle	/
علم الصرف	Morphologie	/
علم الصرف الاشتقاقي	Morphologie dérivationnelle	/
علم الصرف المعجمي	Morphologie lexicale	/
القطغريم	Catégorème	/
لغة إلصاقية		/

مشتق	Dérivé	/
معرّب		هو ما أُخضع لمقاييس العربية وأوزانها[34]
المعنم	sémème	هي المعاني التي تحملها الوحدة المعجمية، وأمكن لها أن تستقل بها عن السياق[35].
المعنم الرئيس	Archisémème	هو الحاصل من اجتماع المعانم.[36]
المفهمة	Conceptualization Conceptualisation	هي تكوين المفاهيم.[37]
المقاربة الطرازية	Approche prototypique	/
المقاربة العرفانية	Approche cognitive	/
المقولة	Categorization	عملية ذهنية تقوم على تنظيم الفرد لأشياء مختلفة بإدراج بعضها مع بعض في كل... وهي في جوهرها نظمنة للواقع –الواقعي المدرك بالحس والحقيقي المدرك بالذهن– نظمنة ذهنية بتقسيمه إلى مقولات.[38]
المقولة الخُطية	Schematic categories	/
المقولة الدلالية		عملية ذهنية تجري على الوحدات المعجمية، باعتبارها أفرادا لغوية محمّلة بدلالات مرجعة إلى موجودات من خارج اللغة.[39]
المقولة المعجمية	Catégorie lexicale	/
المقولة المعنمية		/

مقولة تصريفية	Catégorie flexionnelles	/
مقولة قطغريمية		/
المكوّن التركيبي		/
النحت		هو صوغ وحدة معجمية جديدة بسيطة من وحدتين بسيطتين أو أكثر.[40]
النظرية التوليدية		/
النظرية المعجمية، نظرية المفردات		/
النظرية الوصلية	Théorie associative	نظرية تصل معنى المفردة بشكلها.[41]
النظمنة		/
الوحدة المعجمية		/

من خلال المقارنة التي أجريناها بين المصطلحات التي وردت عند "إبراهيم بن مراد" والمصطلحات التي وردت في المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات، وجدنا العديد من المصطلحات وردت فقط في مقالات "إبراهيم بن مراد" ولم ترد في المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات. وعدم ورود هذه المصطلحات راجع إلى أنها ظهرت بعد تأليف هذا المعجم، أم أنّ إبراهيم بن مراد لا يعتمدها، بل يعتمد مصطلحاته الخاصة. ولقد كان تركيزنا على المصطلحات اللّسانية التي ترد باستمرار في كتابات "إبراهيم بن مراد" والتي تنتمي إلى حقل المعجمية.

وما يلاحظ في المصطلحات الواردة عند "إبراهيم بن مراد" هو أنّ طريقة توليدها من ذات اللغة؛ أي من اللغة العربية وذلك بالاشتقاق، في مثل: الصوتم الصرفم، الصيغم، الصرفمية، الصيغمية، النظمنة، المفهمة،...

واعتماد هذا النوع من المصطلحات المولّدة بالاشتقاق، والتي مبناها يوحي إلى معناها، أفضل من اعتماد مصطلحات من خارج اللغة، أو مقترضة. ويمكن تفسير وجود هذه المصطلحات عند ابن مراد؛ لكونه دارس ومتخصص ومتعمق في علم المعجم، فهو أعلم بالمصطلحات التي تخدم وتناسب هذا العلم. ولعدم وجود مقابل عربي لها في المعجم الموحّد، أو لأنّ الذوق يتقبلها بهذا الشكل. ولأنّ هذا المعجم لا يجسّد واقع تنوّع الاستعمالات الاصطلاحية المتداولة في أهم الكتابات اللسانية العربية الحديثة وأشهرها. إذ لا نجد الآثار الواضحة للمصطلحات اللّسانية الرائجة في أهم الدول العربية. يجب مراجعة المعجم الموحّد وإضافة المصطلحات الجديدة المقترحة، بعد انتقائها وضبطها؛ نظرا لأهمية ذلك في الدرس التعليمي الجامعي.

خاتمة: إنّ ما يضمن سلامة التواصل العلمي بين المتخصصين اشتراكهم في استعمال مصطلحات بعينها للدلالة على مفاهيم بعينها، فإذا انتفى هذا الشرط واستعمل البعض مصطلحات للدلالة على مفاهيم معينة، واستعمل البعض الآخر مصطلحات أخرى للدلالة على المفاهيم ذاتها، ستتعطّل وظيفة المصطلحات في تأمين التواصل العلمي بين المتخصصين، وعليه نورد هذه المقترحات:

- ✓ تطوير المصطلح اللّساني وتوحيده في البحث العلمي وفي تعليم اللّسانيات.
- ✓ التحسيس بخطورة البحث البحث المصطلحي في علوم اللّسان، والتوعية بأهميته.
- ✓ مراجعة المعاجم المصطلحية اللّسانية، وإضافة المصطلحات الجديدة بعد انتقائها وضبطها.
- ✓ إضافة مجموعة المصطلحات اللسانية الواردة عند "إبراهيم بن مراد" إلى المعجم الموحّد لإثرائه؛ كونه المعجم المقياس الذي يعتمده الأساتذة والطلبة في أبحاثهم ودراساتهم في الدول العربية.

- قائمة المراجع:

- الجوهري، صحاح اللغة وتاج العربية، ط1. بيروت: 1999، دار الكتب العلمية ج1.
- علي القاسمي، علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ط1. بيروت. لبنان: 2008، مكتبة لبنان ناشرون.
- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دت، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، دط. الدار البيضاء: 2002، مطبعة النجاح الجديدة.

- المقالات:

1- إبراهيم بن مراد، "المصطلحات اليونانية واللاتينية في كتب الأدوية المفردة المغربية والأندلسية من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجريين (ق10 إلى ق13 م)"، مجلة المعجمية، تونس: 1991، جمعية المعجمية، ع 07.
2 - إبراهيم بن مراد، "من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلمي ووضعه وتقييسه في اللغة العربية"، مجلة المعجميـــة، تونس: 1992، جمعية المعجمية ع 8.
3- إبراهيم بن مراد، "المصطلحية وعلم المعجم"، مجلة المعجمية، تونس: 1992، جمعية المعجمية، ع 08.
4- إبراهيم بن مراد، " مقدّمة لنظرية المعجم" مجلة المعجمية، تونس: 1993-1994، جمعية المعجمية، ع09-10.
5- إبراهيم بن مراد، "المعجم والمعرفة"، مجلة المعجمية، تونس: 1995-1996 جمعية المعجمية، ع11 .

6- إبراهيم بن مراد، "الصيغمية المعجمية"، مجلة المعجمية، تونس: 1996-1997، جمعية المعجمية، ع12-13.

7 - إبراهيم بن مراد، "كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري بين المعجم العام والمعجم المختص"، مجلة المعجمية، تونس: 1998-1999، جمعية المعجمية،ع14-15.

8- إبراهيم بن مراد، "المقولة الدلالية في المعجم"، مجلة المعجمية، تونس: 2000-2001، جمعية المعجمية، ع 16-17.

9 - إبراهيم بن مراد، "في المفهمة في المعجم"، مجلة المعجمية، تونس: 2002-2003، جمعية المعجمية، ع 18-19.

الهوامش:

1- الجوهري، صحاح اللغة وتاج العربية، ط1. بيروت: 1999، دار الكتب العلمية، ج1، مادة صلح.

2- ينظر: محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دت، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص7.

3- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 11، 12.

4- علي القاسمي، علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، بيروت- لبنان: 2008، مكتبة لبنان ناشرون، ص 263.

5- المرجع نفسه، ص 365.

6 - إبراهيم بن مراد، "كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري بين المعجم العام والمعجم المختص" مجلة المعجمية، تونس: 1998-1999، جمعية المعجمية، ع14-15، ص42.

7 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، دط. الدار البيضاء: 2002، مطبعة النجاح الجديدة، ص 169.

8- إبراهيم بن مراد، "كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري بين المعجم العام والمعجم المختص" مجلة المعجمية، ع14-15، ص 41، 42.

9 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، ص 114.

10- إبراهيم بن مراد، "كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري بين المعجم العام والمعجم المختص" مجلة المعجمية، ع14-15، ص42.

11 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، ص 84.

12 - إبراهيم بن مراد، "كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري بين المعجم العام والمعجم المختص" مجلة المعجمية، ع14-15، ص41.

13 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، ص 138.

14 - إبراهيم بن مراد، "كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري بين المعجم العام والمعجم المختص" مجلة المعجمية، ع14-15، ص 41، 42.

15 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، ص137.

16 - إبراهيم بن مراد، "من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلمي ووضعه وتقييسه في اللغة العربية"، مجلة المعجمية، تونس: 1992، جمعية المعجمية، ع 8، ص 66.

17 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، ص 151.

18 - المرجع نفسه، ص167.

19 - إبراهيم بن مراد، "مقدّمة لنظرية المعجم" مجلة المعجمية، تونس: 1993-1994، جمعية المعجمية، ع 09-10، ص 62، 63.

20 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، ص95.

21 - المرجع نفسه، ص85.

22 - إبراهيم بن مراد، "مقدمة لنظرية المعجم"، مجلة المعجمية، ع09-10، ص29.

23 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، ص45.

24 - المرجع نفسه، ص57.

25 - إبراهيم بن مراد، "المقولة الدلالية في المعجم"، مجلة المعجمية، تونس: 2000-2001 جمعية المعجمية، ع 16-17، ص47.

26 – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، ص56.

27 – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، ص27.

28 – إبراهيم بن مراد، "منهجية في تعريب الأصوات الأعجمية إلى اللغة العربية"، تونس: 1985، الجمعية التونسية، ع 1–2، ص29.

29 – إبراهيم بن مراد، "المقولة الدلالية في المعجم"، مجلة المعجمية، ع 16–17، ص43.

30 – إبراهيم بن مراد، "المعجم والمعرفة"، مجلة المعجمية، تونس: 1995–1996، جمعية المعجمية، ع11، ص61.

31 – إبراهيم بن مراد، "الصيغمية المعجمية"، مجلة المعجمية، تونس: 1996–1997، جمعية المعجمية، ع 12–13، ص125.

32 – إبراهيم بن مراد، "المعجم والمعرفة"، مجلة المعجمية، ع 11، ص61.

33 – إبراهيم بن مراد، "الصيغمية المعجمية"، مجلة المعجمية، ع12–13، ص129.

34 – إبراهيم بن مراد، "المصطلحات اليونانية واللاتينية في كتب الأدوية المفردة المغربية والأندلسية من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجريين (ق10 إلى ق13 م)"، مجلة المعجمية تونس: 1991، جمعية المعجمية، ع 07، ص39.

35 – إبراهيم بن مراد، "مقدمة لنظرية المعجم"، مجلة المعجمية، ع09–10، ص68.

36 – إبراهيم بن مراد، "المقولة الدلالية في المعجم"، مجلة المعجمية، ع 16–17، ص47.

37 – إبراهيم بن مراد، "في المفهمة في المعجم"، مجلة المعجمية، تونس: 2002–2003، جمعية المعجمية، ع 18–19، ص35.

38 – إبراهيم بن مراد، "المقولة الدلالية في المعجم"، مجلة المعجمية، ع 16–17، ص17.

39 – المرجع نفسه، ص29.

40 – إبراهيم بن مراد، "المصطلحية وعلم المعجم"، مجلة المعجمية، ع08، ص08.

41 – إبراهيم بن مراد، "الصيغمية المعجمية"، مجلة المعجمية، ع 12–13، ص136.

ترجمة الكتب العلمية من الانجليزيّة إلى العربيّة
– الترجمة التقنيّة وقلّة المصطلحات العربيّة–

أ. يوسف يحياوي
جامعة بجاية

مقدمة: من ميزات اللغة الإنجليزيّة الّتي أهّلتها لتكون لغة العلوم والفنون المختلفة؛ سهولة تصريف الكلمة سوى ما شذّ عن القاعدة، ومرونة الوظيفة وانفتاح المفردات على اللّغات الأخرى.

فقد اكتسبت هذه اللغة العالميّة مرونتها نتيجة لما فقدت من تصاريفها، من ذلك مثلا أنّ كلمات تتمايز في أشكالها أسماءً أو أفعالا صارت الآن تُستعمل أسماءً وأفعالا بالشكل بنفســـه (book = كتاب، سِجِّل، to book = حجز، دوّن. Produce = محصول، غلّة، to produce = أنتج، قدّم، سبّب).

أمّا المرونة فقد أتاحت لها إثراء قاموسها بما تقبّله من مفردات اللغات الأخرى وما يركَّبُ من أسماء وأفعال وما يُشتقّ. فالإنجليزيّة تتبنّى بلا تغيير أو تُكيِّفُ بتغيير طفيف أيّ كلمة تحتاجها لتسمية مُكتشَف جديد أو طريقة جديدة.

وكغيرها من اللغات الغربيّة تعتمد الإنجليزيّة في بناء المصطلحات العلميّة على مفردات اللاتينية. فما هو شأن اللغة العربيّة؟

إنّ لغةً اختارها الله تعالى لينزل بها كتابه الحكيم لجديرة أن تكون أعظم اللغات وأقدرَها على استيعاب العلوم. غير أنّ الناظر في قاموسها العلميّ يجد من فقرها إلى المصطلحات التقنية ما يندى له جبين المترجم، فهل يُعزَى ذلك إلى حروفها؟ إلى كلماتها؟ أم إلى قواعدها؟ أمّا الحروف فما فيها يفوق ما في الإنجليزيّة وما في الفرنسيّة عددا (الألفباء فيها 28 حرفا في العربيّة، 26 في الإنجليزيّة والفرنسيّة)

وأمّا الكلمات أسماءً وأفعالا، فوجه المقارنة يكمن في أشياءَ من أهمّها السوابق واللواحق الّتي يمكن القول إنّها في الإنجليزيّة أفضل. فمـــن ذلك مثلا: السوابق (a- تضيف إلى معاني الكلمات التي تدخل عليها معنـــى العَدم، نحو: حُبْسَة، انعقاد اللسان (عجز عن الكلام) = aphasia، bi- وتفيد معنـــى التّضعيف، نحو: ذو قائمتين = biped، مزدوج الحمض =diacid، ...

ولو أخلص النيةَ علماءُ العرب لاصطلحوا على رموز تضاف إلى الكلمات لتؤدّي ما تؤدّيه تلك السوابق واللواحق في اللغات الغربيّة ولاسيما الإنجليزيّة، ولنا في خاصّة الاشتقاق بنوعيْه مندوحة عن استعمال المصطلحات الإنجليزيّة بتمام حروفها.

أمّا المصطلحات المبنيّة من أعلام المكتشفين والمخترعين فمدلول كلّ منها غير مقيّد بدالّه ومع ذلك فلا مشكلة من الحفاظ على شكلها واستعمالها من دون أن يُغيَّر فيها شيء.

1/- مفاهيم: فيما يلي عرض موجز للمصطلحات المفاتيح في البحث، قد تكون تمهيدا يسمح للقارئ فهم الموضوع من العنوان قبل الولوج في ثناياه.

أ- <u>المصطلح والمصطلحيّة</u>: كثيرا ما تطلق كلمة مصطلح مرادفا لكلمة اصطلاح إلاّ أنّ الصيغتين من حيث بنيتهما الصرفية مختلفتان؛ ولو بحثنا في معاجم اللغة العربية قديمها وحديثها لا نجد للفظ "المصطلح ورود، لأنّ المعجم العربي يكتفي فقط بذكر المشتقات الأصلية ولا يبحث في المصطلحات المطردة وتُفهم بعضها بعمليّة الاشتقاق. واستعمال المصطلح في الكلام يكون للدلالة على معنى اللفظ نحو" الفصل الواحد والخمسون في تفسير الذوق في <u>مصطلح</u> "أهل البيان"[1]. وكذلك: "فاقتبستُ منها المصطلحات أوان المطالعة وسطّرتها على حدة"[2] ولفظ "مصطلح" من حيث البنية الصرفيّة تدلّ على صيغ عدّة حسب سياقها في الجملة؛ فقد تدل على المصدر الميمي كما يمكن لها أن تدلّ على اسم المفعول

والأرجح أن تكون اسم مفعول صيغت من فعل لازم هو اصطلح المتعدي بحرف الجرّ.

نجد في اللغة العربيّة مقابل "المصطلحيّة" في تراكيب كثيرة ومتنوّعة، ويراد منها معنى واحدا، ونذكر منها: صناعة المصطلح، علم المصطلح، علم الاصطلاح وعلم المصطلحات...، لكنّه في اللغة الأجنبيّة ولاسيما الإنجليزية والفرنسيّة منها لا نجد لها نفس الرؤى، فالغربيون[3] يفرّقون بين كلّ هذه الصيغ المذكورة ويدققون في استعمالها. فـــ" Terminology مثلا ليست نفسها Terminography؛ فتوثيق المصطلحات ونشرها في قواميس بأنواعها ليس بحثا في المفاهيم العلميّة وفي الجذر اللغويّ للمصطلحات.

ب- <u>الترجمة لغة</u>: هي مصدر من الفعل الرباعي ترجم على وزن فعلل، وهو توضيح معاني الكلام وبيانه، مما يجعله يسير الفهم؛ "وتكون الترجمة بمعنى التوضيح والتفسير والبيان، يقال ترجم كلام غيره أو عن غيره بمعنى نقله من لغة إلى أخرى والترجمان هو المفسّر للّسان"[4]، فبهذا التعريف يتجلى لنا مفهوم الترجمة في نقل المعنى وتقريبه إلى السامع بصورة واضحة.

***<u>الترجمة اصطلاحا</u>:** هي "نقل الأفكار والأقوال من لغة إلى أخرى مع المحافظة على روح النص المنقول، أو هي نقل نص أو كلام من لغة إلى أخرى بأدقّ وأحسن ما يمكن"[5] ولترجمة نص أو فقرة أو جملة ما لابد من توفّر عنصر الإجادة كشرط مهم فيها، وما للثقافة و الموهبة من أثر في نوعية العمل المترجم أو المنقول من لغة إلى لغة.

والترجمة "مصطلح علميّ ذو أبعاد واسعة لا يمكن حصرها في دائرة ضيقة أو تعريف مبسّط"[6]، فمجالها واسع يشمل العلوم المختلفة والمتنوعة من حيث تخصُّصُها. ومن فوائدها أنّها "تساعد على تجديد الأساليب والمفردات العامة المتخصّصة لجميع اللغات، كما أنّ عمليّة الترجمة تقتضي بالضرورة البحث عن

الصيغ والمصطلحات الحديثة التي تلائم الواقع، وهذا يُعدّ وسيلة من وسائل تطوير اللغة وإغنائها"[7].

جـــ- الترجمة التقنيّة[8]: كلمة التقنيّة صفة للترجمة جيء بها لدلالة مجال تخصص الترجمة، وموضوعاتها دقيقة ومحدّدة، تُوَظَّف فيها مصطلحات العلوم التقنيّة والتكنولوجيّة بالاعتماد على النّص الأصليّ كمنطلق أساس لنقل المصطلح بعيداً عن كلّ اقتباس أو تأويل قد يؤدّي إلى إبطال مفعول الترجمة وهدفها التقنيّ. ثمّ إنّ المترجم لابد أن يكون ملما باللغة المترجم إليها لفظا وتركيبا. ومن خصائص الترجمة التقنيّة عدم جواز الاستطراد، لأنّها تعكس الصورة المطابقة للأصل تتخللها الأمانة في النقل والدقة في الإسقاط.

2/- اللغة العربية والمصطلح التقني قديما وحديثا: عرفت الحركة العلمية العربية في القديم نوعا من الازدهار والرقيّ في استعمال المصطلحات العلميّة؛ إذ كان لذلك أثر في بروز علماء تركوا بصمتهم في التراث العلمي سواء في مجال الطّب أو الخوارزميات أو علم الفيزياء وغيرها؛ حيث ظلّت مصطلحاتهم مستعملة حتى الآن في مختلف بلدان العالم. ممّا جعل اللّغة العربيّة آنذاك تلقى نهضة علميّة كبيرة، عَمِلَ علماؤها على حماية منتوجهم العلمي من الضياع بتضافر الجهود المبذولة رغم بُعد البلدان العربية عن بعضها البعض مرورا بإيران والأندلس. ولم يمنع هذه البلدان من تأسيس مصطلحات موحّدة يفهمها المصريّ كما يفهمها العراقيّ في زمن لم يكن للغة العربيّة تلك الوسائل التي هي عليها في وقتنا الحالي.

ولقد كان لدخول الاستعمار الأجنبي البلدان العربية من الأسباب التي جعلت حركة الترجمة تتراجع قوّتها عند العرب بعد أن توسّع نطاق تعليم اللغات الأجنبيّة في بلدانهم، وهذا ما خلق تذبذبا في وحدة المصطلح العلمي، نظرا لطبيعة لغة المستعمر التي كان لها نفوذ واسع، جعل الصيغ العلميّة تختلف من حيث النطق والكتابة لتشكّل عائقا في فهم المصطلح العربيّ.

وخلّف الاستعمار بعد رحيله شرخا كبيرا في تداول المصطلحات العربيّة واختلافها من بلد لآخر، وهذا ما دفع المجمع المصري ينظر في كيفية إعادة الوحدة العلمية للمصطلح العربيّ التي كان يحتلها في القديم، فنظرَ أوّلا إلى ضرورة توحيد المصطلحات في العالم العربيّ بوضعه الوسائل اللاّزمة لتطبيق مشروعه. ورغم تكوين المجمع لاتّحاد المجامع اللغويّة لعرض الاقتراحات والحلول لمواكبة التطوّر التكنولوجي السريع الّذي شاركت فيه أقطاب كثيرة من بلدان المشرق والمغرب لم تتوحّد المصطلحات العربيّة، ولم تتمكنّ المجامع من تحقيق الأهم، وهذا ما جعل المصطلح العربي – بعد ذلك – يدخل في أزمة عالميّة يعاني منها جيلنا من الباحثين والدّارسين للعلوم بتعدّد اختصاصاتها.

إنّ الجمع بين الفكر العربي والفكر الغربيّ حديثا يتطلّب من المختصين في مجال الترجمة إجادة في توحيد المصطلحات وضرورة بناء رؤى متقاربة في البحث العلمي باعتبار أنّ للترجمة: "دورا مهما وكبيرا في التطوّر الحضاريّ للأمم، حيث تسهم في عملية الترقية الحضارية للمجتمعات وتعكس مدى اهتمامهم وعنايتهم بالعلوم التي هي أساس أيّ حضارة. كما تساعد على مواجهة التحديات المعاصرة بمختلف مؤثراتها على واقع المجتمعات"[9]؛ فتظل الترجمة – بهذا المفهوم– أساسا في تنمية البحوث العلمية والدراسات الحديثة كونّها تبحث في تطوير اللغة ذاتها بذاتها.

3/– جهود مجامع اللغة العربية في ترجمة المصطلحات العلميّة والتقنيّة[10]:

أسهمت المجامع العربية بلجانها ومؤسساتها في نقل العلوم الأجنبية وفنونها إلى اللغة العربيّة، بدراسة المصطلح وما يقابله في اللغة المترجم إليها، لتجري بها الأقلام بعد تدوينها، ثمّ تتردّد بين الأفراد لتكون متداولة في المجتمع. وهذا ما كان سائدا في السنوات الأولى التي أسّسّ فيها مجمع دمشق ثمّ توسّع نطاقه وتعدى المصالح الحكوميّة والرسميّة ليشمل مختلف فئات المجتمع وما يتطلبه من مصطلحات تخدم شؤونهم وتراعي مصالحهم، كما شمل هذا المجمع استعمال

مصطلحات الآلات والأجهزة الحديثة التي كان يحتاجها المواطن في حياته اليومية. وبقيت اللغة العربيّة آنذاك تعرف رقيّا في شتى المجالات العلميّة – كما أشرت لذلك أعلاه – بعد أن سهر علماؤها على خدمتها متناسين ما كانت تسعى إليه بعض الأطراف في عرقلة هذا الرقيّ اللغوي والحضاريّ للغة العربيّة. ولم تبق المجامع يائسة أمام أزمة المصطلح وتعدّده، فجاءت حديثا بحملة حديثة تحت شعار تطوير المصطلح العربي وتعميم استعماله، كمجمع القاهرة، ومجمع عمّان ومجمع بغداد وغيرها التي حاولت هي الأخرى بذل جهود عظيمة، بإصدارها قرارات تدعو لضرورة توحيد المصطلح، فأُصدِرت مصطلحات عدّة في مختلف العلوم والاختصاصات لكنّ صيغها ظلت متباينة من مجمع لآخر، حيث غاب مبدأ التنسيق الّذي جعل المصطلح العلمي اليوم مبعثرا في كلّ المجامع مكرّرا بشكل لا يخدم اللغة العربيّة، كما يفتقد إلى قاعدة أصليّة في وضع اتّفاق عليه. ومهما يكن من محاولات وجهود بُذِلَت أو تُبذَل في سبيل النهوض بالمصطلح العربي وتوحيده تظلّ الأزمة قائمة. وفسح هذا الأخير ظهور تيارات فكرية مناهضة انتقدت جهود المجامع أشدّ انتقاد؛ كونَها تنقل المصطلح آليا دون وحدة تنسيقيّة تبعث على اختيار المصطلحات المناسبة والموحّدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى "كان القصدُ الأسمى من انبعاث حركة المجامع، العملَ لإعداد لغة قوميّة شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية، التي تجري مجرى الوسائط في تأدية الغرض العلمي"[11]. إنّه من الصعب تحقيق الغاية في ظلّ المجامع اللغويّة، لأنّ كفاءاتها في استعمال اللغة المتخصّصة ولا سيما التقنيّة ناقصة من جوانب كثيرة، كنقص المتابعة والتدقيق وحسن الإعداد، كما أنّ غياب أجهزة التحضير كفيل بألاّ يستقيم المصلح العلمي على دقّة متناميّة، ونحن في عصر العولمة حيث انهمار المفاهيم والمصطلحات الجديدة من اللّغات الأجنبيّة دون أن تُخصَّص لها الدراسة اللاّزمة لوضع مقابلات لها في اللغة العربيّة. وقد شهد هذا الوضع ميلاد محاولات شخصيّة واجتهادات قام بها أفراد أعاقت سبيل التنسيق في بناء المصطلح.

4/- خصائص الترجمة التقنيّة: من الواضح أنّ الترجمة التقنية من الإنجليزية أو من الفرنسيّة تختلف تماما عن باقي الاختصاصات الأخرى، لأنّ أكثر مصطلحاتها تتّسم بالغموض من حيث الدلالة في استعمال معارف متخصّصة، وهذا ما يدفع بالمترجم إلى اعتماد الموسوعات والمعاجم في اختيار المصطلح الهدف وصياغته. ومن خصائص الترجمة التقنيّة كذلك إعمال الحواس في إدراك المعاني و"استخلاص المعنى العام السطحي ثمّ المعنى العميق بالتأويل مع استبعاد المشكلات اللغويّة"[12]. وكما أنّ وقوف الأفراد على وضع المصطلح يظل أمرا ذا خطورة "متى كان الأمر على ما ذكرتُ، يكون من المحتّم حصولُ اختلافٍ على الألفاظ العربيّة الدالّة على معنىً علميّ واحد؛ لأنّ لكلّ عالم من علمائنا القادرين على وضعِ المصطلحاتِ رأيًا خاصًّا في معالجة كلّ لفظة علميّة أعجميّة"[13]. ولم تكن هنالك استجابة لما جاء في قرارات المجمع العراقي سنة 1977 لأنْ يكون المرجع الوحيد في وضع المصطلحات العلميّة والتقنيّة، مع العلم بجهود هذا الأخير في الترجمة والتعريب. وقمين بي أن نذكّر بمكانة المجمع المصريّ بين المجامع الأخرى في ترجمة المصطلحات التقنية وإن لم توضع لها معاجم خاصة، حيث تصدر عنه مجلّدات عديدة في مجالات العلوم المختلفة، يعتمدها الباحثون والطلبة كمادة لإنجاز بحوثهم وإتمام مشاريعهم العلمية، غير أنّ ترجمة السوابق[14] زادت المصطلح تأزما كما صعّبت ضبطَ المفاهيم ونقلها[14]؛ فجاءت مركّبة، في الوقت الّذي كانت اللغة العربيّة تُعرَفُ بأسلوبها في الإيجاز.

والجدير بالإشارة هو أنّ الجهاز العربي الوحيد الّذي يُعنى بتنسيق جهود الدول العربية وتعريب المصطلحات العلمية والتقنيّة الحديثة هو مكتب التنسيق والتعريب. ويساهم هذا المكتب في تفعيل اللغة العربية وإشراكها في كلّ النشاطات العلمية. هذا، وقد "مسّت حركة التعريب جميع التخصّصات العلمية منها والتقنيّة"[15] بالبحث عن الألفاظ العربيّة المفردة التي تتّسم بالوضوح. كما خلقت هذه الحركة دعوة إلى ضرورة انتهاج سبيل علميّ في الترجمة التقنية كالنظر مثلا:

– في المصطلحات القديمة التي لم تكن شائعة في اللغة العربيّة كما كان يفعل الغربيون في تفضيلهم الأصل اليوناني عن مصطلحاتهم التي قد تشكّل عليهم لبسا أو غموضا.

– في إخضاع المصطلح العلميّ والتقنيّ المعرب إلى الاشتقاق مع احترام قواعد اللغة العربيّ حتّى يُدْمَجَ المصطلح ضمن المصطلحات العربية الأصيلة في اللغة.

إنّ قيام الترجمة على التعريب في صورة دائمة قد يجعل بعض المصطلحات في اللغة العربية غامضة الدلالة عاجزة عن نقل المفهوم بدقة، لأنّه يصعُب على اللغة العربية الإحاطةُ بكلّ ما هو جديد في اللغة الأجنبيّة؛ فاللغة الإنجليزيّة مثلا لغة تتطوّر في مصطلحاتها بتطوّر علومها، إذ لا يمكن للغة العربيّة أن تنقل هذا الكم الهائل من المصطلحات، وإن كانت محاولات فتظلّ ناقصة لم تستوفي الشروط كما هو الحال في المجامع العربيّة. وعلى اللجان المؤسسة للمصطلح العربي أن تجتهد في توحيد المصطلحات المشتركة سواء العربية منها أو المعربة والتي تحمل معنى واحد بين مختلف فروع العلوم التقنيّة، والأمثلة على ذلك كثيرة.

5/– الدّراسة التطبيقيّة: وسنُمَثِّلُ لما قُلناه سابقا ببعض المصطلحات من القاموس العلمي الإنجليزيّ (باب الحرف a) في جدول مع ما يقابلها في اللغة العربيّة:

	المصطلح الإنجليزيّ	مقابله في اللغة العربيّة	الملاحظات
1	aardvark n. (zoo.)	(ع.ح) خنزير الأرض، دَوْبَل الأرض، أبو أظلاف، أبو ذقن.	هي أسماء مركّبة تركيبا إضافيّا يصعُب على المترجم أن يختار منها ما يُناسِب سياق نصِّه.
2	abacterial adj. (bio.)	(ع. أح) لاجرثوميّ	جرثوميّ: نسبة إلى الجرثومة التي تُقابِلها في الإنجليزيّة

			مصطلحات كثيرة منها: microbe germ bacterium
3	abacus n. (instr. math.)	(ريا) مِعْداد، مِحْسَبَة	اسم آلة على القياس.
4	Abbe constant n. (opt.)	(ع. بص) ثابِت آبِي	إضافة إلى الفيزيائيّ الألماني إرنست آبِي
5	abdomen n. (anat., zoo.)	(ع. تش، ع. ح) بَطْن	
6	abductor n. (anat., zoo.)	(ع. تش، ع. ح) مُبْعِد	صفة لا يُفْهَم معناها إلى مع موصوفها، مثل: العضَل المُبْعِد.
7	abelian adj. (math.)	(ري) أبِيلِيّ	نسبة إلى الرياضيّ النورويجيّ نيلس هنريك أبيل.
8	abelian group adj. (math.)	(ري) مجموعة تبادليّة/ تعاوضيّة	
9	aberration n. (bio., opt.)	(ع. أح، ع. بص) اضطراب عقليّ زيْغ.	في كلتا اللغتين يحتاج المصطلح إلى إضافة أو صفة ليُعرَف السياق: زيغ ضوئيّ، زيغ لوني، ..
10	abietic acid n. (chem.)	(كي) حمض كاربوكسيلي	صفة دخيلة لا بديل عنها سوى فحمائيليّ.
11	abiotic(al) adj. (bio.)	(ع. أح) لاحيويّ	إدخال حرف النفي لا على الصفة كلاحقة شيْء مُعتاد

			ومُستساغ من الكلّ.
12	abiogenesis n. (bio.)	(ع. أح) تَولُّد ذاتيّ، تِلقائيّ	المصطلح الإنجليزيّ مركّب من ثلاث كلمات: لاحقة السَّلْب (a) وكلمة (bio) التي تعني الحياة، وكلمة (genesis) تولُّد/تكوُّن.
13	ablation n. (med.)	(جر) قَطْع استئصال.	
14	abnormal adj.	شاذّ، غير عاديّ	
15	abrade (to) t. v (meca.)	(ميك) سَحج، حكّ كشط.	
16	abscess n. (path.)	(طب) خُراج دُمَّل.	
17	abscissa (math.)	(ري) إحداثيٌّ أُفُقِيّ، مِحْوَر السّينات.	كيف يَفهَمه الطالب لدينا وقد عوّدْناه على الرمـــوز الـــلاتينيّة (x بدل س)
18	absorbency n. (phys.)	(فيز) قوة المصّ الامتصاصيّة.	يمكن الاقتصار على استعمال المصدر الصناعيّ (الامتصاصيّة).
19	absorptance n. (phys.)	(فيز) مُعامل الامتصاص	
20	absorptiometer n. (instr., phys.)	(فيز) مِمْصاص مقياس الامتصاص.	اسم الآلة (مِمْصاص) هو الأنسَب ويُغنينا عن لفظ ثانٍ.

21	absorptiveness n. (phys.)	(فيز) طاقة الامتصاص.	هنا يقع التداخل مع مصطلح سابق (absorbency)، وإذا فكّرنا في مقابلة اللاحقتين الإنجليزيتين (ness، y) بإضافة الياء المُشدّدة والتاء المربوطة إلى اللفظ العربيّ للحصول على مصدر صناعيّ فكيف نميّز بين المصطلحين الإنجليزيّين؟
22	absorptivity n. (phys.)	(فيز) الامتصاصيّة	هي في الحقيقة تُمثِّل نسبة الطاقة المُشِعَّة التي يمتصّها سطحٌ ما إلى مجموع الطاقة التي تصيب السطح.
23	abstergent adj. n. (chim.)	(كي) مُنَظِّف، مُطَهِّر	كلاهما اسم فاعل موافق لصيغة الكلمة الإنجليزيّة. الأول يناسب السّياق العامّ والثّاني يناسب السِّياق الطبيّ. والأول أقرب إلى معنى الأصل اللاتيني detergere
24	Acarina n. pl. (zoo.)	(ع.ح) قُراديّات قُمّليات.	فرع من طائفة المفصليّات الأرجل
25	acaudal adj.(anat., zoo.)	(ع.ح، ع.تش) عديم الذّيل	هنا قوبِلت سابقة السَّلب **a** بصيغة مبالغة المفعول **عديم**.
26	acaudate(d) adj.(anat., zoo.)	(ع.ح، ع.تش)	أمّا هنا فالمصطلح الإنجليزيّ

		منزوع الذّيل	يدلّ على المفعول فقوبل في العربيّة باسم المفعول **(منزوع)** مُضافًا إلى نائب الفاعل (الذيل)
27	acclimatable adj. (bot., zoo.)	(ع.ح،ع.نب) قابل للأقلمة.	تُقابَل اللاحقة able باسم الفاعل (قابل)
28	achene n. (bot.)	(ع.ن) ثمرة فقيرة	مصطلح مركّب من موصوف وصفة مُبْهَمة، أنّى لقارئ ما يُترجَم أن يفهمه؟
29	Achilles tendon n. (anat.)	(ع.تش) وتَر عرقوب القدم	مصطلح طويل التركيب
30	achlamydeous adj. (bot.)	(ع.ن) لاكُمِّي	قصير ومناسب
31	achromat n. (instr., opt.)	(ع.بص) عدسة لالونيّة	مصطلح مركّب لكنَه مناسب
32	achromatin n. (bio.)	(ع.أ) أكروماتين	ليس له مقابل في اللغة العربيّة ولا يُساعِدُ المُترجِمَ إلا ينظر في التعريف (جزءٌ من نواة الخليّة لا يتلوّن بسهولة)
33	achromatise (to) t. v. (opt.)	(ع. بص) أزال اللون. أنفذ الضوء من غير تحليله.	فعل في الإنجليزيّة يُقابَل بجملة في العربيّة، كيف للمترجم أن يتصرّف؟
34	achromatism n. (opt.)	(ع. بص) لالونيّة	مصدر صناعيّ وليس نسبة
35	achromatopsia	(طب) عمى لونيّ	الأنسب هو عمى الألوان،

	n. (med.)		بالإضافة لا بالوصف.
36	acromegaly n. (med)	(طب) عَبَل	المصطلح يعني في الإنجليزيّة النمو المفرِط لعظام الوجه والأطراف، أما في العربيّة فيعني الضخامة بشكل عامّ وثمّة كلمة أخرى يُقابَل بها المصطلح الإنجليزيّ، وهو (الكلثَمة) مصدر الفعل (كلثم) لكنّه غير مناسب لدلالته على اجتماع لحم الخدّين من غير جُهُومة.
37	acropathy n. (med)	(طب) اعتلال الأطراف	تنقصه الدقّة لأنّ المصطلح الإنجليزيّ يعني اعتلال نهايات الأطراف.
38	ACTH = adrenocorticotrophic hormone. (med)	(طب) هرمون الغدّة النّخامية	يمكن الاصطلاح على اختصار بالحروف العربيّة بدل استعمال مصطلح مركّب من ثلاثة أسماء تركيبا إضافيّا ونعتيّا.
39	Adam's apple n. (anat.)	(ع. تش) حَرْقَدة، جوزة الحُلقُوم	هناك من يسمّيها حتّى في العربيّة بتفاحة آدم، غير أنّ هذا مُرْتبط شيئا ما بالعقيدة.
40	adaxial adj. (mec)	(ميك) مجاور للمحور	مركّب من ثلاث كلمات لكنّه مناسب.

الخلاصة: اخترتُ أربعين مصطلحا ليسهل عليّ حساب العيّنة، فوجدت عشرين منها مفردةً (غير مركّبة بشكل من أشكال التركيب) في العربيّة بغضّ النظر عن المصطلحات التي في أوّلها **(لا)** النافية والتي تُقابَل سابقة السّلب في الإنجليزيّة **(a)**، لنَخلص إلى أنّ نسبة المصطلحات المركّبة في العربيّة يُفتَرَض أنّها مُفرِطة وهذه نتيجة تحتاج لإثباتها إلى توسيع البحث ليشمَل قاموسا بأكمله.

وقد سجّلت في الملاحظات أحكاما قد يكون في بعضها شيءٌ من الذاتيّة غير أنّ فيها كثيرا من الموضوعيّة، منها أنّ بعض المصطلحات المركّبة مناسبة لا بأس من استعمالها ولا حاجة إلى غيرها، في حين أنّ بعضها إضافةً إلى طول تركيبها فهي مُبْهَمة لا تؤدّي معاني المصطلحات الإنجليزيّة المقابلة لها، لذلك أرى أنّه على المشتغل بالترجمة أن يجتهد ويبحث عن البديل الذي تتيحه ظاهرة الاشتقاق بنوعيه ولا يتردّد فلطالما أبدع باحثون كلمات لم يُصطلح عليها من قبل، ثمّ إنّ الضرورة مُلِحّة لكون المجاميع اللغويّة مُقَصِّرة أو عاجزة عن سدّ الثّغرات في مجال المصطلحات العلميّة.

الهوامش:

1- أهل البيان: يقصَدُ بأهل البيان أهل البلاغة والفصاحة من العرب الذين لديهم شأن عظيم في ترقية اللغة العربية قديما، وهذا المركّب الإضافي لا نجد له استعمال أو وجود في العصر الحديث نظرا للضعف الكبير الّذي تشهده اللغة العربية في مجال البحث العلمي وفي نقل معالم الثقافة الغربيّة، وفي تحدياتها للعصر؛ بعد أن فقدت مكانتها ورجالها من فطاحل اللغة وأقحاحها لتعيش منحصرة في أزمة حادة.

2- يُنظرُ: التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع. القاهرة: 1963، ص: 47.

3- Alain Rey, La Terminologie: Noms et Notions.Paris: PUF, 1979, p: 58-59.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة ترجم. مج 2، بيروت، دار صادر، ص 226.

5- محمد الديداوي، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية. ط1. الدار البيضاء المغرب: 2002 . المركز الثقافي العربي، ص81.

6- ينظر: مجلة الممارسات اللغوية. مقال د. حياة كتاب: أهمية الترجمة في تطوير البحث العلمي في اللغة العربية ودورها في تنمية وتوجيه مستقبل البحث في الدراسات اللغوية. العدد: 11. تيزي وزو: 2012.

7- أحمد موقت، علم اللغة والترجمة –مشكلات دلالية في الترجمة من العربية إلى الإنجليزيّة. الطبعة الأولى، سوريا: 1997، دار القلم العربي، ص: 25.

8- قدرة المترجم في المجال التقني يكون باتّصاله الوثيق بالتكنولوجيا، قريبا من التخصصات العلمية المختلفة وكثرة فروعها.

9- حسن لحساسنة، دور الترجمة في تطوير البحث العلميّ في الاقتصاد الإسلاميّ، ص: .437.

10- أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية. الكويت: 1989، عالم الفكر ص20.

11- عبد الكريم خليفة، اللغة العربيّة والتعريب في العصر الحديث، ط1. عمّان: 1987 منشورات مجمع اللغة العربية، ص245.

12- مصطفى الشّهابي، المصطلحات العلميّة والفنيّة في اللغة العربيّة في القديم والحديث، ط2 دمشق: 1965، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ص137-138.

13- المرجع السابق، ص141-142.

14- ترجمة السوابق من اللغة الإنجليزية أو من اللغة الفرنسيّة إلى اللغة العربيّة تواجه صعوبات كثيرة في نقلها إلى اللغة الهدف، كون هذه الأخيرة تعتمد على مركبات لا نجدها في اللغات الأجنبية التي تميل كثيرا إلى الاختصار.

15- ينظَر: محمد حسن عصفور، تأثير الترجمة على اللغة العربيّة، مجلّة جامعة الشارقة للعلوم الشّرعيّة والإنسانيّة. مج:4. العدد:2، عمان: 2007، ص 194- 195.

16- ينظر: www.arabization.org.

17- The Dictionnary English – Arabic, General and scientific dictionary of language and terms, dar ak-kitib al-ilmiyah, Beirut – Lebanon, 1st Edition 2004/1425.

18- القاموس عربي – إنجليزي، عام وعلميّ، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1424/2003

18- DICTIONNAIRE SCIENTIFIQUE ANGLAIS-FRANÇAIS, Jacques Bert 3e édition,

19- Dunod, Paris, 2000 pour la 1ère édition

20- معجم البيولوجيا في علوم الأحياء والزراعة. مجمع اللغة بالقاهرة، 2003.
21- قاموس البحث العلمي، مصطفى زايد، طبعة 1999، النسر الذهبي للطباعة، مصر.
22- معجم المصطلحات العلميّة، إنجليزي – عربي، طباعة ونشر مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة الطبعة السادسة، 1973.
23- معجم مصطلحات الهندسة الميكانيكية، مجمع اللغة بالقاهرة، الطبعة الأولى 1998.
24- المورد، قاموس عربي – إنجليزيّ، تأليف روحي البعلبكيّ، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة 1995.
25- Encyclopedia Britannica 2009, Student and Home Edition.

المضايقات التِّقنيَّة للّغة العربيّة الصّعوبات والحلول

أ. عبد القادر معبد

جامعة مولود معمري، تيزي- وزّو

- **مقدمة:** لا شكّ أنّ العلوم كلّها، دقيقة كانت أم إنسانية، أفادت كثيراً من (الثورة المعلوماتية المعاصرة) وتأثرتْ بها أيّما تأثّر، ليس على مستوى المضامين التطبيقية لهذه العلوم فحسب، ولكن أيضاً، على مستوى تطوير البرامج التعليمية ومناهجِ الدراسة والتعليم وآلياتها المعقدة؛ فإلى أي حدّ استفادت اللغة العربية من هذه الثورة الجديدة، وما أتاحت من إبداعات فنية وتحولات تكنولوجية هامة انعكست آثارها على كل جوانب الحياة العلمية والاقتصادية والثقافية في المجتمعات العصرية؟

الواقع، أنه لا يمكن تقدير أبعاد التحول الذي بدأ يطال اللغة العربية اليوم دون استقراء بعض الجهود الأولية لواضعي أسس هذا التحول من الباحثين المنظرين الذين ما فتئوا يدعون إلى ضرورة اعتماد هذه التكنولوجيا ورعايتها، وينبّهون على مدى خطورة الإبطاء في استيعاب (الثقافة المعلوماتية) وعدم تضمينها في المنظومتين التعليمية والإنتاجية للعالم العربي.

أنوّه هنا، على سبيل المثال، بالدراسة التي أنجزها الدكتور **نبيل علي** بعنوان: (العرب وعصر المعلومات) وقد نُشرت هذه الدراسة في مجلة عالم المعرفة الكويتية (عدد 184)، وهي تتناول موضوع اللغة وتكنولوجيا المعلومات من زوايا علمية ومنهجية يميزها التجديد المنهجي وعمق التصور، وله كذلك كتاب صدر في نفس السلسلة (عالم المعرفة، عدد 265) يحمل عنوان: (الثقافة العربية وعصر المعلومات) وتحته عنوان فرعي (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)، أكْثَرَ صاحبُه في الغوص عن المشكلات الجوهرية المتصلة بمستقبل الثقافة العربية

مقترحاً رُؤىً منطقيةً كفيلةً بتدارك "التخلف التكنو ــ معلوماتي" للعرب وتجاوزهم للعراقيل التي تحول دون لحاقهم بركب المجتمعات المتقدمة في هذا الميدان.

ولم يقتصر الأمر في الدعوة إلى العناية بحوسبة اللغة العربية وعلومها على المبادرات الفردية للباحثين وبعض المهندسين العرب الذين اشتهروا بحبهم للغة العربية وغيرتهم عليها؛ إذ سرعان ما بدأت المجامع العلمية المهتمة باللغة العربية وعلومها تعقد الندوات العلمية لمقاربة موضوع اللغة العربية والمعلوميات، نذكر منها على سبيل المثال ندوة الجزائر الدولية في ديسمبر 2002 حول (اللغة العربية وتكنولوجيا المعلومات)، وندوة أخرى في ديسمبر2007 موضوعها (البرمجيات التطبيقية باللغة العربية) وقد راهنت كل من هذه الندوات على إبراز دور اللغة العربية وقدرتها على مسايرة التطورات التكنولوجية الحديثة.

وأكّدتْ ندوات أخرى ذات خلفية تربوية على هذه الحقيقة، وبيّنت أنَّ المبتدئين في تعلم قواعد اللغة العربية كانوا يتجشمون صعاباً في تعلمها، ويقاسون عناءً في إدراكها لأن الكتبَ القديمة التي وضعت لهم قد طال على تأليفها الأمد، ولقد سطع في هذا العصر نور التجديد وظهرت تقنيات جديدة وتجارب سديدة تعتمد المقاربة المعلوماتية وتبعث في القلوب حب العربية وتبيّن أنها لم تكن لغزاً ولم تكن طلاسماً أو شبحاً مخيفاً، بل آياتٍ بيناتٍ مرصّعات من اللسان العربي المبين، أصل عزتهم ومصدرِ فخرهم ومجدهم...

وإلى جانب المحاضرات والندوات، نُظّمتْ موائد مستديرة كثيرة حول اللغة العربية وتكنولوجيا المعلومات، كما نظمت معارض لمنتجات تكنولوجيا المعلومات التي تستعمل اللغة العربية، شارك فيها إلى جانب الباحثين الأكاديميين خبراء في علم اللغة العربية ونظرائهم العاملين في حقل المعلوميات والبرمجة الآلية، وكانت أبحاثهم تدور حول مواكبة العربية لتكنولوجيا المعلومات، كاللغة العربية والإنترنيت، وتصميم المواقع العربية، وتطوير البرمجيات باللغة العربية، واقتراح

نظم العلاج الآلي لها، إضافة إلى دور الحاسوب في ترجمة المصطلحات من وإلى العربية.

وهكذا ازدادت قناعاتُ القيّمين على اللغة العربية بمدى أهمية (المنظومة المعلوماتية) رسوخاً، وأمَرُوا بإعادة صياغة الرؤى التعليمية والتربوية في سياق تطوير مناهج تعليم اللغة العربية وتحديثها، والإفادة من التقنيات الحديثة التي تتيحها (المعلوماتية) وتطبيقاتُها المختلفة كالمعالجة الآلية للنصوص، والالتماس الفوري لمعاني الألفاظ و**المصطلحات**، والتدقيق اللّغوي، والتدقيق الصرفي، والتدقيق النحوي، والتدقيق الإملائي، والترجمة الفورية، والبحث الببليوغرافي، وتصنيف الدّواوين والمؤلفات، واستعراض فهارس المكتبات، وإنجاز البحوث بدلالة الألفاظ والعبارات أو بدلالة الكلمات الواصفة، وغيرها من التقنيات المعلوماتية الأخرى.

خلاصة القول، لقد أصابت (منظومة المعلوماتية) الثقافة العربية بالتغيير، تماما كما حدث في كل جوانب الحياة، والعمل والموارد، وفي علاقات الإنتاج والتبادل.

– **برامج المعالجة الآلية:** منذ ظهور الحاسوب، في أواخر أربعينات القرن الماضي، وصلته باللغة ما انفكت تتوثق وتتأصل، وكانت العلاقة بينهما ذات طابع تبادلي تفاعلي.

ويرى نبيل علي أن اللقاء بين الحاسوب واللغة كان حتميا وذلك لسبب أساسي وبسيط في الوقت نفسه، وهو أن اللغة تجسيد لما هو جوهري في الإنسان؛ أي نشاطه الذهني بكل تجلياته، وفي الوقت نفسه فإن الحاسوب يتجه نحو محاكاة بعض وظائف الإنسان وقدراته الذهنية، متّخذا من الاعتبارات الإنسانية (الهندسة البشرية) محورا رئيسيا لتصميم نُظُمه ومجالات تطبيقاته ومطالب تشغيله[1].

وتعتبر تقانات المعالجة الآلية للغات هي البناء التّحتي الأساسي الواجب توفيره حتى يتم فوقه بناء كافة التطبيقات الأخرى، ولا تقف تقانات المعالجة الآلية حاليا عند حدّ إدخال البيانات والمعلومات واسترجاعها، بل تمتد إلى التطبيقات اللّغوية التخصّصيّة من تدقيق إملائي، وتدقيق نحوي، وتحليل صرفي، وترجمة آلية

وتقانات التّعرف الضوئي على الكتابات الطباعية واليدوية، والتعرف على الكلام وقراءة النصوص...الخ.

ويشهد العالم منذ أربعة أو خمسة عقود تدفقا سريعا جدا لتقانات المعلومات من نُظم وتشغيل، وبرمجيات، وتطبيقات، ولا يخفى ما لتطويع هذه التقانات لمقتضيات اللغة العربية وحاجات المتعاملين معها من أبنائها بالخصوص من أهمية حيوية وأثر إيجابي في تطوير المعرفة ونشرها وتبادلها، وفي الاندراج الفاعل في العولمة ودخول مجتمع المعرفة، كما سيأتي بيانه لاحقا.

على أن نجاح التفاعل المطلوب بين اللغة العربية والحاسوب، يقتضي من بين أمور عديدة، زيادة تهيئة اللغة العربية، ومزيد إجراء الدراسات والبحوث اللسانية العصرية المتصلة بمستوياتها الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية التركيبية والدلالية، وكذلك بقواعدها الإملائية ومصطلحاتها...الخ.

- **المعالجة الآلية للغة العربية شرط لازم لسد الفجوة الرقمية والمعرفية:**

ساعد انتشار تقانات المعلومات والاتصال الحديثة في الدول الصناعية، ممثلة بالحاسوب وشبكات الاتصال المتنوعة، وفي مقدمتها الشابكة(الإنترنت)، على زيادة إمكانية تخزين ومعالجة المعلومات بكافة أنماطها، وتسريع نقل هذه المعلومات ونشرها على أوسع نطاق، وهو ما مكن هذه الدول من السيطرة على المعلومات والمعارف باستخدام هذه المعارف الحديثة، مما أدى إلى تسارع لا مثيل له من قبل الإنتاج الصناعي والمعرفي المبني على التجديد والإبداع، ومع توسع شبكة الإنترنت ومختلف وسائل الاتصال الرقمية، أخذت العولمة أبعادا جديدة جعلت الدول الغنية تحكم سيطرتها على الدول النامية من خلال ما بات يعرف بالاقتصاد المبني على المعرفة، وازدادت الفجوة بين الأغنياء والفقراء على جميع المستويات الاقتصادية منها والاجتماعية والثقافية والعلمية.

وقد استخدم مصطلح **(الفجوة الرقمية)** لأول مرة في عام 1995 للتعبير عن هذه الهوّة الواسعة، التي تفصل بين من يملك هذه الأدوات الحديثة لتوليد المعرفة

واستثمارها ونشرها، ومن لا يتسنى له ذلك، وبالتالي لا تتاح له فرصة تَمَلُّك كم كاف من المعرفة ولا توليدها ولا توظيفها لمصلحته.

وأطلقت تسمية مجتمع المعلومات على هذا المجتمع المتقدّم، الذي تقود فيه تقانات المعلومات والاتصال الاستخدام والإنتاج المتسارع لخدمات ومنتجات جديدة مبنية على المعرفة والابداع، تغطي طيفا واسعا من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية وغيرها[2].

مما سبق يتبين أن الفجوة الرقمية لها أبعاد كثيرة؛ فمنها:

- البعد التكنولوجي: الذي يتمثل بالبنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخداماتها وتطبيقاتها.
- البعد السياسي: المتمثل بوضع الاستراتيجيات والخطط الوطنية وتحسين البيئة التمكينية.
- البعد المعرفي: المتمثل بالنفاذ إلى المعلومات والمعرفة وبناء القدرات.
- البعد الثقافي واللغوي والبعد الإعلامي والبعد الأخلاقي.

وبالتالي، فإن معالجة الفجوة الرقمية تتطلب العمل على عدة محاور تغطي معظم هذه الأبعاد، ولا يجدي نفعا التقدم على أحد هذه المحاور دون غيرها. فإذا وفرت دولة ما بنية تحتية تكنولوجية متميزة دون تأمين البيئة التمكينية المناسبة على المستوى التشريعي والمالي لتشجيع الاستثمار في هذه التكنولوجيا وتطبيقاتها فلن تنتشر التطبيقات المعلوماتية ولن يعم النفاذ إلى المعلومات والمعرفة من قبل عامة الشعب. وكذلك فإن عدم بناء القدرات البشرية في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تشكل نقطة ضعف في المنظومة التكنولوجية وتمنع استدامتها.

- **الوضع الراهن للمعالجة الآلية للغة العربية:** حاول نبيل علي في دراسات عديدة إجراء تقييم كمي ونوعي للوضع الراهن لمعالجة اللغة العربية حاسوبيا[3]. وهو يشير إلى أن نُظم معالجة اللغات الطبيعية آليا قد حققت إنجازات ملموسة على مستوى اللغة المكتوبة، وسرعة أقل على مستوى اللغة المنطوقة. وقد حققت

معالجة اللغة العربية آليا نجاحا تقانيا واقتصاديا ملحوظا. فعلى مستوى الحرف تم تعريب نظم التشغيل وتطوير الأجهزة الطرفية للتعامل مع الحاسوب دخولا وخروجا، وعلى مستوى الكلمة تم تطوير معالج صرفي آلي قادر على تحليل أية كلمة عربية إلى عناصرها الاشتقاقية والتصريفية، وتفكيكها من السوابق واللواحق. وعلى مستوى الجملة تم تطوير نظام آلي لإعراب الجملة العربية، مكّن من تطوير نظام لتشكيل النّصوص العربية تلقائيا، فأتاح بدوره تطوير برنامج تحويل النّصوص العربية إلى مقابلها المنطوق، بعد أن توفرت أداة عملية لتشكيل هذه النصوص آليا يتعذر بدونها نطق الكلمات العربية. وقد مهد نظام الإعراب الآلي للدخول في عدة مجالات متقدمة لتقانات اللغة، منها نظم الترجمة الآلية.

وهناك مبادرات من بعض الجهات لتعريب مداخل الإنترنت والتوحيد القياسي لأسماء النطاقات العربية. ويؤكد نبيل علي أن التوحيد القياسي لهذا العنصر الهام سيزيد من فاعلية آليات البحث بالعربية، وإتاحة خدماتها لكافة الجماهير غير القادرة على التعامل باللغات الأجنبية.

وبعد هذه الطفرة، خمدت جهود تطوير معالجة اللغة العربية آليا، في رأي نبيل علي أيضا،لأسباب عديدة منها:

- عدم تقديم الدعم اللازم للقطاع الخاص المبادر في المجال؛
- ندرة مراكز البحوث الأكاديمية النظرية والتطبيقية في مجال اللسانيات الحاسوبية؛
- عدم قدرة شركات البرمجيات الرائدة على مواكبة سرعة التغير في هذا المجال؛

وتسعى شركات البرمجيات المتعددة الجنسيات في الوقت الراهن إلى احتكار معالجة اللغة العربية آليا على مستويات الوحدات اللغوية الأكبر – ما فوق وحدة الجملة – في إطار استراتيجيتها لاحتكار سوق تقانات اللغات عالميا.

- **قضايا عالقة في سبيل المعالجة الآلية للغة العربية:** يشير **محمد مرياتي**[4] إلى أنه رغم مُضي أكثر من نصف قرن على وجود الحاسوب، وأكثر من ربع قرن على وجود الشابكة (الإنترنت)، فإن هناك الكثير من القضايا لا تزال عالقة في طريق دخول اللغة العربية المجالات التطبيقية المختلفة لتقانات المعلومات والاتصال الحديثة، مع المحافظة على خصائصها المميزة.

ومن هذه القضايا العالقة ما يلي:

1- توحيد مواصفات ترميز المحارف العربية؛

2- اعتماد مواصفة لأسماء النطاقات على الشابكة العربية؛

3- وضع مواصفة لرومنة الأسماء العربية؛

4- وضع مواصفة لكتابة الأصوات الأجنبية بحروف عربية؛

5- اعتماد مواصفة عربية للأرشفة (للكتب، والمجلات، والوثائق، والمتاحف، وغيرها)؛

6- محرك بحث ومتصفح عربي يعتمدان على موصفات وميزات اللغة العربية؛

7- برامج قياسية لإدارة المحتوى؛

8- علامات الشكل أو استعمال المصوّتات القصيرة والشدة؛

9- الترجمة الآلية؛

10-منهجية لوضع **المصطلح** العربي؛

11-تطوير مدقّق إملائي ومحلل صرفي ومدقّق نحوي؛

12-وضع معاجم ومكانز عربية رقمية...الخ.

وتحتاج كل هذه القضايا إلى تنسيق البحث والتطوير ما قبل التنافسي على المستوى العربي، لتخفيف التكلفة على الجميع، وضمان التقدم والنّمو على الساحة العالمية من جهة، ودعم التوجّه نحو البرمجيات المفتوحة المصدر، الدّاعمة للغة العربية من جهة أخرى.

وسيساعد حل هذه القضايا على زيادة المحتوى العربي، وبالتالي على التوجّه نحو مجتمع المعرفة، الذي هو مجتمع التقدّم والمناعة والنماء.

- **برامج البحوث الدلالية:** إن وضع برنامج آلي للبحوث الدلالية في اللغة لَمِن المشروعات التي لا تزال في مراحلها الأولى، لا بالنسبة إلى اللغة العربية فحسب، وإنّما بالنسبة إلى كل اللغات الطبيعية دون استثناء.

ومن البديهي أن النقص الحاصل في مجال وضع البرامج الآلية للبحوث الدلالية، راجع أساسا إلى أن: "أهم ما يواجهه النظام الخبير على المستوى الدلالي هو وجود ظواهر دلالية عديدة كالمجاز والاستعارة والكناية... وجميعها تخرج بالدلالة من الواقع والظاهر إلى المؤول والمجاز. وهذا يوجب حصر التعابير المجازية الدائرة على الألسنة والكتابة وتبويبها دلاليا، مما يعين النظام الخبير على معرفتها والاستدلال عليها. ومعلوم أن القواعد الدلالية وسماتها ومعطياتها، لا يمكن الوقوف عليها إلا بعد الضلوع فيها وتجاوز مراحل من معالجة المستوى الدلالي"[5].

وإذا كانت البحوث الدلالية وعرة المسالك، فإن ذلك لم يحل دون إنجاز العديد منها في إطار بحوث الترجمة الآلية، وإعداد برمجياتها، وبخاصة في (الترجمة الآلية القائمة على التحويل) والتي تمر بثلاث مراحل هي: التحليل والتحويل والتوليد.

وفي إطار المرحلة الأولى وهي التحليل، ينجز تحليل صرفي وآخر نحوي وثالث دلالي يحدد معاني الكلمات في حال ورودها مستقلة وفي حال اندراجها ضمن سياق تركيبي معين، فـــ "التعرف على معاني الكلمات، يستلزم التعرف على خواصها الدلالية التي يتم عادة تصنيفها وتفريعها على شكل أهرام تصنيفية، أو غالبا وفقا لشبكات من العلاقات الدلالية"[6]، ومثال ذلك التمييز بين المحسوس والمجرد، أو الحي والجامد، أو المتحرك والثابت.

ويهدف المحلّل الدّلالي إلى استحضار مختلف المعاني الممكنة للكلمة، وذلك بالاعتماد على القواميس العامة والمختصة، وباستثمار منتجات المحلل الصرفي والمحلل النحوي.

وقد طُبّقت بعض صور البحث الدلالي أيضا في النُّظم الآلية لإعداد مستخلصات النصوص بالاعتماد على الكلمات المفتاحية، التي تتحدد خاصة تبعا لتكرر ورودها في النص. على أن الاهتمام بالدلالة في إطار المعالجة الآلية للغة، لم يقتصر على الترجمة الآلية؛ وإنما تعدّاه إلى مجال أدق؛ وهو الفهم الآلي للنّصوص. وتتجه الشابكة (الإنترنت) حاليا نحو ما يعرف بـــ(الويب الدلالي) Semantic web ويقصد به النفاذ إلى مضمون الوثائق الإلكترونية، خلافا لما يجري حاليا في التعامل معها على مستوى ظاهر الألفاظ والنصوص. ويتطلب الويب الدلالي تطبيقات لغوية ذكية لتحليل مضمون الوثائق، وفهم النصوص آليا، واستنباط ما تبطنه سطورها من معان ومفاهيم.

وفي رأي نبيل علي "أن معالجة اللغة العربية ألية تواجه –هي الأخرى– فجوة حوسبـــة، وهي تقف الآن في نقطة مفصلية، تفرض الارتقاء بمستوى التعامل من وحدة الجملة إلى الوحدة اللغوية الأكبر، ألا وهي الفقرة، توطئة للتعامل مع النصوص السردية. ومن جانب آخر فإن التوجه العام نحو تطبيق الارتقاء بمستوى المعالجة إلى وحدة البناء الرئيسية للمعرفة، ألا وهي المفهوم، حتى يتسنى فهم النصوص العربية آليا، والنفاذ إلى عمق مضمونها، وذلك تلبية للنقلة النوعية لجيل الإنترنت الثاني في مجال التعامل مع الوثائق الإلكترونية المعروفة باسم الويب الدلالي"[7].

وتحتاج برمجيات التحليل الدلالي إلى بحوث كثيرة تتناول مختلف العلاقات ضمن السّياق وتنوّعها بتنوع العناصر المكوّنة له. وتتأثر دلالة اللفظ المفردة وكذلك دلالة الجملة بترتيب العناصر، وبما قد يطرأ على بعضها من حذف، وكذلك بالتعدية أو اللزوم...إلخ.

أما اللوازم فهي ما يلزم الكلام أو الجملة من أحوال لا تنفك عنهما، وهي لازمة السّياق، ولازمة المقام، ولازمة الحدث، ولازمة المتكلم، ولازمة المتلقي، ولازمة الزمان، ولازمة المكان، ولازمة الثقافة، واللازمة النفسية، ولازمة الإشارة.

وعموما فإن المعالجة الآلية للدلالة اللغوية، تقتضي البحوث الدلالية العميقة التي تساعد المعلوماتية نفسها على إنجازها.

ومن المشروعات التي يقترحها نبيل علي[8] في هذا الصدد:

1- بناء معجم للغة العربية الحديثة على أساس ذخائر النصوص.

2- بناء معجم واف للتعابير **الاصطلاحية**، يشمل ما يحدد سلوكها التركيبي والسياقي.

3- مراجعة شاملة لتعريفات المعاني في المعجم العربي، ويمكن الاستهداء في ذلك بمعجم أكسفورد، مع تحويل هذه التعريفات إلى شبكات دلالية في إطار مشروع بحثي متكامل تشترك فيه أكثر من جهة بحثية.

4- تطوير نظام آلي للتحليل المعجمي قادر على استنباط المكونات الدلاليّة للمفردات، وكذلك للعلاقات الدلالية لأنواع المتصاحبات اللفظية المختلفة.

5- تطوير آلة استنتاج عربية، لدعم الفهم الأوتوماتي وتلبية مطلب الويب الدلالي.

6- التوسع في تطوير النظم الآلية للفهرسة والاستخلاص والتلخيص، وتطوير نظام ذكي لتصنيف الوثائق أوتوماتيا على أساس المضمون، من أجل مواجهة حمل المعلومات الزائدة.

7- تطوير نظم التعرف على الكلام العربي بدمج شق معالجة الصوتيات مع النظم الذكية لمعالجة اللغة آليا.

8- مشروع الموجة الثانية لمعالجة اللغة العربية آليا(الويب الدلالي) وذلك بهدف تهيئة اللغة العربية للنقلة النوعية لجيل الإنترنت الثاني، وتلبية الحاجة إلى استخلاص المعرفة أوتوماتيا من متن النص.

9- بناء معجم عربي على أساس قواعد ذخائر النصوص:

ويعد هذا المشروع المدخل الطبيعي لإدخال صناعة المعاجم العربية عصر المعلومات. ويتم على أساس اختيار عينة ممثلة للاستخدام الفعلي والحقيقي للغة العربية القياسية، ويهدف إلى تحديد معاني الكلمات على أساس السياقات الفعلية وتنميط تعريفات معاني الكلمات، والتمهيد لتحويل محتوى متن المعجم، وبخاصة شق تعريفات المعاني، إلى شبكة دلالية ليكون ذلك إحدى الركائز الأساسية لتهيئة اللغة العربية لدخول مجال الذكاء الاصطناعي، والتنقيب عن المعرفة في ذخائر النصوص من أوسع أبوابه.

- **برامج الترجمة الآلية من العربية وإليها:** وفي مجالات الترجمة الآلية من العربية وإليها، يمكن أن يكون لآلة الحاسوب وبرامجها إسهامات لا بأس بها ولكنني أرى حسب ما تم بيانه، أن نجاحنا في الترجمة يعتمد على فلاحنا في حوسبة أنظمة العربية صوتيا وصرفيا وتركيبيا ومعجميا؛ ومدى قدرة أبناء العربية على التوحد في استعمال مصطلحاتهم العلمية وألفاظهم الحضارية: مصدر لغة العلوم والحضارة.

إن الترجمة الآلية الناجحة تتطلب أيضا دراسات مقارنة في خصائص اللغات المترجم منها وإليها، وبرامج محوسبة قادرة على التصفح الآلي للنصوص المكتوبة أو المقروءة، ومكنزا محوسبا تستقي منه مادة مفرداتها وتراكيبها و**مصطلحاتها** وأساليبها المجازية، بما يتفق والنتائج العلمية التي يتوصل إليها الدارسون؛ الأمر الذي سيفيد في إغناء عملية الترجمة، وسينتج مترجمات يتوفر لها نصيبا كبيرا من سلامة المضمون واللغة.

وتواجه الترجمة خاصة، واللغة العربية عامة، والثقافة عامة والفكر العربيان بصفة أعم، تحدّيا كبيرا في الوقت الراهن، وهو تحدّي الترجمة الآلية التي قطعت شوطا كبيرا غربا وشرقا وحققت نجاحا معقولا يقربها أكثر من الكفاءة المنشودة.

وتوجد في الوطن العربي وخارجه مبادرات مشجعة لتطوير نظم آلية للترجمة بين الإنجليزية والعربية، وكذلك بين الفرنسية والعربية، قام بها باحثون عرب غالبا. وهذه المبادرات التي لا يدعي أصحابها كمالها، جديرة بالتشجيع ضمانا لاستكمال مسار تطورها الذي هو بحكم طبيعته طويل الأمد. وكما قال الدكتور نبيل علي فإن التقاعس في الوقت الراهن عن الاهتمام بالترجمة الآلية والاهتمام اللائق سيحرمنا من ثمارها مستقبلا.

هذا ويسود الاعتقاد بأن حاجتنا في الوطن العربي مقتصرة على الترجمة من اللغات الأجنبية، وخاصة الإنجليزية، باعتبارنا مستوردين للمعرفة ومتلقين لها ولسنا منتجين، إلا أنه في ظل ثورة المعلومات، وحوار الثقافات والحضارات وحاجة العرب إلى الذود عن ثقافتهم وحضارتهم ومصالحهم، فإن حاجتهم إلى الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية قد أصبحت أيضا حاجة متأكدة.

وعموما فإن راهن الترجمة العربية، تنظيرا وإنتاجا وتأهيلا وتدريبا وحوسبة وتنظيما وتشريعا، لا يلبي الحاجات التنموية والحضارية الكبيرة للوطن العربي ولا يساعد اللغة العربية على أن تنهض نهضتها المنشودة. لذلك فإن الترجمة العربية ستجد حتما، في الترجمة الآلية وما يقتضيه إنجازها من بحوث ونظم لسانية حاسوبية فرصة ثمينة للإسهام الفاعل في سد الفجوة المعرفية القائمة. على أن الترجمة الآلية نفسها في إطار من سياسة لغوية قومية تعطي للغة العربية المكانة الأولى في العلم والتعليم والعمل والثقافة والتواصل، وما لم يحصل أيضا تقدم حقيقي في المعالجة الحاسوبية للغة العربية من جهة، وفي تطوير المحتوى العربي من جهة أخرى.

- **ما الترجمة الآلية؟** من تعريفات الترجمة الآلية أنها: "استخدام المعلوماتية في ترجمة نصوص من لغة طبيعية منطلق إلى لغة هدف"[9]. وعرّفها **نبيل الزهيري** بأنها "استخدام الكمبيوتر(الحاسوب) في ترجمة نص مكتوب بلغة ما إلى لغة أخرى بواسطة برنامج آلي مخصّص لذلك"[10].

وهكذا فإن الترجمة الآلية ظاهرة معرفية حديثة، وإحدى تقانات المعلومات وهي تقتضي توفر عناصر أساسية ثلاثة هي: **الحاسوب والنص والبرنامج الآلي.** "ويبقى الإنسان عنصرا مهما، تتحدد جودة الترجمة بمدى مساهمته فيها"[11].

ويمكن أن نميز بين ثلاثة أصناف من الترجمة الآلية:

1- ترجمة آلية كاملة: تشتغل وفق "نظم تعمل دون تدخل بشري، سواء من حيث ضبط النص المراد ترجمته أو تصويب النص الذي تمت ترجمته"[12].

وتستطيع الترجمة الآلية القيام بعملية الترجمة بشكل أسرع وتكلفتها أقل من المترجمين، كما أنّها تقدم مساعدة لمترجم بشري؛ فحتى لو كانت غير دقيقة غالبا فإنّها على الأقل تعطينا فكرة عن محتوى النص.

2- ترجمة بشرية بمساعدة الحاسوب: تتمثل في استحضار المترجم لجملة من الأدوات الآلية المساعدة في الترجمة من قبيل المعاجم الإلكترونية، وبنوك المصطلحات وذخائر النصوص، فضلا عما يعرف بـــ(ذاكرة الترجمة) التي "تقوم أساسا على فكرة تخزين واسترجاع النصوص التي سبق ترجمتها بغرض إعادة استخدامها في نصوص مشابهة"[13].

3- الترجمة الآلية بمساعدة المترجم البشري: وهي التي تقتضي إعداد النص المزمع ترجمته مسبقا قبل إدخاله إلى الحاسوب، إذ يتولى المترجم تذليل الصعوبات التركيبية، ورفع مواضع اللبس (تجنب التراكيب المعقدة والجمل الطويلة...) الواردة في النص، حتى تتحقق مقروئيته، وترجمته على نحو سهل من جانب الآلة ويتولى المترجم في مرحلة ثانية مراجعة مخرجات الترجمة الآلية وتهذيبها.

وقد أدى تطور المعلوماتية على صعيدي العتاد والبرمجيات، وكذلك تطور اللسانيات وتفاعل هذين العلمين مع علوم أخرى عديدة مثل المنطق والإحصاء إلى تطور الترجمة الآلية ونظم اشتغالها.

من خلال التمييز بين هذه الأصناف يمكنني القول؛ إن الترجمة الآلية مهما تقدمت فهي تبقى ترجمة تقريبية، تحتاج دائما إلى تدخل العنصر البشري كي

تصبح ترجمة سليمة، لأنّ الإنسان هو الوحيد القادر على فهم سياق النص؛ إذ لا يمكن تعويض العقل البشري بالعقل الاصطناعي، وحتى الآن الترجمة الآلية رغم أهميتها ما تزال بدائية، فهي تحتاج إلى تحرير لاحق وسابق لتسهيل المهمة في الحاسوب.

ومن أهم المناهج المعتمدة في تصميم نظم الترجمة الآلية يمكن أن أذكر:

1- الترجمة المباشرة: تم اعتماد هذه الطريقة في بدايات الترجمة الآلية وتأسست على "المقارنة المعجمية المباشرة في قاموس ثنائي اللغة بين مفردات اللغتين المعنيتين بالترجمة"[14].

وإن الأسلوب المعتمد هو ترجمة كلمة بكلمة، وهي ترجمة حرفية تضمن في بعض الأحيان تحديد مرادفات الكلمات في اللغة الهدف، لكنها تهدر التحليل العميق لمكونات الجملة.

2- الترجمة القائمة على التحويل: إن الترجمة التحويلية هي نظام القواعد التي تربط كلمات لغة ما وبناها بكلمات لغة أخرى وبناها، وهي تتم عبر التمثيل اللساني للجملة، وتتأسس على علاقة ترجمة بين كلمات اللغة المنطلق وكلمات اللغة الهدف[15].

ويلاحظ الدكتور نبيل علي أن "كل المشاريع العربية الجارية للترجمة الآلية حاليا تقوم على نموذج التحويل"[16].

وتقتضي هذه الترجمة إنجاز ثلاث مراحل هي: التحليل والتحويل والتوليد.

والمقصود **بالتحليل**" تفكيك الكل إلى الأجزاء المكونة له بغرض تحديد نوعها أو وظيفتها أو علاقاتها"[17]. والمراد به في سياق الترجمة الآلية النظر في الوحدات اللغوية المكونة للنص المنطلق وطبيعة العلاقات الموجودة بينها صرفيا ونحويا ودلاليا. ويتم التحليل على المستوى الصرفي (التحليل الصرفي) والمستوى التركيبي(التحليل النحوي) والمستوى الدلالي(التحليل الدلالي).

والمقصود **بالتحويل** في الترجمة القائمة على التحويل إيجاد المقابلات المناسبة في اللغة الهدف للكلمات التي يتضمنها النص المصدر(تحويل معجمي) وتحويل البنية النحوية للنص المنطلق إلى مكافئاتها في اللغة الهدف (تحويل تركيبي).

أما **التوليد**– وهو المرحلة الثالثة في الترجمة القائمة على التحويل– فهو إخراج النص في صيغته النهائية في اللغة الهدف على نحو ينسجم مع بناها النحوية وقواعدها الصرفية ووحداتها المعجمية.

3– الترجمة باستخدام اللغة الوسيطة: يتأسس نظام الترجمة الآلية باستخدام اللغة الوسيطة على الترجمة بواسطة(لغة محايدة لسانيا) تتمثل معنى الجملة أو النص في اللغة المصدر، ويتم من خلالها توليد النص في اللغة الهدف[18]. ورغم ما في الترجمة باعتماد لغة وسيطة من طموح كبير، فإن إنجازها يبدو صعبا في الوقت الراهن، باعتبار ما تتميز به اللغات الطبيعية من اختلاف في بناها الصرفية والنحوية.

4– الترجمة القائمة على أساس إحصائي: من خلال تجميع كم هائل من النصوص في مجال معرفي معين، يتم" تخزين المعلومات الإحصائية المتعلقة بالتقابلات بين مكونات النصوص المصدر والنصوص الهدف، فيتم تشكيل جداول إحصائية لكل زوج من اللغات تحتوي على احتمالات ترجمة حروف وكلمات وأشباه جمل، وجمل اللغة المصدر بمقابلاتها في اللغة الهدف"[19]. فالكلمة أو الجملة التي تمنح أكبر احتمال في اللغة الهدف، يمكن أن تعتمد في فك شفرات النصوص المقبلة. وذلك إذا ترددت كلمة ما لتكن (كتاب) على سبيل المثال لا الحصر في2000 جملة عربية، وترددت كلمة (Livre) في ذات العدد من الجمل الفرنسية وفي نفس المواضع فسيتعرّف البرنامج أنّ الكلمة الفرنسية (Livre) هي مقابل الكلمة العربية (كتاب). ولتكون طريقة عمل هذا النّوع من برامج الترجمة الآلية ناجحةً، يجب تغذية قاعدة بياناتها بكمية هائلة من المواد المترجمة مع النّصوص

باللغة المصدر، لتتم عملية الاكتساب التلقائي للمعرفة. وفي هذا المضمار، يعدّ نظام جوجل أشهر الأنظمة وأكثرها استعمالاً على الإطلاق.

ويبدو هذا الخيار في الترجمة الآلية مفيدا، خاصة في حال تعدد معنى الكلمة الواحدة كما بيَّنتُ، إذ يتم اختيار الكلمة التي يكون احتمالها أكبر في الترجمة الإحصائية.

وهذا تمثيل بياني لأنواع الترجمة الآلية التي ذكرتها:

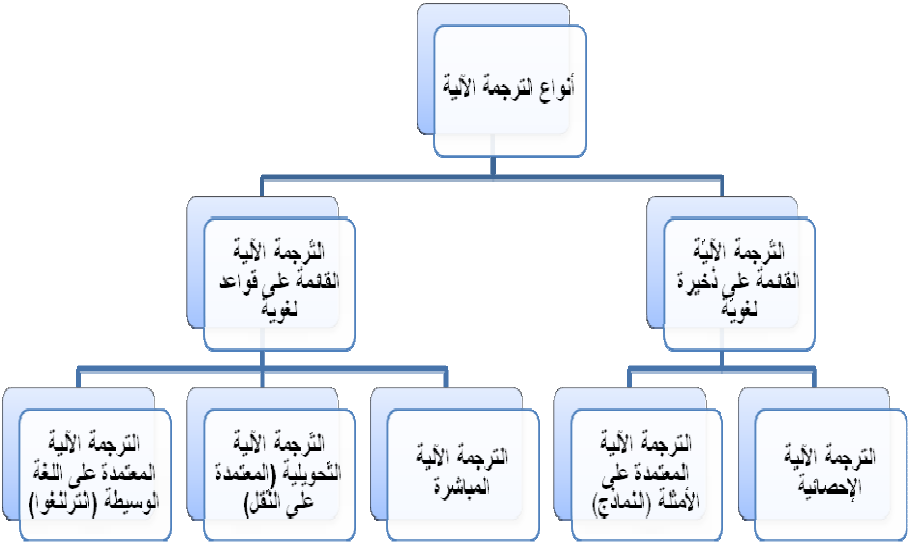
أنواع الترجمة الآلية
الترجمة الآلية القائمة على ذخيرة لغوية
الترجمة الآلية القائمة على قواعد لغوية
الترجمة الآلية الإحصائية
الترجمة الآلية المعتمدة على الأمثلة (النماذج)
الترجمة الآلية المباشرة
الترجمة الآلية التحويلية (المعتمدة على النقل)
الترجمة الآلية المعتمدة على اللغة الوسيطة (الترانسفا)

- **برمجيات الترجمة الآلية من العربية وإليها:** البرنامج في مجال المعلوماتية هو "نص يكتب بلغة مبرمجة، يسرد سلسلة من الخطوات المحددة لتحقيق نتيجة أو أثر ما؛ كحل مشكلة أو تشغيل أجهزة أو إنتاج أو كتابة أو رسم(...). ولكي يستطيع الكمبيوتر أن ينفذ البرنامج، يلزم ترجمة عبارات البرنامج إلى تعليمات بلغة الآلة بواسطة برنامج آخر متخصص يسمى برنامج المعالجة اللغوية"[20]. ولا تخرج الترجمة الآلية عن هذا الإطار؛ ذلك أنها نقل لنص ما من لغة طبيعية، إلى لغة طبيعية أخرى باعتماد نظم حاسوبية مخصوصة.

ومن أهم برمجيات الترجمة الآلية من العربية وإليها يمكن أن أذكر:

1- برمجية ترانسفير: هي من إنتاج شركة التكنولوجيا التطبيقية ABTEK ببريطانيا. ومن أهم خصائصها تحليل التراكيب الصرفية والنحوية والدلالية للنص المنطلق، قصد توليد نص هدف بعد القيام بعمليات التحويل المناسبة، واستخدام قاموس عام بالإضافة إلى قواميس متخصصة، تبعا لمجالات النص، وإتاحة إمكانات تحديث القواميس بإضافة المستخدم لكلماته الخاصة ومرادفاتها، وكذلك إمكانية النطق الآلي للنصوص وتدقيقها إملائيا.

2- برمجية الناقل العربي: تعمل هذه البرمجية التي أنتجتها شرجة سيموس بباريس على الترجمة الثنائية فيما بين الإنجليزية والعربية والفرنسية والعربية وتتضمن قاموسا عاما يحتوي على أكثر من 150.000 مدخل أساسي وقواميس متخصصة في مجالات معرفية مختلفة(طب، معلوماتية، أعمال...) فضلا عن قاموس الأفعال وقاموس المرادفات، وتمكن المستخدم من بناء قاموس خاص به يوفر له إمكانية إدارة مداخل القاموس (إضافة، تغيير، حذف) وتتيح ترجمة التعابير الاصطلاحية والمختصرات الدولية، وتمتلك ذاكرة حاسوبية للنصوص المترجمة على المستخدم اللجوء إليها إذا كانت النصوص المترجمة متكررة.

3- برنامج المترجم العربي: هو من إنتاج شركة آي تي آي لتقنية البرامج في لندن. وبين عامي 1995 و1998 أنتجت الشركة برنامجين للترجمة الآلية من الإنجليزية إلى العربية هما(المترجم العربي) و(الوافي للترجمة العربية). وقد تم تحديث (المترجم العربي) ليصدر في نسخة جديدة سنة 2002، وأهم خصائصها احتواؤها على قاموس عام ثنائي يشمل على أكثر من مليونين ونصف المليون من الكلمات العربية والإنجليزية، وقواميس أخرى متخصصة في مجالات محددة (صيدلة، رياضة، هندسة...)، وترجمة التعابير الاصطلاحية والمختصرات، إضافة إلى قاموس المستعمل الذي يخول له إدخال الكلمات الجديدة ووضع مقابلاتها مما يسمح بتحديث البرمجية. وهذا البرنامج يمكن المستعمل من عرض النصين (المنطلق والهدف) فقرة فقرة بصيغة متقابلة أو على نحو متتال مما ييسر عملية

المراجعة، وهو يتوفر على معالج للكلمات البديلة يمكن المستعمل من معرفة المقابلات العربية الممكنة، كما يحتوي على مدقق إملائي ويوفر قراءة صوتية للكلمات والنصوص الإنجليزية، ويساعد المبتدئ على تعلم نطق الإنجليزي.

ولدى شركة آي تي آي خطة لإنتاج نظام للترجمة الآلية من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية، وقد بدأت بالفعل- طبقا لما أعلنه مديرها- في تطوير ووضع القواميس، وقد تم إنتاج أول نسخة من النظام في عام 2009.

4- الترجمة الآلية من العربية وإليها عبر الإنترنت: يمكن أن أذكر من المواقع القليلة ما يلي:

أ- **موقع المسبار:** وهو من تصميم شركة آي تي آي لتقنية البرامج. ومن أهم مميزاته تقديم ترجمة من الإنجليزية إلى العربية، واحتواؤه على قواعد التدقيق الإملائي في العربية، وتخييره المستخدم بين الحصول على نسخة مضبوطة بالشكل أو غير مضبوطة. ويطلب البرنامج من المستخدم تحديد المجال الذي يندرج ضمنه النص موضوع الترجمة.

ب- **موقع عجيب:** هو موقع أحدثته شركة صخر التي عنيت منذ منتصف ثمانينات القرن العشرين بالمعالجة الحاسوبية للغة العربية، واهتمت بتطوير نظام للترجمة الآلية ثنائي الاتجاه في ما بين العربية والإنجليزية. ويتضمن الموقع توفير خدمة الترجمة الآلية الفورية بالاعتماد على نظام(ترجم) Tarjim الذي تم إطلاق نسخته التجريبية على الويب عام 2000. ويلبي الموقع أكثر من مئة وخمسين ألف طلب للترجمة يوميا.

وهذا الموقع يمكن المستخدم من ترجمة المواقع من الإنجليزية إلى العربية والعكس، وهو ما يسهل الإبحار على الإنترنت، كما يسمح للمستخدم بنقل نص ما من داخل التطبيق الحاسوبي(مثل الورد أو البريد الإلكتروني) إلى الموقع، وهو يوفر التدقيق الإملائي ويتيح للمستخدم البحث في قاموس صخر متعدد اللغات.

ج- **نظام عاجل لترجمة الأخبار:** نظام عاجل هو نظام إلكتروني للحصول على آخر الأخبار المترجمة إلى اللغة العربية فور صدورها من مواقع الأخبار والصحافة العالمية على شبكة الإنترنت، وهو يزود المستخدم بآخر الأخبار المترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية بواسطة آلية الترجمة الخاصة بشركة آي تي آي، ويعرف هذا النظام بخدمة آر إس إس R S S.

ويتكون نظام عاجل الذي طورته شركة آي تي آي من ثلاث تطبيقات برمجية توضع على جهاز المستعمل ومن خدمات أخرى خاصة بشبكة الإنترنت لتوفير آخر التحديثات من النشرات الإخبارية.

- **رأي الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في المعالجة الآلية:** يتطلب العلاج الآلي للنصوص حوارا جادّا بين المهندس واللغوي؛ لأنّ اللغوي خبير باللغة وخصائصها، و المهندس خبير بالحاسوب و تقنياتها، فلا بدّ من وجود عمل تكامليّ بينهما، يتوّج في الأخير بعلاج آلي مثالي للنصوص، يمكّن الباحث من سبرها وإنجاز دراسات متميّزة تكون هذه النصوص منطلقاتها، وإذا غاب ذلك بينهما، فإنّه يؤدي إلى فقد حلقة مهمّة في البحوث العلمية، ويقول الدكتور الحاج صالح: إنّ "الوضع الراهن الذي هو عليه العلاج الآلي للغات وخاصة اللغة العربية، فالذي لاحظناه هو أن الحوار بين المهندسين وبين اللغويين صعب جدا بل قد يتعذر أحيانا، وربما أدّى ذلك إلى أن يشتغل المهندس وحده مع ضآلة المعلومات العلمية التي لديه عن الظواهر اللغوية، والعكس أيضا حاصل"[21]، ولمّا رأى الدكتور ذلك اقترح " أن تنظم المؤسسات حصصا في مستوى الماجستير في النظريات اللسانية للمهندسين وفي علوم العلاج الآلي للسانيين الذين يريدون أن يتخصصوا في هذا النوع من البحوث"[22]، وهو اقتراح – في الحقيقة – مرهون بإعداد الباحث الكفء والذي يجب أن يكون ملمًّا باللغة وخصائصها، وبالحاسوب وأسراره. وهو ما تجسّد معنا نحن – طلبة ماجستير علوم اللغة- لهذا العام(2014/2013) حين كلَّفنا أستاذنا **الدكتور صالح بلعيد** بإحضار أجهزة الكِبتار(الحاسوب) من أجل التمرُّس في

استخدامها أثناء الدّراسة؛ مُسايرة لمستجدات العصر، ولأن ذلك سيجعلنا أكثر خبرة بالحاسوب واللغة في الآن نفسه، مما يتيح لنا فرصا أكثر للتحكم في المعالجة.

- **قضايا عالقة في طريق استخدام اللغة العربية في تقانات المعلومات والأدوات المساعدة:** من القضايا العالقة في طريق استخدام اللغة العربية في تقانات المعلومات عامة وفي الترجمة الآلية أو الترجمة باستخدام نظم المعلومات والأدوات المساعدة خاصة:

توحيد مواصفة ترميز المحارف العربية، وتوحيد كتابة الأصوات الأعجمية بحروف عربية، وتوحيد رموز وحدات القياس...الخ، وهي قضايا دار حولها نقاش كبير منذ أواسط النصف الأول من القرن العشرين دون أن تجد الحل المطلوب، أو بالأحرى دون أن تجد الحلول المقترحة الآذان الصاغية، لضعف الوعي بضرورة إصلاح اللغة وتقييس مختلف مظاهرها.

إن ضعف حركة الترجمة بالوطن العربي في هذا القرن والناتج عن أسباب عديدة في مقدمتها قلة الطلب عليها نتيجة هيمنه اللغات الأجنبية وخاصة في التعبير العلمي، لم يحفز اللسانيين والمعلوماتيين وأصحاب القرار في الأقطار العربية والمنظمات والهيئات القومية إلى الانشغال بموضوع الترجمة الآلية بحثا وتطبيقا. وعلى الرغم من بعض المنجزات القيّمة سواء داخل الوطن العربي أو خارجه، فإن الاجماع حاصل على التخلف العربي في مجال الترجمة الآلية خاصة واللسانيات الحاسوبية عامة، وهو ما يحتم الانكباب على هذا الوضع وإيجاد الحلول الناجعة له إسهاما في النهوض باللغة والثقافة العربيتين لدخول مجتمع المعرفة.

– **خاتمة:** وأخيرا ليس عيبا أن ننقل من غيرنا، بعد الفهم العميق لما ننقل، ثم الإضافة التي تضفي التميّز ولا تجعل عملنا صورة طبق الأصل لما اعتمدناه أصلا، ومن هنا يجب أن نفهم جيدا بأن معنى الأمّية المعاصرة من لا يستعمل هذه التقنيات الحديثة، إضافة إلى ربط أصالة الماضي بمحاسن الحاضر، وتلك واقعة

معاصرة يجب تشجيعها؛ لأنها السبيل إلى التفعيل في مجتمع معاصر، يعيش عصره.

وعليه آمل في خاتمة هذا العرض البسيط مراعاة هذه المنطلقات المقترحة:

- ضرورة الاهتمام بالمحتوى العربي على شبكة المعلومات الدولية لتعزيز الهوية العربية.

- ضرورة ابتكار الخطط، وعمل الدراسات الجديدة التي تدفع الاستعمار المعلوماتي وتحمي الهوية العربية من التبعية .

- ضرورة محاولة غزو المحتويات الأجنبية بابتكار مصطلحات عربية سهلة تجذب المتصفح الأجنبي، خاصة بعد الثورات العربية التي جعلت الأجنبي أكثر استشرافا لأخبار هذه الدول والتعرف على ثقافتها.

- ضرورة عمل مسابقات بين الباحثين التقنيين لعمل برامج آلية باللغة العربية، لتصبح بديلا عن البرامج الأجنبية، وابتكار برامج جديدة تخدم العلم باللغة العربية، لنعيد دور الريادة مرة أخرى للغة العربية ولكن بشكل تقني.

- ضرورة تفعيل دور الجامعات والمؤسسات العلمية للاهتمام بالترجمة والتعريب، لمعرفة كل ما هو جديد من تقنيات وعلوم، وتشجيع المؤسسات والمراكز الخاصة بما يخدم الحفاظ على الهوية في عصر العولمة.

- ضرورة استنهاض الأمة العربية عامة والإسلامية منها بشكل خاص لمواجهة تقابله من تحديات كبيرة، وخطار منظمة ومدروسة، والتي تعمل على محاولة مسخ هويتها، بل إذابتها وتبعيتها لغيرها.

- ضرورة مواجهة مخاطر الانفتاح المعلوماتي في عصر العولمة يتطلب تجيش فاعليات الأمة للتعاون من أجل وضع خطة محكمة، كفيلة بالتغلب على مخاطر العولمة الثقافية لإنقاذ الهوية العربية.

- ضرورة عمل البناء المتكامل للإنسان العربي، ليكون في حجم التحدي وتربيته على أخلاقيات أصيلة تمنحه المناعة الحضارية المطلوبة، ولعل أهم مرحلة

في هذه التربية العمل على إشاعة وترسيخ القيم الأصيلة، فبدون هذه الخطوة لن يكون بإمكاننا الوقوف طويلاً في وجه الزيف الحضاري القادم.

- ضرورة الاستفادة من مكتسبات التكنولوجيا في وسائلها الإعلامية، خاصة الأقمار الصناعية والقنوات التلفزيونية، واستعمالها في توعية وتثقيف الأطفال والشباب، وحمايتهم من الوقوع في فلك الانحراف ، وحماية وجود الأمة وغيرها من خطر الغزو المعلوماتي.

- ضرورة تطوير أدواتنا ووسائلنا، وطريق تصدير ثقافتنا، فنشر ثقافتنا عبر تقنية الشبكات الإلكترونية والفضائيات يمثل أفضل وأسرع الطرق للتأثير في عقول أجيالنا، وكذلك في عقول الآخرين، لا أن نكون مجرد مستهلكين لثقافة الغير ومعلوماته؛ لأن الاستهلاك الثقافي بدون أن نكون منتجين ثقافياً يجعلنا نذوب في ثقافة الآخر ونفقد الثقة في ثقافتنا ومبادئنا.

- ضرورة وضع ضوابط وقيود وإشراف من قبل مختصين عند استخدام شبكة الإنترنت، وبخاصة فيما يتعلق بالبرامج التي تحاول سلخنا من هويتنا.

- ضرورة الانفتاح على الثقافة الغربية والاستفادة من تطورها العلمي والتكنولوجي ينبغي أن يكون من خلال خطة تضمن إيجابية هذا الانفتاح، ومجتمعنا لا يمنع الانفتاح المحكم الرامي نحو الاستفادة من علوم الآخرين النافعة.

- ضرورة دعم الدراسات العلمية والبحثية التي تهتم بالإجابة على السؤال: كيف حدث صعود اللغة وارتقائها، بحيث كانت إحدى دعائم الحضارة الزاهرة وكيف حدث التدهور في اللغة والذى صاحب التدهور العام؟

- الإلمام بتاريخ الحضارة العربية، لمعرفة دور اللغة العربية الإيجابى كلغة ثقافة وحضارة، وليست لغة دين فقط، حيث استعرب غير العرب وغير المسلمين ولمعرفة أسباب ازدهار اللغة العربية في وقت ازدهار الحضارة نفسها، وقوة الدولة الإسلامية، ولمعرفة العلاقة بين اللغة العربية ولغات الشعوب التي ضمتها الخلافة مع اتساع أرجائها، سواء في حال القوة الحضارية العربية والإسلامية أو ضعفها

فربما يساعد هذا كله على فهم أزمة اللغة العربية الآن في مختلف الأصعدة باعتبارها أزمة مجتمعية ناجمة عن التبعية، وعن الهيمنة الغربية من جانب، وعن ضعف تلك الدول والمجتمعات من جانب آخر.

هوامش البحث:

1- نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب- دارسة بحثية- الكويت 1988، ص113.

2- منصور فرح: الفجوة الرقمية في المجتمع العربي وأثرها على اللغة العربية، بحث مقدم إلى مؤتمر اللغة العربية في عصر المعلوماتية الذي عقده مجمع اللغة العربية بدمشق من 20 إلى 22 /2006/11، ص1.

3- نبيل علي ونادية حجازي: الفجوة الرقمية – رؤية عربية لمجتمع المعرفة – سلسلة عالم المعرفة رقم 318، الكويت 2007 ص 357، 362.

4- محمد مرياتي: قضايا راهنة حـــول اللغة العربية والشابكة، بحث مقدم إلى "مؤتمر اللغة العربية في عصر المعلوماتية" الذي عقده مجمع اللغة العربية بدمشق من 20 إلى 2006/11/22 ص 1-2.

5- محمد مرياتي: "مستويات المعالجة الآلية للغة العربية"، المعلوماتية، س2، ع16، دمشق 2007، ص 20-23.

6- عبد الله الحميدان: مقدمة في الترجمة الآلية، مكتبة العبيكان، الرياض2001، ص 9.

7- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الثقافة العربية في عصر المعلومات، إعداد الدكتور نبيل علي، تونس 2008، ص 220-221.

8- المرجع نفسه، ص225-229.

9- صابر الجمعاوي: القضايا المصطلحية في الترجمة الآلية من الإنجليزية إلى العربية، بحث لختم شهادة الماجستير في اللسانيات العامة، إشراف د. عبد اللطيف عبيد، المعهد العالي للغات بتونس، السنة الجامعية 2005-2006، ص 34.

10- نبيل الزهيري: قاموس مصطلحات المعلوماتية واللغويات الحاسوبية، مكتبة لبنان ناشرون بيروت 2003، ص 221.

11- صابر الجمعاوي: المرجع المذكور سابقا، ص 34.

12- نبيل علي: "الترجمة الآلية في الوطن العربي" في: دراسات وأبحاث الملتقى العربي الأول للترجمة: الترجمة في الوطن العربي- الواقع والمأمول، بيروت2005، ص 180.

13- المرجع نفسه، ص 179.

14-عبد الله الحميدان: مقدمة في الترجمة الآلية، مكتبة العبيكان، الرياض 2001، ص 96.

15- صابر الجمعاوي: المرجع المذكور سابقا، ص 39.

16- نبيل علي: المرجع المذكور سابقا، ص 186.

17- نبيل الزهيري: المرجع المذكور سابقا، ص 15.

18- صابر الجمعاوي: المرجع المذكور سابقا، ص 42.

19- عبد الله الحميدان، المرجع المذكور سابقا، ص 94.

20- نبيل الزهيري: المرجع المذكور سابقا، ص 296.

21- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص84.

22 - المرجع نفسه، ج1، ص84.

توليد المصطلح من منظور العلوم المعرفيّة

أ. نصيرة كتّاب
جامعة مولود معمّري، تيزي–وزو

الملخص: تعدُ مصطلحات العلوم الصّورة الكاشفة لأبنيتها المجرّدة، لأنّ المصطلحات جزءا من لغات التخصص، إذ هي الكشف المفهوميّ الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع. ولقد برزت العلوم المعرفيّة (العقليّة) الّتي تختص بدراسة الدّماغ الإنساني خاصة، ويمثل السند المادي الّذي تجرى على مستواه العمليّات العقليّة (المعرفيّة) استجابة للمثيّرات الخارجيّة: كسماع اللّغة وقراءتها أو إنتاجها. ومن هنا أطرح الإشكاليّة: **ما هي المناطق المتخصصة في حفظ وتوليد المصطلحات في الدّماغ الإنساني؟ وما هي العمليّات المعرفيّة التي تتداخل في استرجاع المصطلح؟** ومن هنا سأحاول تقديم البحث على الشّاكلة التاليّة:

1- مقدمة.
2- مفهوم المصطلح وعلم المصطلح.
3- الفرق بين المصطلح والمصطلح العلمي.
4- علاقة المصطلح بالعلوم العصبيّة المعرفيّة.
5- المناطق الدماغيّة المتخصّصة في حفظ واسترجاع المصطلح.
6- نتائج البحث.

المقدِّمة: تشهد الحياة المعاصرة تطورات كبيرة في مختلف الجوانب العلميّة والفكريّة والحضاريّة؛ والذي عمل على تدفق المصطلحات ونشوء تغيرات كبيرة على اللّغة العربيّة في كلّ المستويات اللّغويّة منها الصرفيّة والصوتيّة والدلاليّة وحتى التعبيريّة، فوجد الإنسان العربي نفسه محاط بكمية هائلة من المصطلحات لمصطلح واحد، إما بلغته الأصلية أي العلميّة فعلى الأغلب هو المتداول، أو إلى اللغة المترجمة إليه. وبهذا وُجدت اللّغة العربيّة أمام إشكالات كبيرة بين ضرورة

مسايرة العصر، الذي يؤثر على خصوصيّة اللّغة العربيّة في خضم هذا التسارع الكبير الذي يشهده العالم، وبين أن تبقى عناصر العربيّة ثابتة ومحافظة على أنساقها الثقافيّة والقوميّة؛ فيجعلها تتأخر عن مواكبة التطورات، أو أن تجمع بين طرفي هذا الصراع بإثبات قدراتها على مواكبة التقانات والتطور؛ وذلك من خلال النهوض بالأنساق الثقافيّة والقوميّة وإثراء مستوياتها اللّغويّة والاصطلاحيّة والاتصاليّة، ومع المحافظة على خصوصيتها وبهذا يحتل علم المصطلح (terminologies) في مجال العلوم اللّغويّة الصدارة بوصفه علما تطبيقيا؛ فهو يعمل على دراسة الأسس العلميّة لوضع المصطلحات وتوحيدها، ويهدف هذا التخصص إلى تنميّة اللّغة العربيّة، من خلال إسهامات بعض الأفراد والمؤسسات المختصة في مجال تطوير عملية وضع المصطلحات ونقلها. ويعتمد في وضع المصطلح على عدد من المعارف والعلوم من فلسفيّة ومعرفيّة وعلميّة وحاسبيّة ومعلوماتيّة وغيرها، وهذا ما دفعني إلى الرجوع إلى مراجع متنوعة ومختلفة، من فلسفيّة وفكريّة تعرض أسس المناهج المعرفيّة، إلى جانب فروع علميّة أخرى مثل: علم النفس المعرفيّ واللّغويّ وعلم الأعصاب اللّغويّة والبرمجيّات اللّغوية أو علم حوسبة اللّغة ...

مفهوم المصطلح وعلم المصطلح: عرفت العرب المصطلح كلّ لفظ يطلق لشيء ما قصد التواصل فيما بينهما، وتبادل الحاجيات، وقد أكده أخصائيين في مجال علم المصطلح، إذ "تطلق كلمة مصطلح في أوساط الناس – إلى اليوم– المعنى الذي تعارفوا عليه، واتفقوا عليه في استعمالهم اللّغوي الخاصّ أو في أعرافهم وعاداتهم، إذًا كلمة الاصطلاح تعني الاتفاق، وهذا الاتفاق بين اللّغويين وأهل الاختصاص على استعمال ألفاظ معينة عن التعبير عن الأفكار والمعاني العلميّة والتقنيّة والبيولوجيّة وغيرها من المعارف"[1] ونستشف من هذا القول أنّ جماعات لغوية (communes linguistiques) تضع مصطلحات لمفهوم ما ويتفقون عليه بالإجماع، ويصبح متداول بينهما ويخضع لبنيّة السوسيو–ثقافيّة للمجتمع العربي قديما؛ ولكن اليوم بسبب تأخر العرب عن التغيرات الهائلة في مجال العلوم والتقنيّة، أصبحنا نستورد المادة واسمها، وبهذا أصبح من الضروري

على أهل الاختصاص منهم اللّغويين والمجامع والمؤسسات اللّغويّة التدخل في ضبط المصطلح، وبهذا ظهر علم المصطلح كعلم قائم بحد ذاته تطبيقيّ وتقنيّ بالدرجة الأولى، يخضع لضوابط علميّة وأكاديميّة تتماشى مع مستويّات اللّغة العربيّة؛ فهو مجال متشعب، لأنّ البحث في مصطلحات أيّة لغة هو في الحقيقة بحث في سجلّها المعجميّ ونظامها المفهوميّ وخلفيّتها الثقافيّة والاجتماعيّة والحضاريّة، والذي يساعد المتخصص في إجراء عمليّات تخضع المصطلح لمقاييس علميّة مضبوطة من نحت وتعريب وترجمة حرفيّة أو معنويّة ... تتماشى مع الأعراف العربيّة؛ ولكن ما نشاهده على الساحة العربيّة أنّ عمل المجامع بقي في رفوف المكتبات، وذلك لغياب الاتفاق بين اللّغويين.

الفرق بين المصطلح والمصطلح العلمي: لقد تحدثنا سابقا عن المصطلح بصفة عامة، إذ هو ما يتعارف بين الناس قصد تبادل الحاجيات والتواصل؛ فكلّ لفظ وضع لمعنى ما، إذ كلّ مدلول لديه معنى خاص بين مجموعة لغويّة على الأغلب والدليل على ذلك اختلاف لهجات العرب فيما بينهما من الحجاز وعدن، ولكن الله ﴿ﷻ﴾ نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ بلغة قريش لأنّها اللّهجة التي تجمع القبائل المحيطة بها والقريبة للتفاهم بين العرب كافة؛ بسب مكانها المقدس والتقاء العرب وتفاهمهم في مواسيم الحج، وتعد كذلك موطن التجارة والتقاء جميع القبائل الأخرى. إذا فكلمة **المصطلح لغة** من مادة صلح "الصَّلاح ضد الفساد، صَلَح يصلَحُ يصلُح صلاحًا وصُلُوحًا"[2] ونفهم من هذا القول أنّ الصّلاح هو نقيض الفساد الذي يعنى صالح، وتقول العرب رجل صالح في نفسه، أو قوم صالح، والإنسان المُصلُح في أموره وأعماله، أما كلمة المصطلح **اصطلاحا**؛ فقد ورد هذا الفعل في لسان العرب بمعنى مختلف بسبب تقدم العلوم في الحضارة العربيّة، "فقد كتب الجاحظ (ت255هـ) عن المتكلّمين أنّهم اصطلحوا على تسميّة ما لم يكن في لغة العرب اسم"[3] فهو ما اصطلحت عليه العرب من تسميات جديدة لأسماء علميّة حديثة مثلا الطباعة، وكذا دخول ألفاظ حضارية جديدة من الحضارات الفارسيّة والإغريقيّة، وأخضعت للميزان الصرفيّ للغة العربيّة.

من هنا بدأ في ظهور المصطلح العلميّ الذي يعبّر بالدرجة الأولى عن تسميّات الأشياء الحضاريّة الجديدة بعد اتّفاق مجموعة من النخبة علية، والذي يعني" اتّفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"[4] ونستنتج من هذا القول أنّ المصطلح العلميّ تفرضه العلوم بصفة عامة لأنّها تعبّر عن تسميات الألفاظ الحضارية الدخيلة على الأمم، مثل ما نشاهده اليوم من تسميّات لمصطلحات الديجتال من هواتف نقالة والداتاشوا وكذلك اللّيتبلات، ولكن تخضعها المجامع والمؤسسات اللّغوية لضوابط اللّغة الدخيلة إليها؛ إذًا "من الضّروريّ قطعا وجود علاقة مطابقة أو مقارنة بين الدّلالة اللّغوية والدّلالة الاصطلاحيّة المحافظة على المعنى الأوّل الأساسيّ"[5] نستشف من هذا القول أنّه ينبغي في وضع المصطلح وجود علاقة في متن اللّغة للدّلالة اللّغويّة للمصطلح المعطى؛ فوجوب وجود علاقة بين ملفوظه أو ملحوظه، من يبرز لنا أهمية الصورة وتشكيلها في ذهن المتلقي التي تساعد العقل الانساني على الاحتفاظ بها. ومن هنا سنتناول علاقة المصطلح بالتصورات الذهنيّة أو بالعمليات المعرفية.

علاقة المصطلح بالعلوم العصبيّة المعرفيّة: يمثل هذا الجزء المجال الذي خصصناه للعلوم العصبيّة المرتبط بالدرجة الأولى بالعلوم البيولوجيّا، وعلاقته بالمصطلح الذي يمثل مجالا تطبيقيا في العلوم اللّغوية –الإنسانيّة– وهذه العلاقة أثمرت عن وجود علاقة معرفيّة بين علم اللّغة وعلم الأعصاب، ويعد هذا الأخير العلم الذي يهتم بدراسة بنية العمليّات العقليّة الذّكيّة وأنشطة التفكير والمعالجة المطلوبة في الإدراك والتذكر، وحلِّ المشكلات، آليات إجراء هذه العمليّات وتنفيذها، والتي يعد فيها المخ المركز الأساسي فيها، إذ هو العضو المعقد في الكائن البشري. ومن هنا وددت أن أفهم كيف يعالج الدماغ البشري العمليات اللّغوية؟ وما هي العمليّات المعرفيّة التي يستخدمها الشخص أثناء قول له مصطلح؟ وتمثل اللّغة أهمّ مكونات الفكر البشري خاصة، إذ تساعد الأفراد بتشكيل أفكارهم ونقلها للأخرين، وذلك باستخدام الجانب الفيزيولوجي من الإنسان من حركة الفم والفكين واللّسان والحنك والحنجرة وأجهزة نطق أخرى؛ وكذلك تمثل اللّغة البنيّة الرئيسيّة في تحليّل الحياة البشريّة ونقل الذكريات من الماضي إلى الحاضر، من

الناحية العصبيّة بواسطة عمليّات عقليّة بحتة، وبهذا نجد علماء كثر عبر التاريخ حاولوا أن يفهموا عمل العقل الإنسانيّة أثناء معالجته للغة، وعملية تخزين المعلومات، حيث كانوا ينتظرون مرضى العقل حتي يموتوا؛ ليقوموا بتشريح دماغه، وحتي القرن الماضي وبتطور العلوم والتقنيّات والأشعة استنتجوا أنّ للعقل البشري مناطق مهمة في عمليّة النطق والمعالجة اللّغويّة.

مناطق متخصصة في معالجة اللّغة: يمثل المخ مركز التحكم الرئيسي في الجسم؛ حيث يستقبل المعلومات الواردة من أعضاء الحس عما يجري داخل الجسم وخارجه، ويحللها بسرعة، ويرسل الرسائل الملائمة التي تنظم حركة الجسم ووظائفه، ويقوم المخ أيضًا بتخزين المعلومات الخاصة بالخبرات السابقة ممّا يساعد الفرد على التعلّم والتّذكر، كما أنّه يُعد مصدرًا للأفكار والأمزجة والانفعالات؛ فهو جسم مزود بمراكز حسية مستقبلة للمعلومات أو الأوامر، وهذا ما يبينه الشكل الآتي:

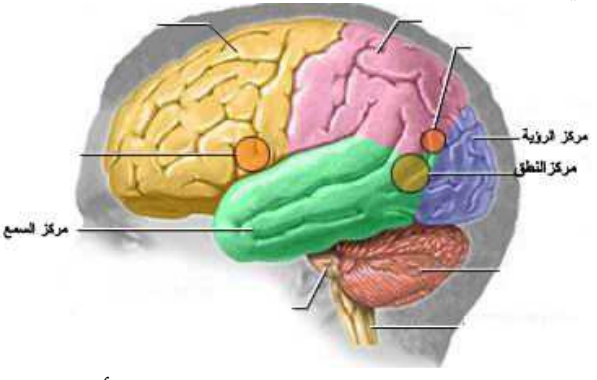

ويتكون المخ بصفة رئيسية من نصفي كرة، والجزء الأهم هو القشرة أو الطبقة السطحية لنصفي الكرة حيث يتوقف علي مكوناتها من الخلايا كياننا كآدميين نعقل ونفكر ونتحكم، ورغم أنّ حجم المخ صغيرا نسبياً؛ فإنّ الكثير من التلافيف تزيد من مساحة سطح المخ والقشرة التي ذكرناها لتصل إلي مساحة 1600 مم2 مع أنّ سمكها لا يزيد عن 2.5 مم[6]. وأهمية قشرة المخ تتكون من[7]:

- الفص الجبهي وبه مراكز الحركات الإرادية وبعض مراكز الذاكرة والنطق؛

– الفص الجداري ويقوم بالتحكم في عدد كبير من الوظائف الحسية مثل الإحساس بالحرارة أو البرودة أو الضغط أو الألم؛

– الفص القذالي ويسمى أيضا بالقفوي وبه مراكز حساسة تتحكم في حاسة البصر؛

– الفص الصدغي به مراكز حاسة الشم والتذوق كما ان به مركز السمع؛

– الفص الجزيرة: وسمي بهذا الاسم لأنّه يكون مغطى بالفصين الجبهي والجداري.

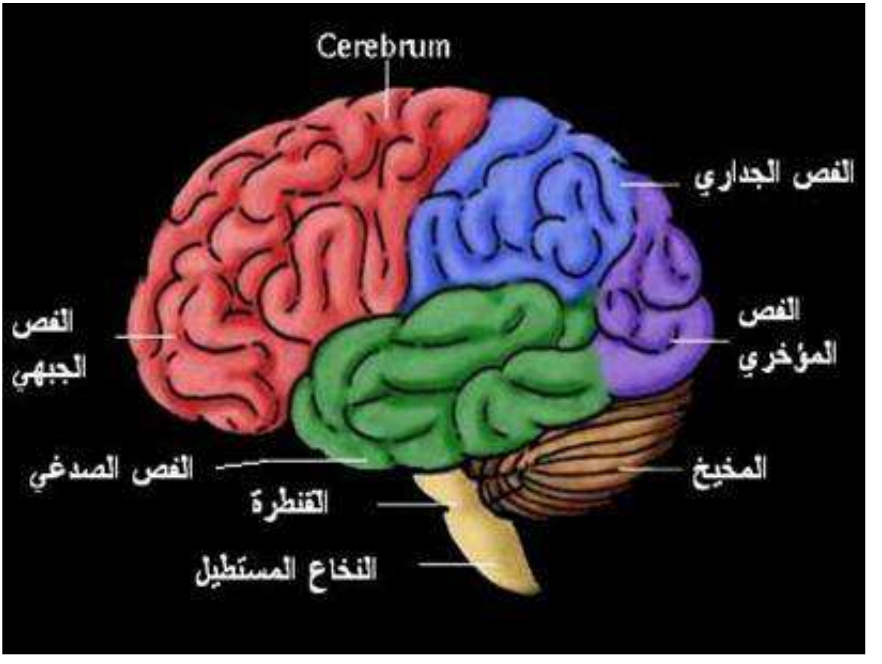

ويتكون المخ من فصين، وهما:

الفص الأيسر: ينجز العمليّات الآتيّة؛ الكلمات، الأرقام، المنطق، التحليل الترتيب، القوائم؛ فهذا الجزء يقرأ ليعرف الفكرة الأساسية في الموضوع، ويحب الأمور العقلانية والمبنية على استنتاج واضح، ويحب التنظيم يعرف التعامل مع الزمن ويتذكر بشكل أفضل.

الفص الأيمن: ينجز العمليّات الآتية؛ التناسق، الألوان، الخيال، أحلام اليقظة الأبعاد، الألحان؛ فهذا الجزء يعتمد على العاطفة أكثر، والأحلام والطموحات.

ومن هنا يتضح لنا أنّ للمخ شقين أو نصفين: "النصف الأيمن والنصف الأيسر وهما متطابقان تقريبا، ونحن نعرف الآن أنّ هناك فروقات بسيطة في أحجام بعض مناطق في النصفين، وهذه الفروقات يمكن أن تشكل الأساس الأوّل والرئيس لتخصص الدماغ اللّغوي – أي تمركز اللّغة في النصف الأيسر وفي حوالي 98% من أصحاب اليد اليمنى ينجز النصف الأيسر معظم مهام معالجة اللّغة وإنتاجها وعند غيرهم الذين يستخدمون اليد اليسرى أو اليدين معًا، وفي الغالب تكون وظائف اللّغة من اختصاص النصف الأيمن من الدماغ. وهناك دلائل تشير إلى أن تمركز وظائف اللّغة يختلف في الذكور عنه في الإناث"[8]؛ فنجد إذًا يحتوى الشق الأيسر غالباً لدى من يستعملون اليد اليمنى على منطقة مهمة للسلوك اللّغوي، هي أكبر منها في الشق الأيمن، ولهذا توصف بالمنطقة المسيطرة. والعكس صحيح عند من يستخدمون اليد اليسرى. فثمة عدم تناظر تشريحي وعدم تناظر وظيفي بين نصفي الكرة المخيين ويبدو عدم التناظر الوظيفي جلياً في مجال النشاط اللّغوي.

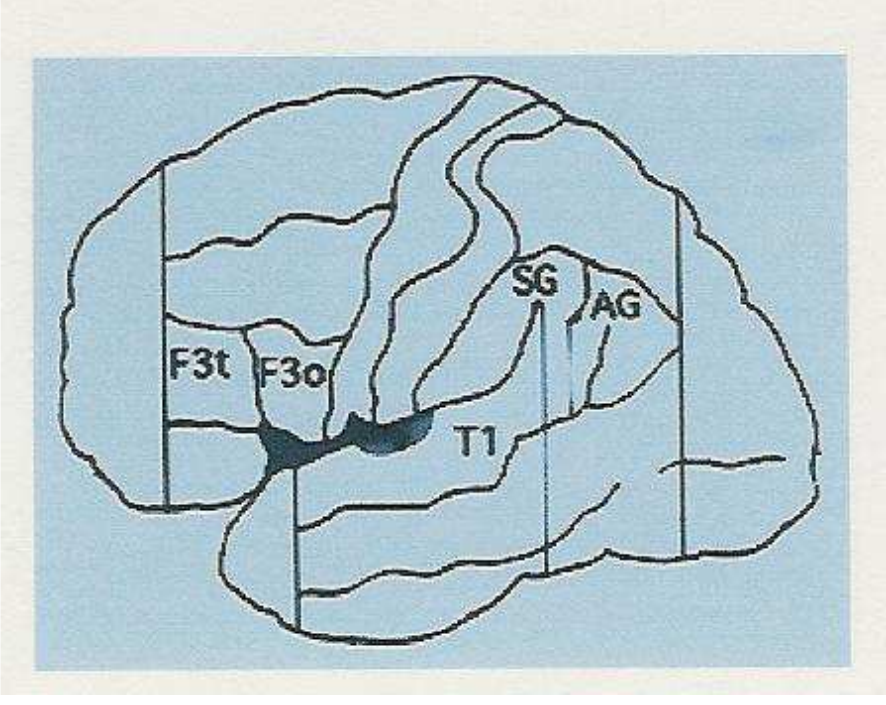

شكل 1

رسم توضيحي ومقطع جانبي لمناطق النصف الأيسر (منطقة اللغة) التي تحيط بشق سيلفيان (المنطقة الداكنة من الأسفل) د. كابلان (بتصرف)

لقد عمل العلماء على كشف المناطق المسؤولة في الدماغ الإنساني عن اللّغة البشرية؛ فوجد أنّ المخ الأيسر هو المسؤول عن اللّغة، وهي المساحة المغطاة بلون داكن في الشكل.

الشكل2: **مساحات معالجة اللّغة في الدماغ البشري بالتفصيل**[9]

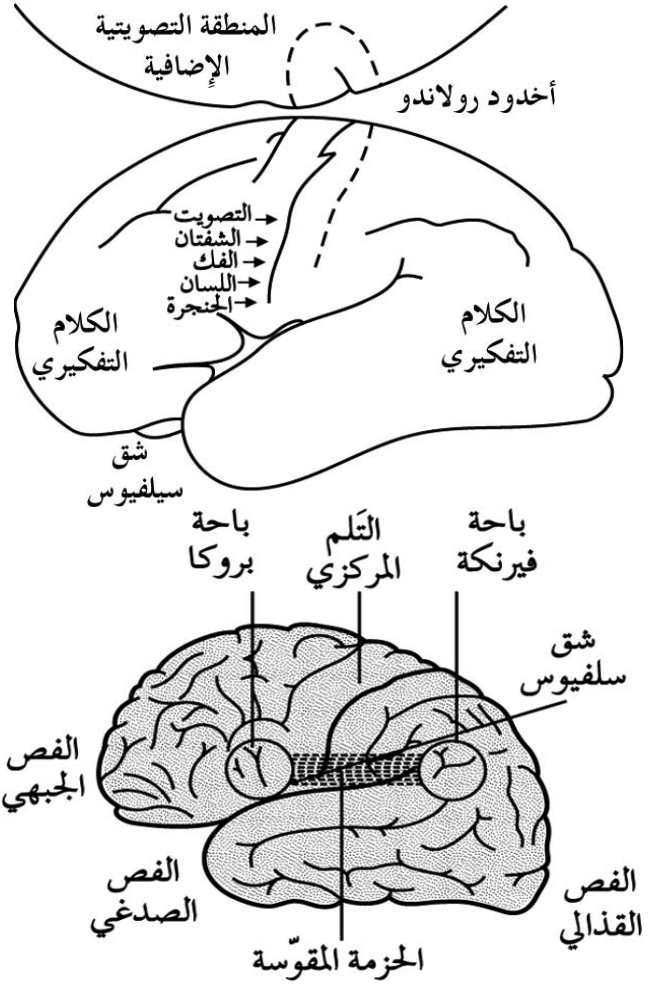

وكما أسلفنا القول في الشكل الأول أنّ النصف الأيسر هو المسؤول الرئيس في الدماغ عن اللّغة. وأنّ جزءا صغيرا نسبيا من لحاء المخ هو فقط المسؤول عن معالجة اللّغة. تقع هذه المنطقة حول شق سيلفيان (الطبقة العميقة في الدماغ الواقعة بالتوازي مع وفوق خط من الزاوية الخارجية للعين إلى منتصف الأذن) وتتألف من رابطة اللحاء المتقدمة. ويبدو أنّ هذه المنطقة مسؤولة عن لغة الإشارة، وكذلك اللّغة المحكيّة، وطريقة استخدام اللّغة تمارس بعض التأثير، ولكن اللّغة المكتوبة ربما تشتمل على المناطق الأقرب إلى اللحاء البصري، ولغة الإشارة تجند مناطق قريبة من تلك المناطق المتعلقة بالقدرة على تحديد مواقع الأجسام في الفضاء.

وتعد باحة اللّغة الخلفية (باحة فيرنكا Wernicke) التي تقع في القسم المسيطر من المنطقة الصدغية الجدارية مهمة لفهم الكلام المسموع، واختيار الكلمات أو العبارات المراد إيصالها. وترتبط هذه الباحة أو المنطقة بمنطقة الكلام الأماميّة (باحة بروكا نسبة إلى الطبيب الفرنسي بروكا Broca الذي كشفها عام 1881) في التلفيف الجبهي الثالث السفلي بوساطة الحزمة المقوسة التي تتألف من ألياف تمر بالمراكز الحسيّة البصريّة والسمعيّة.

المناطق الدماغيّة المتخصّصة في حفظ واسترجاع المصطلح: نجد أنّ المراكز الحسيّة البصريّة والسمعيّة؛ تمثل نواقل للمصطلح سواء الشفهي عن طريق حاسة السمع أو الرمز عن طريق حاسة البصر، فكلا هذه المراكز لديه ذاكرات وهي ما يسمى بالذاكرة السمعيّة أو الذاكرة البصرية قبل أن تنتقل إلى ذاكرة قريبة المدى التي تستغرق فيها مدة الحفظ عرين ثانية تقريبا لتنتقل إلى الذاكرة بعيدة المدى.

ويتضمن هذا الشكل من الذاكرة أشكالا فرعية هي:

2- الذاكرة اللّفظيّة المنطقيّة: ومضمون هذه الذاكرة هو أفكارنا عن جوهر الأشياء وظواهرها لكن الفكر لا يوجد بدون لغة. وانما تتجسد في كلمة أو رمز لتعبر عن معاني معينه ولهذا يطلق على هذا النوع من الذاكرة بذاكرة المعاني اذ

تكون الذاكرة غنية بنظام المفاهيم والمعاني التي تجرد علاقات منطقيّة بين الظواهر أو الأشياء وهي تثرى باستيعاب الفرد للمعلومات في عملية التعلم.

3- الذاكرة الحركيّة: وهي ذاكرة اكتساب نماذج الحركيّة وحفظها واستدعائها (التصورات العضليّة) الحركيّة لشكل الحركة وسرعتها ومقدارها وسعتها وتتابعها ووتيرتها وأنواعها....الخ مثلا يستخدم منطقة الفم؛ وهي المنطقة المسؤولة عن الحركات العضوية للفم وأجهزة النطق المستخدمة في إنتاج الكلام. إنّه الجزء من المخ الحركي ويسيطر على عضلات الوجه والفم كما هو الأمر في البقية من المخ الحركي الذي يسيطر على الأجزاء المختلفة من حركة الجسم لا علاقة له بعناصر المعرفة في إنتاج الكلام مع أنّه يقع بالقرب من منطقة بروكا وينشط مهمات الكلام مع منطقة بروكا، ويعد هذا النوع من الذاكرة ذا أهميّة خاصة في التدريس على الألعاب الرياضة وفي بعض الأعمال التي تستلزمها مهارات حركيّة.

4- الذاكرة الانفعالية: وتتمثل في الحالات الانفعالية التي اقترنت بمواقف سابقة وفي هذا النوع من الذاكرة يسترجع الفرد الماضي مصحوبا بانفعالات معينة ايجابية او سلبية. كالشعور بالحزن أو الخوف ازاء مثير معين يذكره بخبره مؤلمة غاشها الفرد في الماضي.

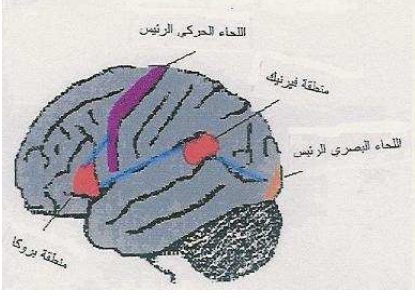

نطق الكلمة المرئية

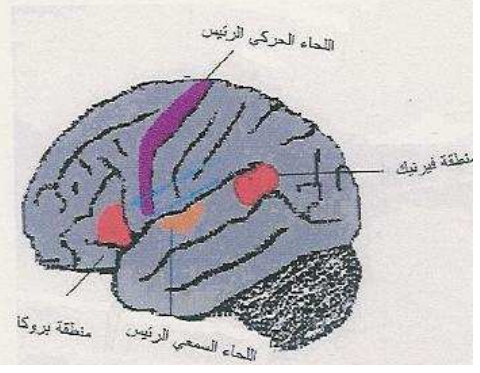

نطق الكلمة المسموعة

أن أتكلم كلمة مسموعة، يجب أن تصل المعلومات أولا إلى القشرة السمعية الرئيسة. ومن ثم تنتقل المعلومات من القشرة السمعية الرئيسة إلى منطقة الكلام الخلفية بما فيها منطقة فيرنيك، ومن منطقة فيرنيك تنتقل المعلومات إلى منطقة بروكا ومن ثم إلى منطقة لحاء الحركة الرئيس.

إن المنطقة المسؤولة عن البصر وكذلك معروفة باسم اللحاء المخطط. إن اللحاء البصري هو المفتاح في قراءة الكلمات والمفردات وكذلك في التعرف على الأشياء كخطوة أولى في تسمية الأشياء. إن المناطق البصرية في الدماغ هي في العادة من بين الأجزاء الأولى في الدماغ التي تنشط أثناء القراءة وتسمية الأشياء لاختبارات الكلام المستخدمة في المسح بواسطة في إم آرآي وبيت. وخلاف هذا الجزء الرئيس (المنطقة البصرية) الواقعة في الفص القذالي، هناك مجموعة من المناطق المرتبطة بالبصر تقع في الفص الجانبي فوق اللحاء البصري. وترتبط هذه المنطقة بتسمية الأشياء والأدوات وبقراءة المفردات ويعتقد أنها بمثابة منطقة مكملة للحاء البصري الرئيس. إن اللحاء البصري مع اللحاء السمعي من المحتمل أن يكون الخطوة الأولى على ممر الاستيعاب اللغوي.

ثانيا: يمكن تقسيم الذاكرة وفقا لأهداف النشاط إلى نوعين هما:

1- الذاكرة الإرادية: وتقوم هذه الذاكرة على وجود اهداف محدد توجه العمليات العقلية المتضمنة في الذاكرة كان يتذكر الطالب في الامتحان موضوعات معينة ترتبط بأهداف السؤال أي أنّه يحتفظ بالمعلومات لكي يتذكرها في الامتحان او في مواقف أخرى.

2- الذاكرة اللاإرادية: وفي هذا النوع من الذاكرة لا توجد أهداف محدده توجه العمليات العقلية المتضمنة في الذاكرة وجهه معينه حيث يقفز إلى الوعي نماذج لإحداث أو ظواهر أو أشخاص من دون قصد كما لو كانت من تلقاء نفسها. كان يتذكر الانسان لحنا موسيقيا ما وهو يقرأ كتابا أو قصة او يتذكر حادثة ما وهو يتناول الطعام.

ثالثا: وفقا لاستمرارية الاحتفاظ بمدة الذاكرة: يمكن تقسيم الذاكرة هنا إلى نوعين

1- **الذاكرة القصيرة المدى:** تبقى الرسائل الحسيّة في السجلات الحسيّة فترة تقرب من عشرين ثانية ولحفظ هذه الرسائل لمدة طويلة ينبغي معالجتها والتدريب عليها، وإعادة قراءتها إلى أن يتم تسجيلها وتعتمد لذاكرة قصيرة المدى على عدد الوحدات إذ لا يمكن استيعاب سوى (5-7) وحدات في كلّ مره في الذاكرة القصيرة المدى، وهي القدرة على تذكر بعض عناصر المعلومة خلال مدة قصيرة جدا (تبلغ بعض ثواني) وعندما يتم التركيز والانتباه على المعلومات (مؤقتا) في الذاكرة الحسيّة؛ فإنّها تنتقل إلى الذاكرة القصيرة المدى، حيث تخزن لمدة أطول نسبيا، ولكن مع ذلك فإنّ الذاكرة القصيرة المدى محدودة السعة والخزن. فهي تقوم بالاحتفاظ بقدر قليل من المعلومات، ولمدة محدودة وبسبب محدوديّة السعة للذاكرة القصيرة المدى؛ فإنّ المعلومات الجديدة تزيح شيئا من المعلومات السابقة بعمليّة عقليّة تسمى (الإزاحة) حينما لا تصاحب عمليّة التذكر بتكرار أو تدريب مستمرين. وإنّ سرعة توالي دخول معلومات جديدة إلى الذاكرة القصيرة المدى يجبر المعلومات على الخروج مما يعني أنّها فقدت أو تم معالجتها بسرعة عالية اعتمادا على القدرات الفرديّة للمعالج قبل انتقالها إلى الذاكرة الطويلة المدى، وتقوم كذلك بترميز المعلومات في الذاكرة قصيرة المدى، وهو على النحو الآتي:

1- الترميز الصوتي: يميل بعض الناس إلى ترميز بطريقة صوتيّة وفقا لمنطوق الكلمات أو الأعداد أو الرموز أو الأصوات الناتجة عنها.

2- الترميز البصري: يميل الناس إلى ترميز معلوماتهم وفقا لشكلها؛ بحيث تميل المعلومات بسلاسل من الصور التي تحدد المثير، ويسمى بالذاكرة الفوتوغرافية، حيث يتميز به رجال الأمن والعلماء الذين لديهم قدره عالية لوصف التفاصيل الدقيقة.

3- ترميز المعنى: يمكن ترميز المثيرات حسب معانيها، وترميز المعنى يختصر الوقت والجهد إلا أنّه يتأثر بالذكاء والقدرات الخاصة والعامة ذات الصلة بالفرد.

2- الذاكرة الطويلة المدى: يتحدد طول المدة الزمنية للذكر بنوع جهاز التذكر وإنّما بالعمليّات العقليّة المعرفيّة التي تتكامل فيها المعلومات وتندمج وتترابط فيها مع المعلومات الأخرى، ويتركز اهتمام المعلمون على زيادة كمية الاحتفاظ على مدى زمني أطول من (20) ثانية. ويتصف هذا النوع من الذاكرة بالاستبقاء والتخزين الطويل الاجل للمعلومات بعد تكرارها لمرات عديدة ولا تكون أثار الذاكرة البعيدة المدى فعالة إلا إذا تداعمت وفقا لقوانين التعلم في هذه الحالة تبقى هذه الاثار في الذاكرة الأطول فترة ممكنة وتميل أكثر إلى مقاومة الانطفاء.

خصائص الذاكرة طويلة المدى: يمكن تلخيص أهم خصائص الذاكرة الطويلة:

1- لا توجد حدود لكمية المعلومات التي يمكن استيعابها في الذاكرة الطويلة.

2- لا توجد حدود للزمن يمكن للذاكرة الطويلة المدى أن تحتفظ بالمعلومات لمدة زمنية ثابتة.

3- جميع المعلومات التي تصل إلى الذاكرة الطويلة المدى يتم تخزينها حتى لو فشلنا في استدعائها.

4- استرجاع المعلومات من الذاكرة الطويلة المدى يتأثر بعدة عوامل منها فعاليّة الترميز في الذاكرة القصيرة المدى، والحالة المزاجيّة للشخص عند الترميز أو الاسترجاع ودرجة وأهمية المعلومات للشخص.

5- الترميز الجيد للمعلومات في الذاكرة القصيرة المدى يوفر تلميحات ودلالات تساعد على تذكرها لاحقا من الذاكرة الطويلة المدى.

نستنتج أنّ الدماغ الإنساني يقوم بتسيير جميع الجسم المتنقلة من حواسه:

- يمكننا من التقاط المصطلح من صورة بواسطة حاسة البصر، ليمر إلى منطقة الذاكرة البصرية؛

- يساعد على تخزين مصطلحات غير محدودة بواسطة المرونة العصبية للدماغ، والذي يعمل على تنشيط الدماغ؛

– يساعدنا على التمييز بين مصطلح وأخر عن طريق حاسة السمع بواسطة التخزين في الذاكرة السماعية؛

التهميش:

1– إبراهيم السّامرائي، في المصطلح الإسلاميّ، بيروت: 1990، ط1. دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ص 167

2– ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرَّم، لسان العرب، ط1. بيروت: 1980، دار صادر.

3– لعبيدي بوعبد الله، مفاهيم أساسيّة في علم المصطلح، دط. البليدة: 2012، مخبر الدراسات اللّسانيّة النظريّة والتطبيقيّة والعامة، ص10.

4– نفس المرجع، ص11.

5– نفس المرجع، ص11.

6– وكيبديا (wikipedia.org)، الاثنين 27 أكتوبر 2004، الساعة: 12

7– وكيبديا، نفسه

8– سعادة خليل، توجهات معاصرة في التربية والتعليم www.nashiri .net/kutub الأربعاء: 05.11.2014، الساعة 10:30.

9– الأساس العصبي للغة، الاثنين 29 أكتوبر 2014، ar-ar.facebook.com/ta5atop/posts/252281781588941

تقرير الورشة الأولى:

ضمن فعاليات الملتقى الوطني حول (المصطلح والمصطلحية) الذي نظّمه مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر بجامعة مولود معمري، بتيزي وزو يومي 02-03 ديسمبر، بُرمِجت أعمال الورشة الأولى يوم 02 ديسمبر2014، من الساعة الثانية زوالا (14:00) إلى غاية الساعة الرابعة والنصف مساء (16:30) برئاسة الدّكتور محند أويحي خرو، وتقرير الأستاذة راضية حجبار. وقد تمّ الاستماع إلى مداخلات السّادة الأساتذة التّالية أسماؤهم:

الأستاذ (ة)	عنوان المحاضرة	الجامعة
أ. واضح عبد العزيز	مشاكل المصطلح العربيّ.	ج/الجزائر2
أ. كريمة نعلوف	إشكاليّة المصطلح في لغات التّخصّص -المصطلحات القانونيّة أنموذجًا-	ج/بجاية
أ. عبد الحفيظ شريف	إشكاليّة المصطلح اللّسانيّ بين الوضع والاستعمال -المعجم الموحّد لمصطلحات التّواصل اللّغويّ نموذجًا-	ج/تيزي-وزو
أ. بلقاسم منصوري	التّعامل مع المصطلح التّراثيّ بين المنهجيّة والاعتباط	ج/تيزي-وزو
أ. تهامي بلعقون	المصطلح اللّسانيّ العربيّ مشكلات وحلول.	ج/تيزي-وزو
أ. راضية حجبار	مصطلحات إبراهيم بن مرّاد اللّسانيّة مقارنة بالمعجم الموحَّد لمصطلحات اللّسانيات.	ج/تيزي-وزو

أ. يوسف يحياوي	ترجمة الكتب العلميّة من الإنجليزيّة إلى العربيّة وبناء المصطلحات التّقنيّة في العربيّة.	ج/بجاية
أ. عبد القادر معبد	المضايقات التّقنيّة للّغة العربيّة، الصّعوبات والحلول.	ج/تيزي–وزو
أ. نصيرة كتّاب	توليد المصطلح من منظور العلوم المعرفيّة	ج/تيزي–وزو

وأجمعت المداخلات على النّقاط التّالية:

1- المصطلح العلمي والتقني يشوبه الكثير الغموص واللبس؛ في ترجمته خاصة.

2- المعاجم المتخصصة تكثر فيها ظاهرة الاشتراك اللفظي في وضعها للمقابلات.

3- تفضيل المصطلح الأجنبي على حساب المصطلح التراثي عند طائفة من الباحثين.

وبعد تداول المناقشة انتهت أعمال الورشة بجملة مقترحات هي:

1- وجوب التحسيس بخطورة البحث المصطلحي في علوم اللّسان، والتوعية بأهميته.

2- مراجعة المعاجم المصطلحية اللّسانية، وإضافة المصطلحات الجديدة بعد انتقائها وضبطها.

3- تنظيم ملتقيات دولية ووطنيّة لمناقشة قضايا المصطلح، من حيث توليده وضبطه وتوحيده، لما له من أهمية في الوسط التعليمي الجامعي، وفي البحث اللّساني عموما.

الورشة الثانية

فهرس الورشة الثانية

عنوان المحاضرة واسم صاحبها	الصفحة
مصطلح الفضاء الروائي في المعاجم الغربية والعربية ***د. مسعودة لعريط ج/ مولود معمري، تيزي-وزو***	559
التّداخلُ المصطلحيّ بين الدّرسِ البلاغيّ والتّحليلِ التّداوليّ. ***أ. فاتح مرزوق، جامعة مولود معمري، تيزي- وزو***	565
تعريب المصطلح العلمي بين الحاجة والإشكال. ***أ. خالدي حفيظة، جامعة تيزي- وزو***	587
واقع المصطلح العلمي وأثره في تعليمية اللّغة العربية. ***أ. سعاد عباسي، مركز البحث العلمي و التقني لتطوير اللّغة العربية- تلمسان.***	609
الدراسة المصطلحية (مناهجها وخطواتها) – دراسة المصطلحات القرآنية نموذجا- ***أ. نجوى مغاوي، جامعة محمد بوقرة – بومرداس-***	625
المدوّنة الحاسوبيّة وصناعة المعجم العربي. ***أ. كاهنة محيوت، جامعة تيزي وزو.***	649
Traduire de et vers la langue arabe, la crise du terme. Quelle méthode utiliser pour l'analyse des textes de Malek Haddad ? ***Korso Merième Samia (المدرسة التّحضيرية للعلوم التقنيّة)***	659
المصطلح وعلم السرد. ***أ. سعيدة حمداوي، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي***	673
مصطلحات عبد الجليل مرتاض اللّسانيّة. ***أ. طاوس خلوات، جامعة تيزي- وزو.***	687
تقرير الورشة الثانية	707
توصيات الملتقى	709

مصطلح الفضاء الروائي في المعاجم الغربية والعربية

د. مسعودة لعريط

جامعة مولود معمري، تيزي–وزو

إنّ مصطلح "فضاء" من أبرز المصطلحات التي ظهرت حديثا في حقل الدراسات النقدية الأدبية والروائية بصفة خاصة، عند الغرب وعند العرب.

ظهر هذا المصطلح في حقل الأدب بفضل الدراسات الشعرية وفي مقدمتها كتاب شعرية الفضاء (La Poétique de l'espace) لـــ غاستون باشـــلار (Bachelard Gaston).[1] وأحدث ــ فيما بعد النقد السيميائي إضافات نظرية وإجرائية هامـــة، بانعقـــاد الملتقـــى الأول عن سيميائية الفضاء، بفرنسا سنة 1973.[2]

يثير هذا المصطلح أسئلة كثيرة، تتعلق به كلفظ لغوي يتغيّر معناه من حقل معرفي لآخر، وكمفهوم واستعمال، حيث تحكمه مرجعيات إبيستيمية وفلسفية مختلفة تنتج بالضرورة تصورات ومقاربات متنوعة. ولذلك نرى أن نباشر تأطيره دراسته ضمن الحقل اللغوي والمعجمي، لنسبر دلالاته اللغوية، وضمن الحقل الفكري والفلسفي لنتلمس دلالاته المفهوماتية وندقق معناه، ثم نعمد إلى قراءته كمصطلح نقدي تؤطره توجهات متباينة. و كمفهوم سردي ينهض بوظائف متعددة.

I – تأطير مصطلح "فضاء"

1– فضاء (Espace) في المعـــاجـــم الغربيـــــة: ورد في معجم لوروبير (Le Robert) للغة الفرنسية أن « فضاء، اسم مذكر استعمل في ق(12م) بصفة خاصة بمعني الزمن، واستمر ذلك إلى غاية القرن (16). ويقابله باللاتينية: (Spatum).

أما في لغة الفلسفة والعلم فهو محيط مثالي يتميز بظاهرية أجزائه، حيث تكمن إدراكاتنا التي تتضمن في الأخير كل الامتدادات النهائية(...) وهو مقياس ورمز للزمن» [3].

ونجد في دائرة المعارف الكبيرة أن « فضاء ــ زمن: هو محيط ذو أربعة أبعاد حيث أن البعد الرابع هو الزمن، وهو أمر ضروري حسب النظرية النسبية لتحديد وضعية ظاهرة ما. وهذا يحيل إلى دلالات مختلفة تتمثل فيما يلي:

1- امتداد غير محدد يتضمن كل الأشياء.

2- امتداد الكون خارج المحيط الجوي للأرض، مثل، إطلاق صاروخ في الفضاء.

3- امتداد على السطح، مثل فضاء صحراوي.

4- حجم يشغله شيء معين: هذا الأثاث يشغل بعض الفضاء.

5- مسافة بين نقطتين أو شيئين: ترك فضاء بين كلمتين(Parex)... وفِعْل الفضاء: هو إبعاد الأشياء عن بعضها البعض في فضاء ما، كوضع مسافة بين الأشجار، و وضع فارق بين الزيارات[4]

من خلال هذه التعريفات نلاحظ أن كلمة فضاء تحيل إلى معنى المكان الواسع المحتوي للأشياء، الممتد بدون حدود. والامتداد المحدد بمجال معين، كالامتداد الجغرافي الصحراوي، على سبيل المثال. والامتلاء، حيث يتعيّن المكان من خلال الأشياء التي تشغله. كما يحيل أيضا إلى معنى المسافة والزمن.

وبالتالي فإن إدراك الفضاء يتم عن طريق الحواس عندما يرتبط بمجالات الفضاء البصري و الحركي، وذهنيا في حالة الحديث عن فضاء تعجز الحواس عن استقطابه كالفضاء خارج المحيط الجوي للأرض، والفضاء الزمني (فارق بين الزيارات).

ويتميّز الفضاء بتعدد مفاهيمه في الحقل الفلسفي والعلمي، بحسب التخصصات والتوجهات الفكرية في الحقبة الواحدة، ومن عصر إلى عصر؛ فالفضاء في الطرح

الهندسي يختلف عنه في الفهم الفلسفي, وهو في التخصص ذاته يختلف من مفكر إلى مفكر آخر، ومن مرحلة إلى مرحلة أخرى. فإذا كان "هنري بوان كاري" (H.POINCARE)5 يقصد بالفضاء موضوع الهندسة، أي الفضاء الهندسي (L'espace géométrique) المتميز بكونه مستمرا ومتجانسا ومتماثلا، فإن "ديكارت" (DESCARTES) يجد أنه متلاحم مع الجسم المقيم فيه، ويرى أن الفضاء والجسم المقيم فيه لا يختلفان إلا بحسب الرؤية والحساسية الخارجية وبحسب تفكيرنا. وسواء كان الامتداد من حيث الطول أو العرض أو العمق يشكل الفضاء، فإن الأمر نفسه هو الذي يشكل الجسم. ولا يوجد اختلاف بينهما إلا فيما نسقطه نحن من امتداد خاص على الجسد.[6]

برغم تعدد التصورات الفكرية حول مصطلح الفضاء، واختلافها في بعض التفاصيل، نلاحظ الإجماع فيما يخص التأكيد على بعده الهندسي، كثابت أساسي ظلّ قائما إلى أن ظهر خطاب الفن التشكيلي الحديث، وتحديدا المدرسة التكعيبية (Cubisme)[7] التي تقدم الفضاء على أنه نظام آخر منفلت من هذا البعد فتصفيف الشعر بطريقة معينة ــ مثلا ــ يكفي ليبدّل ملامح وجه مألوف. وقد تنعدم التغيرات الموضوعية غير أن تحويرا ما من حيث الزاوية أو من حيث مسافة المقاربة يحدثان تغييرا إلى درجة تجعلنا لا نتعرف عليه، إذ يمكن للرسام أن يتجاوز حرفية الشكل بإعطائه وجودا معينا للموضوع، عند ممارسته لعملية الرسم.

فالفضاء بهذا الطرح لم يعد ذلك المحيط الذي يتكون من ثلاثة أبعاد يعيش ضمنها الإنسان. بل أصبح حدثا يتحقق من خلاله الإنجاز التام, حيث ينفلت من الأبعاد الفيزيائية ليسمح بأن يصنّف عملا فنيا. وهذا ما يسعى إليه عمل كل مبدع.

إن النظرة التكعيبية التشكيلية لمعنى الفضاء نقطة تمفصل أساسية في مسار تطور مفهومه.

2- الفضاء في المعاجم العربية: وردت كلمة فضاء بمعنى الحيز، حيث أن «فضاء/حيز. والحيز هو مكان معلم بحدود معينة، أي بمعنى ناحية من مكان، من

فضاء: « قال عبيد بن حر: كنت مع أبي نظرة من الفسطاط إلى الإسكندرية في سفينة، فلما دفعنا من مرسانا أمر سفرته، فقربت ودعانا إلى الغذاء وذلك في رمضان، فقلت: ما تغيبت علينا منازلنا، فقال: أترغب عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فلم نزل مفطرين حتى بلغنا ماحوزنا: قال شمر في قوله ماحوزنا: هو موضعهم الذي أرادوه، وأهل الشام يسمون المكان الذي بينهم وبين العدو الذي فيه أساميهم ومكاتبهم الماحوز وقال بعضهم: هو من قولك حزت الشيء إذا أحرزته قال أبو منصور: لو كان منه لقيل محازنا أو محوزنا، وحزت الأرض إذا أعلمتها وأحييّت حدودها (...) وحوز الدار وحيزها: ما انظم إليها من المرافق والمنافع. وكل ناحية على حدة حيز بتشديد الياء، واصله من الواو (...) وفي الحديث: فحمى حوزة الإسلام أي حدوده ونواحيه. وفلان مانع لحوزته أي لما في حيزه (...) قال السلف الفحل حمى حوزته أي لا يدنو فحل سواه منها: وأنشد الفراء:

حمى حوزا ته فتركن قفرا ❧ وأحمى ما يليه من الآجام.

أراد بحوزته نواحيه من المراعي»[8]. فالحيز إذن مكان معين بحدود واضحة.

ووردت كذلك في الصحاح[9]، وفي لسان العرب، بمعنى المكان الواسع من الأرض، حيث نجد أن: « فضا: الفضاء: المكان الواسع من الأرض والفعل فضا يفضو فضوا فهو فاض، قال رؤية:

أفرخ فيض بيضها المنقاض ❧ عنكم، كراما بالمقام الفاضي

وقد فضا المكان وأفضى إذا اتسع، وأفضى فلان إلى فلان، أي وصل إليه وأوصله بمعنى أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه، قال ثعلب بن عبيد يصف نحلا:

ستئتْ كثةُ الأدبارِ لا القرُ تتقي ❧ ولا الذئبُ تَخشى، وهي بالبلد المفضي

أي العراء الذي لا شيء فيه (...) والفضاء: الخالي الفارغ الواسع من الأرض وفي حديث معاذ في عذاب القبر: ضربة بمرضافة وسط رأسه حتى يفضي كل

شيء منه أي يصير فضاء. والفضاء: الساحة وما اتسع من الأرض... وقال: الصحراء فضاء.. .»[10]

وجاء أيضا أن « مكان في أصل تقدير الفعل مفعل لأنه موضع لكينونة الشيء فيه، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعال(...) قال ثعلب: يبطل أن يكون مكانا فعالا لأن العرب تقول: كن مكانك وقم مقعدك، فقد دلّ هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه»[11]، حيث نلاحظ التباس معنى فضاء بمعنى الزمن.و يتردد هذا عند ابن فارس، إذ يقول «الكاف والواو والنون أصل يدل على إخبار عن حدوث شيء، إما في زمان ماضي أو زمان راهن، يقولون: كان الشيء يكون كونا، إذا وقع وحضر(...) وقال قوم: المكان اشتقاقه من كان يكون(...).»[12]

يبدو من خلال هذه القواميس أن المعنى اللغوي لكلمة فضاء في العربية يفرز ثلاثة مدلولات:

- **مكان محدد(حيّز).**
- **مكان واسع.**
- **تحقق الكينونة في موضع معين،** حيث أن الزمن ركن أساسي لتحقق الوجود. وهذا المعنى يقترب من المعنى اللغوي لكلمة فضاء (Espace) عند الغرب في القرن 12 إلى غاية ق 16. [13]

ومن ثم نخلص إلى أن كلمة فضاء، لغة، تتضمن معنى الحيز، أي المكان المعلم بحدود معينة، والمكان الواسع (البلد المفضي، أو الصحراء) وتشملهما معا لتعني شيئا أكبر، وأوسع إلى درجة الخلاء أو الفراغ أو الوجود الذي يتحقق بالضرورة في زمن ما.

II ترجمة مصطلح فضاء إلى العربية: ورد مصطلح "فضاء" عند حسن بحراوي[14]، وحميد لحميداني[15]، ورشيد بن مالك[16]، مقابلا لمصطلح (Espace) في اللغة الفرنسية. بينما عمد بعض الدارسين إلى استعمال كلمة "مكان"، حيث نجد ذلك

ــ مثلا ــ عند غالب هلسا الذي ترجم كتاب *(poétique de l'espace)* بـــ *جماليات المكان*.[17] ما يعني أن كلمة (espace) الفرنسية، تقابل عنده كلمة مكان في اللغة العربية.

بينما نرى أن لفظ مكان يقابل لفظ (Lieu) في اللغة الفرنسية، وهو ليس مرادفاً لكلمة (espace) سواء في اللغة الأصلية لهذه الكلمة، أو كمصطلح شعري عند باشلار. لكننا نجد أن معنى مكان متضمن في معنى الفضاء، ونقصد بهذا أن الفضاء أكبر من المكان وأشمل منه، بل إنه ينطوي عليه ويمتلأ به. وإذا كان المكان ينحصر في الإحالة على البعد الجغرافي الحسي, فإن الفضاء يحيل إلى ما هو أبعد من ذلك، ليلامس التخيلي والذهني، أي الصور والقيم الرمزية.

قائمة المصادر والمراجع

1- Gaston Bachelard, La poétique de l'espace, Paris, Quadrige, PUF, 8e édition 2001.

2-Jean Zeitoun, dans sémiotique de l'espace, Paris, Denoël /Gonthier, 1979, p7.

3- Le Robert alphabétique et analogique de la langue française, Paris, Le Robert 1977, p 625.

4- La Grande encyclopédie, -EOL-FAN-, Paris, H.LAMIRAUT. Cie, p 302, 303.

5-Le Robert alphabétique et analogique de la langue française, 1977, p626.

6-Ibid, p625, 626

7-Encycloapedia.universalis, Corpus 7, Eocambrien, p170.

8 – ابن منظور: لسان العرب، مادة فضا، م 15، ع15، و– ي، بيروت، دار صادر، ط1 1990، ط2، 1994، ص157.

9 – الجواهري، الصحاح، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، مادة فضا، ج6, بيروت، دار العالم للملايين، ص245.

10 – ابن منظور، لسان العرب، مادة فضا، م 15، ع 15، (مصدر سابق)، ص441، 442.

11 – ابن منظور، لسان العرب، ج 13، (المصدر نفسه)، ص484.

12 – ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، مادة كون، بيروت، دار الفكر 1979، ص148.

التّداخلُ المصطلحيّ بين الدّرسِ البلاغيّ والتّحليلِ التّداوليّ

أ. فاتح مرزوق

جامعة مولود معمري، تيزي- وزو

مقدّمة: يهدف هذا المقالُ إلى إبراز التّداخل المصطلحيّ بين الدّرس البلاغيّ والتّحليل التّداوليّ؛ إذِ المتمعّنُ في القضايا الّتي عالجتها التّداوليّة يَلْحَظُ تقاطعًا ظاهرًا بينها وبين الدّرس البلاغيّ القديم، رُغم بُعْد عهده، وكبر سنِّه؛ وسبب ذلك الجامع بينهما من حيثُ الموضوعُ والهدفُ، فكلاهما كان موضوعه وصف البُنى اللّغويّة أثناء العمليّة التّخاطبيّة، وأمّا الهدف الّذي جمعهما؛ فهو رصد مقاصد البُنى اللّغويّة، وأغراضها البلاغيّة؛ فالتّداوليّة هي مراعاة التّفاعل التّخاطبيّ أثناء الخطاب؛ أي: المُقام والظّروف المحيطة بالمتكلّم، والبلاغة هي الأخرى اهتمّت واغتمّت بالمقام ومقتضى الحال.

ومن هنا فنظريّةُ التّحليل التّداوليّ كغيرها من النّظريات الّتي جسّدت فكرة التّواصل، والامتداد مع التّراث اللّغويّ العربيّ، والتّراث العالميّ بصفة عامّة وذلك للوشيجة الّتي تجمع بينهما من خلال المفاهيم والمبادئ؛ ولعلّ هذا ما جعل خيوطًا سميكةً، وأواصرَ تشدّ هذا التّلاقي بين هذين العلمين؛ لذا نجد دراساتٍ انصبّت حول العِلاقة الجامعة بين الدّرس البلاغيّ والتّحليل التّداوليّ؛ وبخاصّة عند عمالقة البلاغة، وجَهَابِذَتها كعبد القاهر الجرجانيّ والسّكاكي، والخطيب القزويني ذَانِكُم العباقرة الّذين كشفوا قناع البلاغة للوجود وأخرجوا سرائرها، وأشرقوا آلياتها، وهو الأمر نفسُه نجده في الدّراسة التّداوليّة عند أوستين وسيرل وغرايس فقد أضحت هذه الدّراسة المركز الرّئيس، والمحور الأساس لكثيرٍ من الدّراسات اللاّحقة من الزّمن، أضف أنّ هذه التّداخلات تثمِّنُ، وتعزّزُ الجهود الّتي بذلها أولئكم

العلماءُ النّحاريرُ في الدّرس البلاغيّ القديم؛ بغيةَ وصف الظّاهرة اللّغويّة، وإبراز خصائصها والدّرر المشحونة بها.

ومن هذا كلِّه نجد بعضَ الباحثين واللّغويين عُنُوا عنايةً عظيمةً بهذه الدّراسةِ والبحث في طيّات التّراث فراحوا يقمّشون في طياته؛ مشمِّرينَ على سواعدهم منصبّين بجهدهم، عاملين فكرَهم على التّراث العربيّ، وبخاصّة البلاغة؛ وذلك للتّداخل القائم بين المصطلحات، وما تشدّه من أواصر وسَبْك وحَبْك في حقلِ تداخلِ المصطلحاتِ البلاغيّةِ والتّداوليّة؛ ممّا جعلها تنتشر، وتَنْتَشِز بصورة رهيبة في الأوساط العربيّة، وحينئذٍ ظهرت إرهاصاتٌ تدعو بتداخلٍ بين الدّرسِ البلاغيِّ والتّحليلِ التّداوليّ.

ومن هذا المنطلق نروم الإجابة عن الإشكالية: **ما العلاقة الّتي تجمع بين البلاغة والتّداوليّة؟ ما هي نُقاط تقاطع بين مصطلح الدّرس البلاغيّ والتّحليل التّداوليّ؟**

- **مفهوم البلاغة عند القدماء:**

البلاغة في اللّغة هي: البلوغ والانتهاء، نقول: بلغت الشّيء؛ أي: وصلت إليه وانتهيت، وبلّغ الرّكبُ المدينةَ:إذا انتهى إليها، ومبلغ الشّيء منتهاه[1].

ويتّضح من خلال هذا التّعريف اللّغويّ أنّه يولي أهميّة كبيرة للمتكّلم؛ لأنّه هو محور العمليّة التّخاطبيّة؛ فالمتكلّم إذا ورد مرتبة البلاغة يطلق عليه حينئذ بأنّه بليغ؛ أي أنّه قد بلغ مقصده، ومراده أضف أنّه قد أفهم سامعه.

أمَّا البلاغة في **الاصطلاح**؛ فقد عرّفها القزوينيّ بقوله: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[2].

وقد سُئل العتَّابيّ عن البلاغة فقال:" ما البلاغةُ؟ كلّ ما أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة؛ فهو بليغ فقيل له: قد عرفنا الإعادة والحبسة، فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع الكلام: يا هناه، ويا هيه

واسمع مني، واستمع إلي، وافهم عنّي، أو لست تفهم، أو لست تعقل، فهذا كلّه وما أشبهه فهو عيٌّ وفسادٌ"[3] .

والبيّن من قول العتّابي أنّ البلاغة ترتكز على تبليغك المعنى المنشود بلفظ مقصود، والأمر عينُه نجده عند ابن المقفع حين ردَّ البلاغة إلى المعنى الّذي تريد تبليغه؛ حيث يقول: "لا خيرَ في كلام لا يدلّ على معناك، ولا يشير إلى مغزاك"[4].

كما أنّهم أخضعوا ميزان البلاغة لمقتضى الحال، وعدم التّكلف، وهذا الذي ذكره الجاحظ حين قال: "ومدار اللاّئمة ومستقرّ المذمّة؛ حيثُ رأيت بلاغة يخالطها التّكلف"[5].

ولو دقّقنا النّظر وأمعنا التّدبر لنجدُ أنّ البلاغة اشتقّت من الفعل "بلغ" وهو يشير على الوظيفة الرئيسة لمعنى البلاغة، وهي: التّبليغ أي إيصال الكلام المقصود والمنشود ومنه ينتج عندنا:

البلاغة = بلاغ ⟵ إبلاغ ⟵ تبليغ

ولعلّ هذا الاشتقاق هو الّذي جعل علماءَ القرن الرّابع الهجريّ يجعلون معنى البلاغة والفصاحة بمعنًى واحد، وهو ما نجده عند الجوهريّ(ت393هـ) البلاغة هي الفصاحة؛ كون البلاغة من الإبلاغ عمّا في النّفس وهو الإفصاح مثله؛ فنقول أفصح عمّا في نفسه؛ بمعنى أبان.

إذاً العربيّ كان بطبعه يراعي هذه المقاييسَ في كلامه؛ فيأتي كلامُه مطبوعًا يسمع الكلامَ البليغَ واللّفظ الفصيحَ، فينفعل له، ويميزه بأذنه، فالحَسَن منه يستحسنه والقبيح منه يستقبحه، ويستهجنه.

وسألخّص ما قد سبق وأن أشرت إليه في هذه الترسيمة اليسيرة:

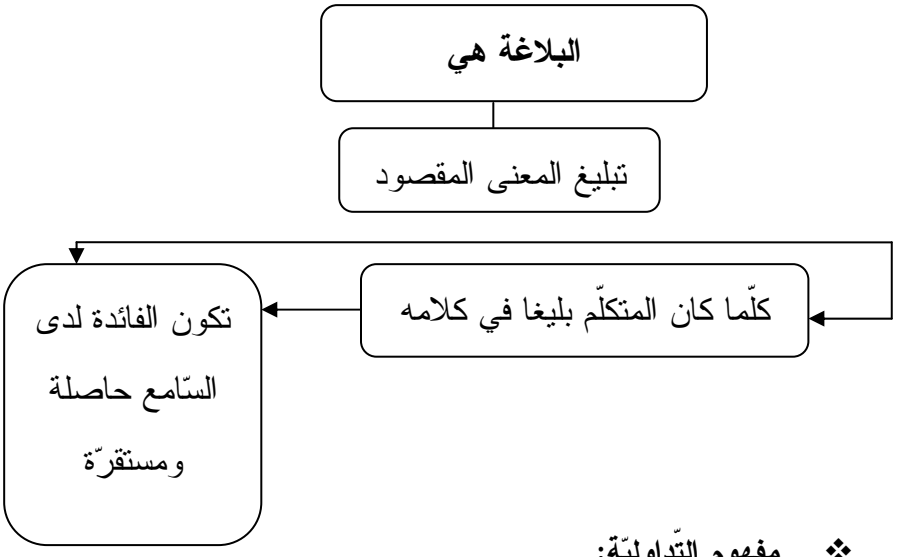

❖ **مفهوم التّداوليّة:**

أ- **التّعريف اللّغويّ:** ورد مصطلح التّداوليّة في الجذر اللّغويّ بمعانٍ متعدّدة في المعاجم العربيّة وقد تراودت في معظم معانيها للدّلالة على التّحوّل والتّبدّل؛ فقد أبان عن هذا المعنى ابن منظور: "تداولنا الأمر؛ أخذناه بالدّول، وقالوا: دواليك أي: مداولة على الأمر، ودالت الأيام؛ أي: دارت، والله يداولها بين النّاس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاوناه فعمل هذا مرة وهذا مرّة"[6].

ومدار كلام ابن منظور أنّ التّداولية تتجلّى في الكلام المتبادل بين مستعملي اللّغة، وما تعتريه من تغيّرات تتماشى، والسّياق الّذي وردت فيه.

ب- **التّعريف الاصطلاحيّ:** من الّذين عرّفوا التّداوليّة نجد فرانسيس جاك حيث يقول: "تتطرّق التّداوليّة إلى اللّغة كظاهرة خَطابيّة، وتواصليّة واجتماعيّة معًا"[7]. فالظّاهر من خلال قول فرانسيس جاك إنّ التّداوليّة تقوم على دراسة اللّغة بين بني البشر بغية التّواصل، وتأدية أغراضهم ومآربهم. وهذا هو منطلق تعريف طه عبد الرحمن للتّداوليّة؛ فقد رأى بأنّ التّداوليّة مظهر من مظاهر التّواصل إذ يقول: "ما

كان مظهرًا من مظاهر التّواصل، والتّفاعل بين صانعي التّراث من عامّة النّاس وخاصّتهم[8].

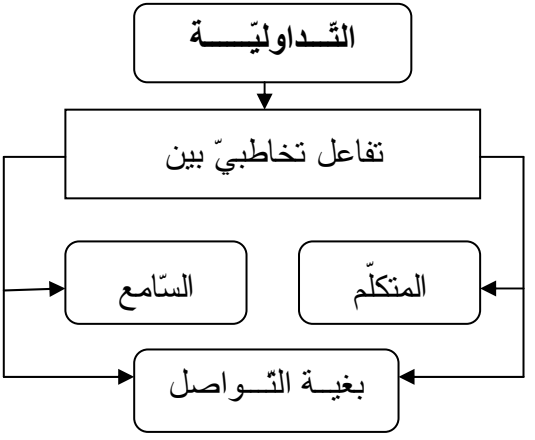

❖ **مفاهيم بلاغيّة على ضوء التّحليل التّداوليّ:** ممّا لا ريبَ فيه أنّ البلاغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: "علم والبيان وعلم البديع وعلم المعاني"؛ وهذا الأخير هو علم المعاني؛ هذا العلم الّذي نجد أبوبه لها علاقة بالتّحليل التّداوليّ؛ ولعلّ هذه العلاقة مُفادها التّداخل القائم بين العلمين من مصطلحات؛ وسأحاول في هذا الجزء أن أنطلق من تعريف علم المعاني، والأبواب التّي تُعنى بذلك، وبعدها نأخذ أهمّ المفاهيم التّداوليّة الّتي تتقاطع مع الدّرس البلاغيّ.

- **تعريف علم المعاني:** أصول وقواعد يعرف بها كيفيةُ مطابقة مقتضى الحال؛ بحيث يكون وَفق الغرض الّذي سيق له[9]؛ والمتأمّل في تعريف علم المعاني يلحظ أنّ هذا العلم يركّز على شيئين مهمّين هما: [مقتضى الحال والغرض] والأمر نفسه نجده عند نظريّة التّحليل التّداوليّ؛ حيث ركزت على القصديّة، وهو ما يقابل الغرض عند البلاغيين، أضف أنّ مقتضى الحال نفسه عند التّداوليّين بما يعرف "بالمقام" أو "السّياق" وإن كان مصطلح "السّياق" و"المقام" قد ورد عند علماء البلاغة؛ ونجد كذلك مفاهيم أخرى انضوت عليها الدّراسة البلاغيّة لها تقاطع بالتّحليل التّداوليّ نذكر منها:

1- مقتضى الحال: تراود هذه الكلمة كلّ أبواب البلاغة؛ كونها كلمة رئيسة في الدّرس البلاغيّ؛ فهي متعلّقة ببلاغة المتكلّم في بادئ الأمر؛ لأنّ المتكلّم إذا أراد أن يوصل رسالة إلى متلقّ أو مرسل إليه أو المستمع، لا بدّ من أن يراعيَ ذهن ذلك المخاطَب؛ وإلاّ ستكون الرّسالة الّتي بين المتكلّم والمستمع أو المرسِل والمرسَل إليه غير واضحة، ومن ثمَّ لا وجود للبلاغة في شيء؛ وبعدها العمليّة التّخاطبيّة صفريّة، ومنعدمة تماما؛ لذا حين عُرّفت بلاغة المتكلّم ركّز على مراعاة مقتضى الحال فقيل: "هي ملكة في النّفس يقتدر صاحبها بها في تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أيّ معنى قصده"[10]؛ فقوله: "مطابق لمقتضى الحال"؛ أي: مراعاة حال الخطاب، وإلاّ فليس ثمّة بلاغةٌ تنسب لهذا المتكلّم.

وقد عرّفه السّكاكي: "تتبّع خواص تركيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان؛ وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام ما تقتضي الحال ذكره"[11]؛ فالسّكاكي ركّز في تعريفه على خاصيتين اثنتين "الإفادة" و"الحال".

إذاً فالحال هو الأمر الدّاعي للمتكلّم إلى إيراد خصوصيّة في الكلام، وتلك الخصوصيّة، هي مقتضى الحال؛ ولذا نلمس أنّ الاقتضاء الحالي يؤدّي إلى بيان أغراض المتكلّم، وهو الشّيء الّذي سعى التّحليل التّداوليّ لتحقيقه من خلال فرض مفهوم ومبدأ "القصديّة"، لكن لاغرو في ذلك فقد نادت به البلاغة العربيّة منذ أمد بعيد بمقولتها المشهورة "العرب تضع اللّفظ المقصود في الموضع المنشود" ؛ وهنا نجد التّقاطع التّداخل المصطلحيّ بين الدّرس البلاغيّ، والتّحليل التّداوليّ بين مصطلحي[الغرض والقصد].

2- حقيقة الإنشاء: من الموضوعات والمباحث الّتي عُني بها الدّرس البلاغيّ وبخاصّة في علم المعاني مبحثُ الإنشاء، وهو مبحث عظيم ومسلكه جليل؛ وذلك لما له من أهمية في نفسية المتكلم؛ وقد عُنيَ به التّحليل التّداوليّ هو الآخر في مبدئه نظريّة الأفعال الكلاميّة، وبخاصّة في الإنجاز الفعليّ، وقد عرّف بأنّه: "ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقّق إلاّ إذا تلفظّت به فطلب الفعل في [افعل]، وطلب الكفّ في [لا تفعل]".

✓ **أقسام الإنشاء:**

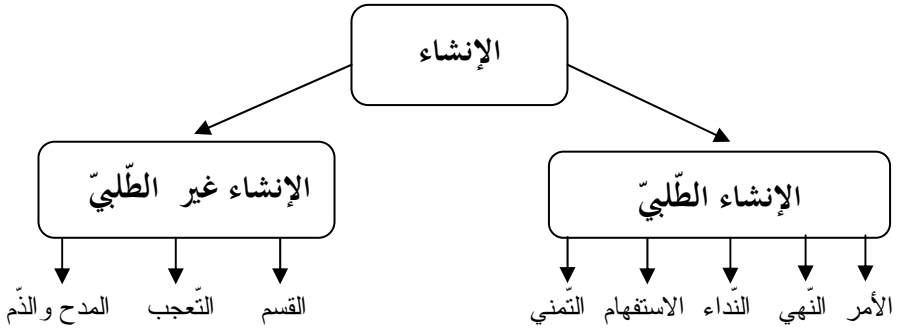

وهذه كلّها تدخل ضمن الإنجازات القوليّة التي سعت التّداوليّة لتحقيقها؛ أي "الأفعال الكلاميّة"؛ فالأمر مثلا في الدّراسة البلاغيّة له أثره البلاغيّ الّذي يدلّ عليه؛ فهو لا يرد عبثا وإنّما يفرضه سياق معيّن ممّا يستدعي من المتكلّم أو السّامع من أن يصدر أمرا ما. فأنا عندما أقول: "احفظ المعلقات السّبع حتى يستقيم لسانك" فهذا أمر ورد بغية النّصح والإرشاد. فهذا الفعل الإنجازيّ لا يستدعي بالضّرورة الطّاعة لكن العكس إذا سمعت قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ الأحزاب: ١ فالأمر في الآية واضح يستدعي الوجوب والتّنفيذ من لدن النّبيّ صلى الله عليه وسلّم. والأمر نفسه بالنّسبة للأساليب الإنشائيّة الأخرى فكلّ ترد في سياقها المنشود.

3- الذّكر والحذف: لقي الذّكر والحذف في الدّرس البلاغيّ أهميّة كبيرة والأمر نفسه في التحليل التّداوليّ في مباحث "قانون الاقتضاء" أو "قانون الاختصار" وهذه الظّاهرة البلاغيّة إنّما لها أغراض يفرضها سياق معيّن، فالذّكر له مواضعُ والحذف كذلك، ومن الأغراض الّتي يؤدّيها الذّكر نذكر:

✓ زيادة تقرير والإيضاح للسّامع: لقوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥]

✓ الرّد على المخاطب: الله واحد؛

- ✓ التّلذّذ: الله ربي،الله حسبي؛

أمّا بخصوص الحذف؛ فهو خلاف الأصل، وهو قسمان:

- ما هو خاضع للإعراب: أهلا وسهلا؛
- ما هو راجع للمعنى: بحيث لا يتمّ المعنى إلاّ به، وإنّما يكون وروده في الجملة لأغراض بلاغيّة؛ فهو لا يرد سبهللة.

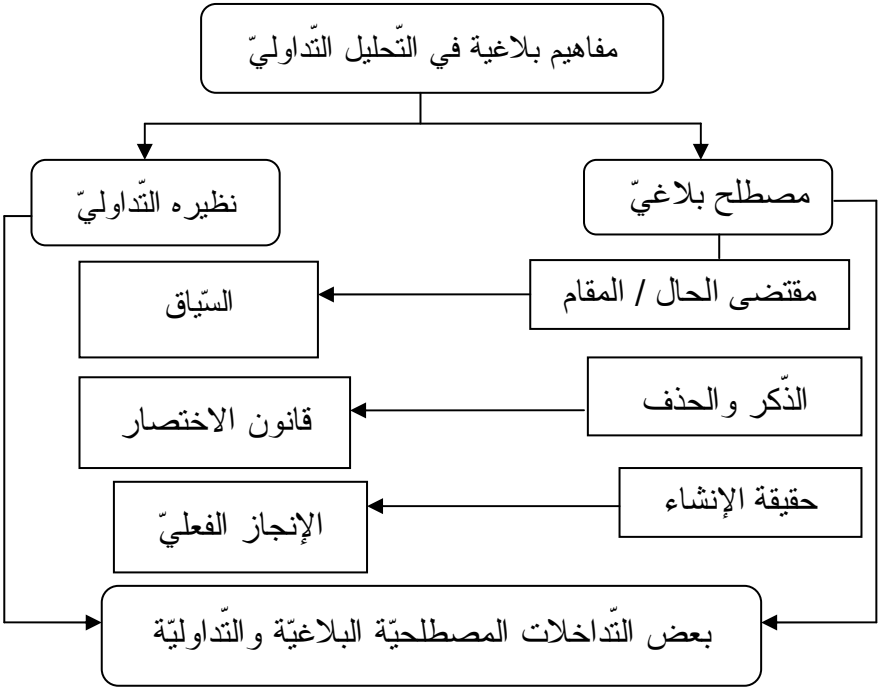

- ❖ **مهام التّداوليّة:** تتلخّص مهام التّداوليّة في نُقاط وهي:
- ✓ دراسة استعمال اللّغة؛
- ✓ دراسة اللّغة عند استعمالها في الطّبقات المقاميّة المختلفة؛
- ✓ فهي كلام محدّد صادر عن متكلّم محدد وموجه إلى مخاطب محدّد بلفظ محدّد في مُقام تواصليّ محدّد لتحقيق غرض تواصليّ محدّد[12].

إذاً التّداوليّة تسعى لتحقيق العمليّة التّواصليّة؛ مع مراعاة الظّروف المحيطة بالتّفاعل التّخاطبيّ والمقام الّذي يصدر فيه الحدث والإنجاز الكلاميّ. ومن هذه

السّمات الّتي تنطوي عليها التّحليل التّداوليّ انبثقت منه مفاهيم رئيسة قامت عليها النّظريّة التّداوليّة. ولعلّها هي النُّقاط الّتي تتداخل بينها وبين الدّرس البلاغيّ.

❖ **التّداخل بين البلاغة والتّداوليّة من خلال المصطلح:** إنّ المتمعّن في علمي البلاغة والتّداولية يلحظ تداخلا، وتقاطعا في مصطلحات عدّة، ولعلّ هذا التّداخل مبناه المنطلق الّذي انطلق منه كلا العِلْمين؛ وهو بيان التّفاعل التّخاطبيّ في الحلقة التّواصليّة بين المتكلّم والسّامع، والآن سأبيّن التّداخل الواقع في بعض المصطلحات ما بين الدّرس البلاغيّ والتّحليل التّداوليّ:

1- **الإشاريّات:** وتدخل ضمن الملفوظ أو التّلفظ؛ وهي إشارة إلى اسم الإشارة وهي: [ذلك ذانك، هؤلاء، تلك، هذا، هذه، ذان، ذه] الإشاريات هي تلك" الأشكال الإحاليّة الّتي تربط بسياق المتكلّم مع التّفريق الأساس بين التّعبيرات الإشاريّة القريبة من المتكلّم مقابل التّعبيرات الإشاريّة البعيدة عنه؛ فكلّ فعل لغويّ يكون ناجحا؛ إذا علم المخاطب قصد إحالة العبارة، وإذا كان للمتكلّم غرض ينبغي بموجبه أن يشكلّ المخاطب هذه المعرفة"[13]، والظّاهر من خلال "فان دايك" أنّ الإشارة جزء من القرينة الإحالية، وهي الّتي تحيلك إلى عنصر؛ إمّا أن يكون داخليّا أو خارجيّا بواسطة قرينة إشاريّة وذلك لقول الفرزدق بن همام لما رأى زين العابدين راجعا من الحجّ فقال فيه:

هذا الّذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم

وهذا المبحث ليس بعيدا عن الدّرس البلاغيّ؛ كونه يكشف، ويبيّن سرائر ودَلالات اسم الإشارة فالمتأمّل في هذا يجد أنّه يرد بطرق شتّى أثناء التّلفظ والتّواصل بين المتكلّم والسّامع، وهو مـــا يستدعيـــه خطاب معيّن؛ كقولنا مثلا: [هذا عنترة] وقولي:[عنترة هذا]، والبون بينهما بيّن وجليّ يستدعيه خطاب وسياق معيّن؛ فالأولي جواب عن سؤال: من هذا؟ والثّانية جواب لسؤال: من عنترة؟ فأنت إذا كنت غير عالم بعنترة وعالما به تقول: من عنترة فتجيب: عنترة هذا. وهكذا دواليك.

وما أروع الإشاريّة في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ٢ فقد ورد في سياق الآية اسم الإشارة" ذلك" وما ورد "هذا" ؛ وذلك إنّ المعنى الّتي شحن به اسم الإشارة يدلّ على المعنى المقصود؛ وهو أنّ المولى عزّ وجلّ أشار باللاّم الّتي تدلّ على البعد وكاف الخطاب؛ أي أنّ القرآن الكريم بعيد كلّ البعد عن الرّيب والشّك. وممّا يدلّ على ذلك بدليل قاطع هي الجملة الّتي بعده؛ حيث قدّم الرّيب وأخّر شبه الجملة، وهو دليل على أنّ القرآن ما وقع الرّيب ولن يقع.

2- **أفعال الكلام:** وهي مفهوم عُرِف به التّحليل التّداوليّ؛ كما أنّه عُدّ مفهوما رئيسا في نظريّة التّحليل التّداوليّ؛ وذلك لِمَا له من أهميّة بارزة في العمليّة التّواصليّة، وقد أتى بها العالم، والفيلسوف الانجليزي "جون أوستين" محدّدا من خلالها بأنّ الجملة الخبريّة هي الجملة المعياريّة، وما عداها من أنماط مختلفة للجملة هي مجرد أشكال متفرّعة عنها[14].

أمّا "سيرل"، فبعد أن يقدّم اثني عشر معيارا محدّدا، خاصّا بالأفعال الإنجازيّة يردّها في نهاية المطاف، إلى خمسة أصناف، هي:

- التّأكيدات (Assertifs): ومهمتها أن تجعل المتكلّم منخرطا، بدرجات مختلفة في صميم القضيّة المعبر عنها، فالتشكي مثلا، من قبيل التّأكيدات إلى جانب أنّه تنخرط فيه بالموازاة مصلحة المتكلّم.

- الأوامر (Directifs): ومدار الإنجاز فيها على استجابة السّامع لأمر ما لصالح المتكلّم، ويبدأ الأمر بالتّلميح به، وقد ينتهي إلى التّصريح على وجه الإلزام والاستعلاء.

- الالتزامات (Commissifs): وهي أفعال إنجازيّة هدفها الوحيد أن تجعل المتكلّم ينخرط في أفعال مستقبلية.

- التّصريحات (Expressifs): ووجهة الإنجاز فيها التّعبير عن حالة سيكولوجية، وعن مشاعر معتملة، مثل الأفعال: شكر، هنأ، واعتذر.

– الإدلاءات و(Déclaration): وهي الّتي يتّجه الإنجاز فيها إلى محاولة التّقريب بين مضمون القضيّة المعبر بها، وبين الواقع المعبر عنه، لضمان إنجاز أفضل[15].

وقد مكّن هذا التّحديد "سيرل" من تقديم تصنيف جديد للأعمال اللّغويّة، كان أساس لمنطق الأعمال المتضمّنة في القول.

وقد لحظ "أوستين" أنّ الفعل الكلاميّ الكامل **ثلاث خصائص هي**:

– أنّه فعل دالّ؛

– فعل إنجازيّ (أي ينجز الأشياء، والأفعال الاجتماعيّة بالكلمات)؛

– أنّه فعل تأثّريّ (أي يترك آثارا معينة في الواقع، وبخاصّة إذا كان فعلا ناجحا.

3– **المقاصد:** يعدّ القصد من المباحث الأساس في حلقة التّخاطب، والّتي تقام بين المرسل والمرسل إليه؛ فهو لبّ العمليّة التّواصليّة؛ لذا "لا وجود لأيّ تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصديّة وراء فعل التّواصل، ودون وجود إبداع أول على الأقل دون وجود توليف للعلامات... وحتىّ يستطيع الرّسول أن يبلّغ رسالته لا بدّ أن يكون مالكا للمستويات الخطابيّة؛ لأنّ البغية من ذلك إفهام المرسل إليه أو المتلقّي؛ أي "معرفة قواعد تركيبها وسياقات استعمالاتها، وعلى الإجمال معرفته بالمواضعات الّتي تنظّم إنتاج الخطاب بها"[16]، والظّاهر من هذا القولِ: إنّ إنتاج الخطاب يكون مقصديّا خاضعا لقوانين يقتضيها سياق الخطاب؛ لذا عدّت المقصديّة أحد المقولات الأساس للنّص، باعتبار أنّ لكلّ منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها،أو نيّة يريد تجسيدها، ويستمدّ مفهوم القصد شرعيّة وجوده في الدّراسات اللّسانيّة، قديمها وحديثها، من أنّ كلّ فعل كلاميّ يفترض فيه وجود نيّة التّواصل والإبلاغ[17].

والجدير بالذّكر أنّ التّداوليّة تراعي تفاعل المرسل أثناء الخطاب، ويبني مقصده المراد والرّسالة الّتي يورد أن يوصلها، وفي هذا نجد الشّهري في كتابه

"استراتيجيات الخطاب" يوجب من المتكلّم أن يبيّن مقصده من الخطاب؛ فيقول: "يجب عليه ألاّ يتكلّم إلاّ على المقصود من كلامه، ولا يتعرّض لما لا يقصده ممّا جرى من خلاله، فعدّ الكلام على ما يقصدوه عدول عن الغرض المطلوب"[18].

إذًا القصد في التّحليل التّداوليّ، هو الأساس في عملية التّفاعل التّخاطبيّ؛ لأنّ به يتم الإبلاغ والتّبليغ، فلا تواصل دون قصديّة؛ وهذا ما صرّح به "جون سيرل" بقوله: "إنّها المصطلح العام لجميع الأشكال المختلفة الّتي يمكن أن يتوجّه بها العقل أو يتعلّق نحو الأشياء أو الحالات الفعليّة في العالم"[19].

لكن هذه القصديّة لا بدّ أن تكون صادرة عن وعي ودراية كما صرّح بها "سيرل"، وهو شرط أساس في مبدأ القصدية بالنّسبة للمتكلّم؛ حيث يقول: "إنّنا لا نفهم حدود القصديّة إلاّ في حدود الوعي"[20].

فشرط الوعي يدلّنا على أنّه عامل أساسٌ في العمليّة التّواصليّة؛ لأنّه حينئذ سيتحقق الإنجاز الفعليّ، ويصل قصد المرسل؛ ومن ثَمّ؛ فالتّواصل المقصود الوارد من فعل مقصود؛ "فلا وجود لأيّ تواصل عن طريق علامات دون وجود قصديّة وراء فعل التّواصل"[21].

ومن هذه الزّاوية عالج أرباب التّداوليّة المقصد التّداوليّ، وبخاصّة "أوستين" و"سيرل"؛ وذلك بغية التّفريق بين التّعبير المفيد الّذي يصبو من ورائه مقصدا معيّنا يكون ناجحا.

ومن أرباب البلاغة الّذين أشاروا إلى مقصدية المتكلّم "ابن الأثير" حين تحدّث عن التقديم والتأخير حيث يقول: "وأمّا الثّانيّ وهو تأخير الظّرف وتقديمه في النّفي فنحوُ قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: [الآية ١ – ٢] وقوله تعالى: ﴿ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴾ الصّافات: [الآية ٤٧] فإنّه إنّما أخّر الظّرف في الأوّل؛ لأنّ القصد في إيلاء حرف النّفي الرّيب نفي الرّيب عنه، وإثبات أنّه أحقّ وصدق، لا باطل وكذب كما كان المشركون يدّعونه، ولو قدّم الظّرف لقصد أنّ كتابا آخر فيه الرّيب لا فيه، كما قصد في قوله: ﴿ لَا فِيهَا غَوۡلٞ ﴾ فتأخير الظّرف

يقتضي النّفي أصلا من غير تفضيل وتقديمه يقتضي تفضيل المنفيّ عنه وهو خمر الجنّة على غيرها من خمر الدنيا[22] "فتداوليّة التّقديم والتّأخير باب دقيق المسلك كونه يراعي طرفين من عناصر التّخاطب عنصر المتكلّم وعنصر السّامع؛ والمتكلّم لا بد أن يراعي لذهنية السّامع؛ وبخاصّة إذا كانا من طبقة واحدة من البلاغة؛ لأنّه إذا قدّم في غير موضع فسوف يخلّ باللّفظ المقصود، ومن ثَمّ لن يرد إلى المعنى المنشود؛ ومن بعد ذلك ستتهلهل حلقة التّفاعل الخَطابيّ. وهذا ما سماه ابن الأثير: "المعاضلة المعنويّة" حيث يقول: "فهو أن يقدّم ما الأولى به التّأخير؛ لأنّ المعنى يختلّ ويضطرب وهذا هو المعاضلة المعنوية"[23].

4 ــ **السّياق/ المقام:** إنّ من أهمّ المرتكزات الّتي قام عليها التّحليل التّداوليّ قضيّة" السّياق"؛ كونها منوطة بالاستعمال؛ كما أنّها تسهم في تحليل الوَحْدات اللّغويّة سواء أتعلّق الأمر بالجملة أم الكلمة أم خطابا، فلولا السّياقُ لما فهمنا المعنى المرجوّ من أيّ كلام يتلفّظ به، أضف أنّك لا تستطيع أن تبديَ سرائر الخطاب ومكنوناته الجماليّة؛ فلذلك لا بدّ أن لا ننسى بأنّ السّياق قد عُني به قديما وحديثا والدّاعي إلى ذلك إنّه حَلْقة من حلْقات التّواصل، ولا خيرَ من دليل إلاّ ما قد أسبكه "الجاحظ" في كتابه "البيان والتّبيين" حيث يقول مبيّنا أهميّة السّياق: "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبن أقدار الحالات فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكلّ حالة من ذلك مقاما؛ حتّى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم المعاني على قدر المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[24].

ومدار كلام "الجاحظ" يدلّ على أنّ المتكلّم لا بدّ أن يراعيَ طبقات الكلام بِحَسَب المقامات الكلاميّة فعلى المتكلّم أن يوجز في مقام الإيجاز ويطنب في مقام الإطناب، ويقدّم ويؤخّر في مقام ذلك؛ حتّى يفيد سامعه، ويقنعه، وأن يصل به إلى مرتبة الكفاية الإبلاغيّة.

إذاً "الجاحظ" يخطو على خطى الإمام السّكاكيّ حيث يقول مبديا رأيه في أهميّة السّياق وأنواعه "ثم إذا شرعت في الكلام؛ فلكلّ كلمة مع صاحبتها مقام، ولكلّ حدّ ينتهي غليه الكلام مقام...وارتفاع شأن الكلام في "باب الحسن والقَبول" وانحطاطه في ذلك بِحَسَب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو ما نسمّيه بمقتضى الحال"[25] فالسّكاكيّ من خلال هذا المتن يشير إلى نوعين من أنواع السّياق؛ سياقٍ خاصّ بمقامات الكلام؛ وهو ما يطلق عليه (بالسّياق المقاميّ)، وسياقٍ آخرَ منوط بالتّركيب اللّغويّ وهو ما يطلق عليه (بالسّياق اللّغويّ).

أمّا بخصوص السّياق اللّغويّ: فهو مجموعة تلك العلاقات الدّاخليّة الّتي تتحكّم في دلالة النّص والخطاب أو حتّى الجملة؛ فكلّ نَتاج لغويّ لا يمكن أن يكون رصفا ميكانيكيّا للوَحْدات المكوّنة له فحسب؛ بل يجب أيضا مراعاة القوانين الدّاخليّة التي تسهم كثيرا في تماسك هذه الوَحْدات وترابطها من اجل تحقيق غايتها.

إذاً المعنى مهمّ في تحديد جانب السّياق اللّغويّ؛ فنحن دائما نُنْكس دراستِنا إلى فهم السّياق؛ وبخاصة في القرآن الكريم؛ فأنت لا تستطيع أن تحكم على آية قرآنيّة إلاّ إذا حدّدت سياقها الّذي وردت فيه، والظّروف الّتي نزلت فيه هذه الآية ولنا أمثلة كثيرة من ذلك كقوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ **عبس: ١**

فالمتمعّن في هذه الآية يجد أن الفعل[عبَس] لم يرد بالتّضعيف؛ أي [عبّس] لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم نظر في عبد الله بن مكتوم بطرف العين؛ ولو نظر إليه بالعين كلّها لنزلت[عبّس] ؛ ومثله قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ ﴾ الأعراف: [الآية ١٣٢] فأنت إذا أمعنت النّظر وأجللت التّدبر ستجد أنّ الوَحْدات اللّغويّة لها علاقة في ما بينها فقد استعملت[مهما] والّتي تدلّ على الإصرار عكس[حيثما، وكيفما]. أضف أنّ هذا الفعل أتى بعده فعل [تأتنا] والّذي يدلّ على الاستمراريّة في الإصرار على التّعنّت، ثم العجب العجاب من ذلك أن تُدْعَم بجملة اسميّة [فما نحن] والّتي تدلّ على الثّبوت في الإصرار، وعدم الإيمان بما جاء به محمّد –صلى الله عليه وسلّم– ويختمها [بالباء الزائدة] والّتي تدلّ على

تأكيد الإصرار، وعلى عدم الإيمان بالرّسول صلى الله عليه وسلم وحده لأنّهم قالوا: "لك".

كلّها وَحْدات لغويّة لها دَلالة، وبخاصّة إذا سُبكت، وحُبكت ببعضها البعض لكي تُخرج لنا سياقا لغويّا يتحدّد المعنى من خلاله؛ ولهذا فإنّ "فيرث" يرى أنّ: "المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوَحدة اللّغويّة؛ ووضعها في سياقات مختلفة فمعظم الوَحْدات الدّلالات تقع في مجاورة وحدات أخرى؛ وأنّ معاني هذه الوَحْدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوَحدات الأخرى الّتي تقع مجاورة لها"[26].

وممّا يظهر من خلال قول"فيرث" أنّ الكلمة لا نَفَسَ لها خارج السّياق؛ فالسّياق هو الفاصل المعنويّ بالنّسبة لها، كما أنّها تصبح قويّة الدَّلالة إذا اتَّسقت مع الوَحْدات اللّغويّة الّتي تجاورها؛ وحينئذ يفهم معنى تلك الوَحْدات، وتشكّل بعدئذ البناء اللّغويّ.

وقد عرّفه كذلك "برند شبلنر" بقوله: "وهو السّياق الّذي يقدم في إطار الجملة الواحدة، وهو سياق واضح، يشكّله المجموع النّحوي والتّركيبيّ، وهو جزء من السّياق الكليّ"[27]؛ فالسّياق معتصم بالنّظم والتّركيب، وهو الّذي يحدّد المعاني المنشودة، ويكثر وروده في القرآن الكريم بكثرة؛ كون البنية النّحويّة تُسْهِم في تغيير دَلالة الكلمة.

إذًا - وبلا ريب – فالسّياق اللّغويّ يُسْهِم في ربط أواصر النّص والخطاب وسبكها وحبكها، وهي شافية، وكافية الدّراسة في علميّ المعاني والبيان؛ ومن ثَمّ نخلص للقول: إنّه كلّما توافر السّياق النّصيّ ضمنا بصفة عامّة فهم النّص؛ فالنّص يخلق سياقه الخاصّ به[28]".

أمّا السّياقُ المقاميّ؛ فهو سياق غير لغويّ، ويسمّى "سياقَ الحال"، ومن الّذي اهتمّوا بهذا النّوع من السّياق العالم البريطانيّ الشّهير "فيرث" صاحب النّظريّة السّياقيّة" فهو ينظر إلى سياق الحال باعتباره جزءا من أدوات علم اللّغة مثله مثل:

الفصائل النّحويّة الّتي يستخدمها. ولقد قدّم أهمّ ما يتصل بالسياق المقامي؛ ولهذا اقترح الفصائل الّتي ينبني عليها سياق الحال والمتمثّلة في: الملامح الوثيقة الصلة بالمشتركين: الأشخاص، الخصائص الذّاتيّة المميّزة، الحدث الكلاميّ للمشتركين الحدث غير الكلاميّ للمشتركين، الأشياء ذات الصّلة بالموضوع وتأثيرات الحدث الكلاميّ"[29].

إذًا فالسّياق المقاميّ يؤدّي دورا بارزا في تحديد معنى الخطاب؛ لأنّه ارتبط باللّغة الاجتماعيّة الّتي يتبادلها بني البشر في ما بينهم؛ فاللّغة وليدة المجتمع، فقد ارتبطت بالإنسان الّذي يعيش في هذا المجتمع؛ لذا رأى العلماء أنّ اللّغة نشاط اجتماعيّ، ومن بعد ذلك يكون المقام تتمّة للمعنى الّذي يحدّد السّياق؛ حتى إنّ النّحويّ "إذا أراد أن يقدّم أحكاما بشأن مدى نحويّة جملة من الجمل أو يحدّد ما إذا كانت الأنساق اللّغويّة الّتي يقدّمها نحوه جملا لغويّة صحيحة؛ فإنّه يعتمد ضمنيّا على اعتبارات ذات علاقة بالسّياق. إذ ماذا نفعل حين يطلب منّا أن نحدّد ما إذا كانت جملة معيّنة مقبولة أم لا؟ أو لسنا نلجأ مباشرة وبصورة طبيعيّة مباشرة إلى تشكيل عدد الظّروف، ويمكن فيها لتلك الجملة أن تستعمل بشكل قبول"[30].

ويعرف "هايمز" دور السّياق وكيفية تحديد المعنى المنشود حيث يقول: "إنّ استعمال صيغة لغويّة يحدّد مجموعة من المعاني، وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني؛ فعندما تستعمل صيغة في سياق ما؛ فإنّها تستبعد كلّ المعاني الممكنة لذلك السّياق والّتي لم تشر إليها تلك الصّيغة والسّياق بدوره يستبعد كلّ المعاني الممكنة لتلك الصّيغة الّتي لا يحتملها السّياق"[31].

ولعلّ الأمر الّذي أشار إليه "ابن الأثير" مهمّ جدا في التّحليل التّداوليّ، وهو أن تُفْهم سامعك ممّا يَقْوى على فهمه؛ فأنت إذا انحرفت عن الوظيفة الإبلاغيّة، فلا مردّ لك من المقصود الّذي تنشد أن تصل إليه؛ أضف أنّك ستتعب سامعك في فهم القصد، فكلّما كان الكلام محددا وله غرض محدّد صادر من تكلّم محدّد، كلما كان الكلام أنفع وأنجع للسّامع، ومن ثمّ تحقيق الغرض سيكون بلا ريب محدّدا؛ وهذا

هو مُفاد التّداوليّة مراعاة قصد المتكلّم والسّامع؛ ولعلّ ما يدل على أهميّة القصد في التّحليل التّداوليّ أنّها ترجمت على شتّى من المصطلحات؛ ومن بينها "المقصديّة" يقول الدّكتور محمد أحمد نحلة: "فقد عرضت لها كثير من التّرجمات في اللّغة العربيّة منها: التّبادليّة والاتّصاليّة والنّفعيّة والمقصديّة والمقاميّة، وأفضل هذه التّرجمات التّداوليّة؛ إذ هي من تداول اللّغة بين المتكلّم والمخاطَب؛ أي التّفاعل القائم بينها في استعمال اللّغة"[32].

4- **الاستلزام الحواريّ والفصاحة:** يعدّ الاستلزام من القضايا الّتي تناولها التّحليل التّداوليّ؛ كونه محورًا رئيسًا في العمليّة التّخاطبيّة؛ بحيث يقوم هذا المبدأ على عنصري المتكلّم والسّامع، ومن الباحثين الّذين أسّسوا دعائم الاستلزام العالم غرايس؛ حيث انطلق من "أنّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون؛ فجعل كلّ همّه إيضاح الاختلاف بين "ما يقال وما يقصد"[33]. ومدار كلام غرايس أنّه يركز على طرفي التّخاطب وهما المتكلّم والسّامع؛ أي ما يقوله، وما يقصده من مآربَ وأغراض. ومادام أنّ المتكلّم عنده مقصدٌ يريد أن يصل إليه؛ كان عليه لزاما أن ينتهج نمطا معيّنا في تخاطبه. فلا يمكن أن نتصوّر خطابا دون وجود عنصرين مهمّين؛ "لذا لا يمكن أن ندّعيَ فهمنا للكلام من دون استحضار شروط إنتاجه المحيطة به، خاصّة عنصر المتكلّم والمخاطَب"[34].

وقد وضع غرايس شروطا تنجح من خلاله عمليّة التّواصل، والتّفاعل التّخاطبيّ بين الطّرفين؛ وذلك حين وضع مبدأ التّعاون، وهذا المبدأ يقوم على الحوار والتّخاطب، ومادام أنّ ثمّة حوارا وتخاطبا بين طرفين لا بدّ من استلزام طريقة معيّنة في الحوار، والبغية من ذلك إنجاح العمليّة التّواصليّة، وهي شبيهة بشروط الفصاحة الّتي رسمها علماؤنا في علم البلاغة، حين تطرّقوا للفصاحة، وسأبيّن هذا التّداخل من خلال آلية التّقديم على سبيل المثال، وما يستلزمه خطاب معيّن.

1- **مبدأ الكمّ**[35]: حيث يقول: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه؛ وهذا المبدأ نلمحه في ظاهرة التّقديم والتّأخير وبخاصّة في القرآن الكريم؛ حيث يعمد فيه إلى الإيجاز بالتّقديم والتّأخير ويكون له بعدئذ وظيفة تداوليّة تستلزم التّخصيص والحصر كأن تقدّم شبه الجملة من الظّرف كقوله تعالى: ﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ ق: [الآية٤].

فمن خلال الآية نجد أنّ الظّرف [عندنا] تقدّم على المسند إليه[كتاب] وهو مبتدأ في الأصل وحقّ له التّقديم وقد تأخّر، فهذا التّقديم له وظيفة تداوليّة وهو استلزام حصر حفظ القرآن الكريم لله عزّ وجلّ دون غيره؛ لأنّ هذا التّقديم مرتبط بعلم الله المتحقّق في قوله: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ فهما كلمتان موجزتان في اللّفظ عميقتان في الدّلالة؛ دون زيادة أو نقصان؛ فالاستلزام الحواريّ يستدعي هذا التّقديم، أضف أنّ الاستلزام النّحويّ -إن صحّ القول- يستدعي ذلك؛ لأنّا نعرف مليّا بأنّه لا يجوز الابتداء بالنّكرة ما لم يفد، وإفادته لا بدّ أن تكون موصوفةً، وها هو الشّرط المستلزم قد تحقّق في الآية؛ فتحقّق الاستلزام الحواريّ مع الاستلزام التّركيبيّ الّذي يوصل للمعنى المنشود.

2- **مبدأ المناسبة:** أي: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع، وهنا أشير إلى تداوليّة التّقديم والتّأخير مثلا؛ حيث يستلزم السّياق نوعا معيّنا من التّقديم والتّأخير، إذ إنّك لو قدّمت في غير موضع وأخّرت في غير موضع، فسوف تخلّ بالمعنى، والقصد المنشود، والمتتبّع القرآن الكريم يجد هذه الاستلزاميّة في مناسبة التّقديم والتّأخير؛ ليس في الجملة فقط؛ بل حتّى في المفردة؛ كتقديم [الغفور] على [الرّحيم] في القرآن الكريم، عدا مرّة واحدة في سورة (سبأ) فقد تقدّم [الرّحيم على الغفور] فهذا إن دلّ فإنّما يدلّ على أنّ هذا التّقديم حسن، وجميل يستلزمه سياق معيّن؛ بحيث لا يتناقض بما قبله، ومن الّذين تنبّهوا لهذه الخاصّيّة المسبوكة واللّمحة المكنونة، واللّمسة المسكوكة ابن القيّم في "بدائع الفوائد" حيث يقول: "أما تقديم (الرّحيم) على (الغفور) في موضع واحد، وهو أوّل [سبأ] ففيه معنى غير ما

ذكره يظهر لمن تأمّل سياق أوصافه العلى، وأسمائه الحسنى في أوّل السورة إلى ﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ سورة سبأ: [الآية٢] فإنّه ابتدأ سبحانه السّورة بحمده الّذي هو أعمّ المعارف وأوسع العلوم، وهو متضمّن لجميع صفات كماله ونعوت جلاله مستلزم له، كما هو متضمّن لحكمته في جميع أفعاله وأوامره؛ فهو المحمود على كلّ حالة، وعلى كلّ ما خلقه ثمّ عقب هذا الحمد بملكه الواسع المديد فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ سبأ: [الآية ١] ثمّ عقّبه بأنّ هذا الحمد ثابت له في الآخرة غير منقطع أبدا فإنّه حمد يستحقّه لذاته وكمال أوصافه"[36] والظّاهر من قول ابن الجوزيّة أنّ المناسبة تستلزم هذا التّقديم وإن كان مرة واحدة كون المناسبة القرآنية تستدعي؛ ومن ثمّ فمبدأ المناسبة من خلال الوظيفة التّداوليّة للتّقديم ظاهرة جليّة في طبيعة أي لغة؛ وبخاصّة لغة القرآن الكريم؛ فحيثما استلزم التّركيب لتداوليّة المعنى كان المعنى تامّا والفائدة عامّة؛ فأنت لو قدّمت [الغفور] على [الرّحيم] لكان معنى غير ذلكم المعنى "لأنّ الملك بلا حمد يستلزم نقصا والحمد بلا ملك يستلزم عجزا، والحمد مع الملك غاية الكمال"[37].

كما تجدر الإشارة إلى أنّ استلزاميّة التّقديم والتّأخير تدلّ على وظيفة تداوليّة وهي الاهتمام بالمفضول؛ لأنّ ذلك يناسبه، ويتناسب مع معنى الكلام؛ وقد أشار إليه الرّاسخون في هذا الفنّ يقول ابن الأثير: "لأنّك إن قدّمت الأفضل فهو في موضعه من التّقديم، وإن قدّمت المفضول فلأنّ مطلع الكلام يناسبه"[38]. ومدار كلام ابن الأثير؛ أي أنّك تقدّم بقدر ما يقتضيه السّياق، وترجى من خلاله الفائدة؛ لذا استعمل (إنْ) ولم يستعمل (إذا) أي للتوقّع وغير محتمل؛ لأنّ المناسبة هي الّتي تجبر المتكلّم أن يسلك واديا من فنون الكلام؛ بحيث يفهم السّامع المقصد من ذلك.

3- **مبدأ الطّريقة:** أي كن واضحا ومحدّدا؛ فتجنّب الغموض، وتجنّب اللّبس وأوجز، ورتّب كلامك ومدار كلام غرايس في هذا المبدأ، هو إفهام السّامع بعبارات موجزة ومعاني جليلة وألفاظ فصيحة. ومن ثَمَّ فهذا المبدأ يقوم على ربط حلقة التّواصل ما بين المتكلّم والسّامع؛ لأنّك إذا لم تلتزم بهذه الصّفات: الوضوح

وتجنّب الغموض واللّبس وعدم ترتيب كلامك بحسب ما يستلزمه التّخاطب؛ فقد خرجت حينها عن مستوى الفهم والإفهام.

والمتمعّن لهذه الخواص المعنويّة الّتي استلزمها "غرايس" في حلقة التّخاطب بين المتكلّم والسّامع، لهي قرينة ومتقاطعة مع شروط الفصاحة المعهودة في التّراث البلاغيّ. ومن بعد ذلك فكلاهما يسعيان إلى تتبّع قواعد وضوابط يفهم منها الكلام السّليم من الكلام ما هو دون ذلك، ويدركه كلٌّ من المتكلّم والمخاطَب. وهنا تبرز تداوليّة التّقديم والتّأخير، ووظيفته الاستلزاميّة؛ فنحن في بعض الأوقات نستند إلى استلزامية التّقديم والتّأخير دونما أيّ شعور؛ كقولنا مثلا: "السّلامُ عليكم" ثم يجيب المخاطَب: "وعليكم السّلامُ" فنلحظ من خلال الجملتين تقديما وتأخيرا؛ ففي الأولى تقدّم المبتدأ [السلام] وتأخّر الخبر الواقع شبه جملة من جار ومجرور[عليكم] وفي الثّانية تقدّم الخبر الواقع شبه جملة من جار ومجرور[عليكم] وتأخّر المبتدأ [السّلامُ] وقد ضربنا هذا المثال؛ لأنّه متداول في كلام العاديّ، وفي حياتنا اليوميّة؛ لكن دونما أن نستقرئ سببه.

الخاتمة: تضمّن هذا المقالُ التّداخل المصطلحيّ بين الدّرس البلاغيّ والتّحليل التّداوليّ؛ فهو موضوع تبحّرت فيه التّقاطعات بين هذين العلمين، علم خاصّ بالدّرس البلاغيّ وعلم خاصّ بالتّحليل التّداوليّ، فكلا العلمين انطلق من الحلقة التّخاطبية بين طرفي التّخاطب المتكلّم والسّامع، ومن خلال هذه الجولة والصولة استطعنا– ولو قليلا– للتّوصّل للنّتائج الّتي قد تتناسب وبضاعتنا المزجاة:

– اهتمّ كلّ من الدّرس البلاغيّ، والتّحليل التّداوليّ بالمتكلّم والسّامع؛ كونهما عنصري حلقة التّخاطب؛

– يتقاطع الدّرس البلاغيّ والتّحليل التّداوليّ في المفاهيم الّتي يدلّ عليها المصطلح مثل: الغرض والنيّة في الدّرس البلاغيّ والمقصديّة في التّحليل التّداوليّ؛

– يسعى الدّرس البلاغيّ لمراعاة ذهنية السّامع، كما أنّ التّحليل التّداوليّ يسعى لمراعاة ذهنية المتلقّي أثناء عمليّة التّخاطب؛

– يركّز الدّرس البلاغيّ على إفهام السّامع من خلال قولهم: إفهامك السّامع كما أنّ التحليل التّداوليّ يركّز على المتلّقي أثناء حلقة التّخاطب من خلال الأفعال الكلاميّة.

الهوامش

1 – السّيد أحمد الهاشميّ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت، دار الفكر، 1976 ط2، ص 6، 7.

2 – القزويني، الإيضاح في علوم البلاغـــة، بيـــروت. دار الكتاب اللبناني: 1983، ط8، ج1 ص 80.

3 – مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، القاهرة. دار الفكر: د/ت ، د/ط، ص15.

4 – نفسه، ص 17.

5 – نفسه، ص 18.

6 – ابن منظور، لسان العرب، ط3. بيروت، 1994: دار صادر، م11، ص 252– 253.

7 – المرجع نفسه، ص 12.

8 – طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التّراث، ص 244.

9 – السّيد أحمد الهاشميّ، جواهر البلاغة، ص 46.

10 – نفسه، ص 42.

11 – السّكاكيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 84.

12 – مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداوليّة للأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي، ط1. بيروت :2005، دار الطليعة، ص 26.

13– فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، دار البيضاء: 2000، ص 266.

14 – منصور العجالي، أفعال الكلام كيف تنجز الأشياء بالكلمات.

15– Grunig, B, pieges et illusios de "La pragmalinguistique" Mo déles de communication.1.2

16 – الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص183.

17 – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط1. بيروت: 2008 الدار العربية للعلوم، ص 96.

18 – الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 188.

19 – جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي،ط1. لبنان،2006: منشورات الاختلاف الجزائر، ص 128.

20 – صلاح اسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، ص 272.

21 – عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، استراتيجيّات الخطاب، ص183.

22 – ابن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ج2، ص 219.

23 – نفسه، ج2، ص 219.

24 – الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد السّلام محمد هارون، مصر: 1960، مكتبة الخانجي ص139.

25 – السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص 256.

26 - أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ط2. مصر: 1988، عالم الكتب، ص 68–69.

27 – برند شبلنر، تر: محمود جاب الله، علم اللغة والدّراسات الأدبيّة، ط1. مصر: 1991، الدّار الفنيّة للنّشر والتّوزيع، ص 88.

28 - جون براون، جون يول، تحليل الخطاب، تر: مصطفى لطفي الزّليطني ومنير التريكي الرّياض: 1997، جامعة الملك سعود، ص 57.

29 – بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيّد، مصر: 1991، دار المعرفة الجامعيّة، ص 77.

30 - جون براون، جون يول، تحليل الخطاب، ص 32.

31 – نفسه، ص 47.

32 – محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، ص 52.

33 – الامرأة الصّالحة، الاستلزام الحواريّ في التّعبيرات المتضمّنة على الآيات القرآنيّة دراسة تحليليّة وصفيّة تداوليّة، بحث جامعي 2009، رقم القيد، 153100110، ص 32.

34 – مقبول إدريس، البعد التّداولي عند سيبويه، العدد1، م33، سبتمبر، مجلة عالم الفكر، 2001 ص 261.

35 - نفسه، ص 33– 34–35.

36 – ابن القيّم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد عمران، م1، جدة، دار عالم الفوائد ص 138.

37 – نفسه، م1، ص 137.

38 – ابن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ج2، ص 226.

تعريب المصطلح العلمي بين الحاجة والإشكال

أ. خالدي حفيظة

جامعة مولود معمري، تيزي–وزو

مقدمة: لقد حتم حدوث النهضة الشاملة في مختلف المرافق العلمية والاقتصادية والاجتماعية، وشيوع المدنية وخروج الإنسانية من طور السذاجة، مصادفة اللغة لأشياء كثيرة تتطلب تسميات، وتواجه أفكارا عدة يعوزها التعبير، وفي مقابل ذلك وجد العرب أنفسهم متخلفين كثيرا عن سلم الحضارة، ورأوا أن لغتهم تفتقر افتقارا بينا إلى معظم المصطلحات العلمية التي أوجدتها العلوم الحديثة، الأمر الذي ألزم عليهم ضرورة إيجاد مقابل لهذه المصطلحات، فأخذت مجامع اللغة العربية على عاتقها مهمة ذلك، وكان مجمع اللغة العربية في القاهرة أشد المجامع نشاطا في هذا المجال.

غير أن هذا الوضع أثار مشكلة في اللغة عويصة حول المدلولات الجديدة الوافدة في المعاني والأشياء والأدوات، فدارت المساجلات بين الباحثين والكتاب ممن يتزمتون – إن صح التعبير– ومن يترخصون؛ منهم من يقول بالتعريب ويعول عليه، باعتباره حاجة يقتطع تأشيرته من وجود الدخيل في اللغة العربية الذي يتسرب إليها رغم أنفها، إذا ما رغبت في مواكبة تطورات العصر، بالإضافة إلى حجج أخرى يراهن بها هذا الفريق على أحقية رأيه، ومنهم من يأبى إلا أن يتخذ من الفصحى مواضعات تقابل الدخيل، إذ كان هذا الدخيل يفسد اللغة العربية ويفقدها مكانتها بين اللغات، ذلك أن لها نظاما معينا، فتجري الكلمة على نظام صوتي وصرفي وتركيبي خاص –خاصة وأنها لغة مكرمة كونها لغة القرآن الكريم–، هذا بالإضافة كذلك إلى حجج أخرى يستدل بها هذا الفريق على رأيه. وبينهم من يقف من الخلاف موقفا وسطا، فيطالب بالمحاولة ويجيز التعريب إذا

ألحت الضرورة وانقطع الجهد. ولعل هذا ما حاولت هذه الدراسة المقتضبة جاهدة جهد المقل الوقوف عنده بشيء من التحليل، من خلال تتبع فحوى كل رأي، مع عرض لحجج كل فريق، لنتعرف في الأخير على واقع التعريب في الوطن العربي ومزالقه.

تعريف التعريب: من التعاريف الشائعة للتعريب أنه:" ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها"[1]. وأشار السيد في حواشيه بأنه: "لفظ وضعه غير العرب لمعنى ثم استعملته العرب بناء على ذلك الوضع"[2].

وجاء في الطراز المذهب للنهالي قوله: "التعريب من باب التفعيل ومن معانيه التكلف، لأن العرب تكلفوا إدخال اللفظ الأعجمي في لغتهم، وتصرفوا فيه بالتغيير من منهاجه، والتغيير فيه أكثر من عدمه، وأجروه على وجه الإعراب وتفوهوا به على منهجهم"[3].

يتضح من التحديدات الثلاثة أن مصطلح التعريب يدل على عملية نقل اللفظ الأجنبي من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية عن طريق التفوه بهذا اللفظ حسب طريقة أو منهاج العرب في كلامهم، وذلك بالتصرف فيه بالتغيير أو عدمه، كما أجروه على وجه الإعراب، ويسمى اللفظ المنقول من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية مُعرَباً أو مُعَرَّباً. ولعل ورود مصطلح النقل في تعريف آلية التعريب يجعله يتداخل أو يتقاطع مع آلية الترجمة؛ إذ كانت لها أهمية هي الأخرى لا تقل عن أهمية التعريب في وضع المصطلح العلمي، فما حقيقة العلاقة بينهما؟

بين مصطلحي الترجمة والتعريب: تشير الدراسات إلى أن مصطلح الترجمة يعني في ابسط ما يعنيه، نقل اللفظ أو المعنى من لغة إلى أخرى مع وضوح الترجمة ودقتها والأمانة العلمية في نقل الأفكار والمعاني، أما التعريب فهو – كما أشرنا– محاولة إلباس الكلمة الأجنبية بلباس عربي عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية، فهو عملية ثراء لغوي، يساهم في تجديد اللغة، ويحتاج لجهود أصيلة

من اللغوي للتنقيب في اللغة، حتى لا نقبل الحديث بلغة أخرى في صميم لغتنا الأم من هنا كان التعريب على مستويات بحيث:

1- التعريب على المستوى الصوتي: وهو "نقل اللفظ إلى اللغة العربية عن الكلمة الأجنبية كما يدل عليها الصوت المسموع عند تلفظها، وتكتب لينطق بها بالحروف العربية، ولا يخفى ما يناله اللفظ حينئذ من التحريف عند قراءة الكلمة قراءة عن الحروف العربية، لاختلاف هذه الحروف أساسا، ولخروجها من مخارج غير مخارج الحروف الأجنبية"[4]. مثال ذلك مصطلح: **ميتالوغرافيا**، وهو معرب المصطلح الفرنسي **métalographie**، فقد تم إبدال الصامت (g) بالصامت (غ).

2- المستوى الصرفي: ويتمثل في مختلف الاشتقاقات التي تلحق اللفظ، مثل: اشتقاق النسبة من المصطلح الأجنبي **phosphoreux** (فوسفوري).

3- المستوى التركيبي: يتمثل في إلحاق اللفظ الدخيل بالعلامات النحوية مثل: التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية، والجمع، فنقول مثلا: الفوسفور، الالكترونات... إلى آخره من التغيرات التي تمس المصطلح الدخيل، وغير الموجود في الثقافة العربية.

أما الترجمة فهي نقل نتاج لغوي من لغة إلى أخرى، لتكون آلية يتقنها المترجم العارف باللغتين فمثلا: كلمة **فكرة** يترجمها بـــ **idea**؛ فهذه عملية ترجمة لأن كلمة (فكرة) موجودة في اللغتين ولم تحتج إلى تعريب. كما حاول الباحثون تتبع الفرق بين الآليتين، وهنا لا يفوتنا ذكر رأي (سمر روحي الفيصل) مع طوله يقول: "أن التعريب هو الهدف وإن الترجمة وسيلة من وسائله، وقد ميز الباحثون تمييزا واضحا بين ترجمة النصوص وتعريبها، فالتزموا الأمانة العلمية والدقة والوضوح ومراعاة بناء الجملة العربية في الترجمة، وفهموا النصوص وتمثلوها ثم عبروا عنها بأسلوب عربي في التعريب، وكانت طريقة التعريب أكثر قربا من أفهام القراء العرب، لكنها عسيرة شاقة يصعب المعنى فيها، ومن ثم كان تفضيل للترجمة، وسعى إلى التدقيق فيها لكي تلائم القارئ العربي"[5].

انطلاقا مما قيل يتضح الفارق بين الآليتين رغم التقارب بينهما؛ فتبقى الترجمة علما قائما بذاته له قواعده وأصوله وشروطه التي يجب أن تتوفر في المترجم وهي متصلة أكثر بالنصوص، على خلاف التعريب، الذي يتصل أكثر باللفظ ولعل ما يعمق الفارق أكثر عند حديثنا عن تعريب العلوم والدراسة في الجامعات فنقول تعريب العلم ولا نقول ترجمة العلم، بالرغم من أننا نترجم أولا لنصل إلى التعريب، فيكون بذلك التعريب هدفا، والترجمة وسيلة للوصول إلى الهدف.

التعريب بين الرفض والقبول: بانتشار النهضة العلمية في مختلف المجالات وغزو المصطلحات الأجنبية، التي تعتبر–كما يرى أهل العلم بها– مفاتيح المعرفة العلمية وآليات لإقامة أبنيتها، ومداخل إلى عوالمها، وخلاصات للبحث فيها والنظر لها، حدث مشكلة في اللغة كبيرة حول مدلولات الأشياء والمعاني، وهنا تباينت الآراء بين رافض للتعريب وبين مؤيد، ولكل براهينه وحججه، نتعرض لكلٍ على حدة:

1– التعريب حاجة حضارية وظاهرة من ظواهر التقاء اللغات: يعتبر التعريب وفق هذا الرأي ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات وتأثير بعضها في بعض، وهو ضرورة أوجدتها احتكاك اللغة العربية بغيرها من اللغات، بغرض تطورها؛ ذلك أن "تطور اللغة المستمر، في معزل عن كل تأثير خارجي، يعد أمرا مثالبا، لا يكاد يتحقق في أية لغة، بل على العكس من ذلك، فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا هاما في التطور اللغوي، ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، واحتكاك اللغات يؤدي حتما إلى تداخلها"[6].

من هنا يؤدي احتكاك اللغات إلى تداخلها، ويستلزم التداخل وجود الدخيل، إذ هو صورة لظاهرة عامة "فهي جميعا تستورد الدخيل بحسب حاجتها، ويتسرب إليها رغم أنفها، إذ لا يكاد يعقل أن تتم عملية تبادل حضاري غير مشفوعة بتبادل لغوي في الوقت ذاته"[7]. من هنا لا مناص من مواكبة العصر، والإقرار في الوقت نفسه بان اللغة العربية لا تفي بالحاجات المعاصرة، سيما أمام مصطلحات العلوم

التي تفد يوما بعد يوم، وهذا راجع –كما يشير الباحثين– إلى أن العربية تنقصها الزوائد **les affixes** بما فيها الصدور **les préfixes** والأواسط **les infixes** والكواسع **les suffixes**، وأن مشكلتها هو افتقارها لهذه الزوائد مع عدم قابليتها لها، على عكس لغات الدول المتقدمة التي تملك هذه الخاصية، والتي ما كانت لتتطور وتساير التقدم العلمي والحضاري لولا اتخاذها لتلك الزوائد. وهنا تم الركون إلى التعريب، باعتباره يعمل على الإسراع في نقل العلوم، ليغدو بذلك (التعريب) وسيلة من وسائل صياغة الفكر والتفكير العربيين وفق منظور حضاري موحد.

وقد لا يجانب هذا الاتجاه الصواب إذا ما استقصينا بعض الحجج التي بإمكانه أن يعضد بها رأيه، ولعل أبينها خوض العلماء العرب ودأبهم على العمل به (التعريب)؛ بحيث وجدت ألفاظ استعاروها من لغات الأمم المجاورة لهم، وذلك بعد أن ينفخوا فيها من روح العربية، فيصوغون المعرب في صيغة تتفق مع الأوزان الصرفية العربية المعروفة حتى يتلاءم مع الذوق العربي، يقول الجواليقي في كتابه المعرب: "اعلم أنهم كثيرا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضا، والإبدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس في حروفهم (...) وهذا التغيير يكون بإبدال الأحرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف أو إبدال حركة، أو إسكان متحرك، او تحريك ساكن، وربما تركوا الحرف على حاله ولم يغيروه، فقالوا: **سراويل واسماعيل**، وأصلها **شراويل واشماويل**، وذلك لقرب السين من الشين في الهمس"[8]. وهذا التغيير يتخذونه بعد أن يتأكدوا من أعجمية اللفظة؛ بحيث وضع العلماء علامات يعرف بها المعرب أخذوها من مقارنة نسيج الألفاظ العربية بنسيج هذه الألفاظ المعربة[9] (فلا تجد كلمة عربية أولها نون ثم راء مثل (نرجس)، ولا آخرها زاي بعد دال مثل(مهندز)، أو كلمة يجتمع فيها الصاد والجيم نحو(الجص)، ولا تجد كلمة رباعية أو خماسية عارية من حرف

أو أكثر من حروف الذلاقة (ب، ر، ف، ل، م، ن) إذ لابد أن يحتوي على حرف ذلقي مثل (سفرجل) ... إلى آخره من الشروط التي تنبئ بأعجمية الكلمة.

ولقد بلغ التعريب أوجه في عصر الدولة العباسية أو المأمونية؛ حيث عربت ألفاظ الطب والطبيعة والكيمياء والفلك والرياضيات والفلسفة، وهنا عقدت المجامع وأنشئت دور الحكمة، فصار يؤمها كبار العلماء لأجل النظر فيما ينقله أولئك المترجمون من الكلمات الأعجمية ونقدها وتدوينها، وبذلك انتظم أمر تلك العلوم واتخذت طريقتها بين أربابها والمشتغلين فيها. هذا ولعل الحجة تكون أدمغ إذا تعلق الأمر بكلام رب العالمين خالق اللغات والمتكلمين بها؛ إذ لم يخل من وجود كلمات أثبتت من طرف العلماء أنها معربة ولا تمت للعربية بصلة، – بالرغم من الجدل الذي دار حولها– يدل على ذلك ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال:" في القرآن من كل لسان"[10]. وقد تتبع كثير من العلماء الألفاظ المعربة في القرآن الكريم، مع تبيان أصلها من مثل:

ابريق: تعريب الكلمة الفارسية **(آبريز)** بمعنى: جرة، دلو ونحوهما.

استبرق: تعريب الكلمة الفارسية **(استبره)** بمعنى: غليظ الديباج.

سجيل: كلمة فارسية مركبة من **(سنك) و(كل)** بمعنى: حجر وطين.

سرادق: فارسية معربة من **(سرادار)** بمعنى: الدهليز.

الصراط: لاتينية من **strate** بمعنى: الطريق.

برزخ: كلمة أعجمية من **(برزك)** بمعنى النحيب والبكاء.

جوف: معرب من **(بوك)** بمعنى المقعر المجوف.

الدمار: فارسية من **(دمار)**، **(دم)** بقية الحياة والنفس، و**(آر)** بمعنى المسبب.

هذا العرض الموجز للعرب في خوضهم مجال التعريب دليل على مشروعيته فلا جرم أن نسير على طريقتهم في تعريب ما نحتاج إليه من ألفاظ اللغات المعاصرة. ويساند هذا المنحى الباحث الدكتور**(رمضان عبد التواب)**، إذ يقول بضرورة التعريب، نافيا إفساد اللغة العربية بالدخيل، ومؤكدا أن حياتها في هضم

هذا الدخيل، لأن مقدرة لغة ما على تمثل الكلام الأجنبي تعد مزية وخصيصة لها إذ هي صاغته على أوزانها، وصبته في قوالبها، ونفخت فيه من روحها، وتركت عليه بصماتها، يقول في ذلك: "التعريب إذن ضروري لحياة العلم، ومتى كانت القيود الموضوعة له (...) فلا خوف منه على كيان اللغة العربية، فإنما اللغة قائمة بحروف معانيها، وأفعالها، وصرفها، ونحوها، وبيانها وشعرها، وخصائصها التي تمتاز بها، لا ببضع مفردات غريبة عنها، قد التجأت إليها فكسيت بكسائها، وطليت بطلائها حتى أصبحت منها وعليها"[11]. فالمتتبع لقول (رمضان عبد التواب) يلمح فيه انتصارا للتعريب ودفاعا عنه، كما يظهر أنه يرد على من قالوا بأن التعريب يفسد اللغة العربية ويقوض كيانها، الذي عرفت به بين اللغات، مثبتا بذلك الشرط الذي قال به العلماء العرب، وهو التغيير – المشار إليه أعلاه– الذي يمس اللفظ الأجنبي حتى يتفق مع الأوزان الصرفية العربية المعروفة، فيلائم بذلك الذوق العربي، ولا تمجه الأسماع. كما بين أن اللغة العربية تحافظ على مكانتها بين اللغات بما عرفت به ولا تزال بعلومها المختلفة؛ نحوها وصرفها، وشعرها وبيانها ونضيف نحن إلى ذلك، فنقول بتكريمها من بين لغات العالمين، كونها لغة القرآن الكريم، الذي عجز عن الإتيان بمثله حتى من نزل بلغتهم (العرب) وأساليبهم. أما مدى استيعابها للدخيل، فهي مزية تحسب لها لا عليها.

وإذا ما استمررنا في استقصاء الآراء المؤيدة للتعريب، بالإضافة إلى ما قال به الدكتور (رمضان عبد التواب)، نجد أن من ينكر ضرورة التعريب، ويريد للغة العربية أن تحتفظ بخصائصها الذاتية بين اللغات، ولا تدخل إلى بنيتها مصطلحات الحضارة، لأن ذلك يشوه مظهرها...، هو في الحقيقة يريد موت اللغة العربية، وأن تفكيره تفكير سقيم، ذلك أن "العربية ليست بدعا من اللغات الإنسانية، فهي جميعا تتبادل التأثر والتأثير، وهي جميعا تُقرض غيرها وتقترض منه، متى تجاورت أو اتصل بعضها ببعض على أي وجه، وبأي سبب، ولأي غاية، ومن يرم العربية مقصورة على الإعراب، محبوسة عن التعريب، ويزعم أنها بصيغها وأنواع

اشتقاقها وحدها، أعربت عن خصائصها الذاتية، وأنها إن أدخلت على نفسها بالتعريب مصطلحات الحضارة، شوهت محاسنها، وفقدت خصائصها، وأنكرت نفسها بنفسها، فليس يريد لهذه العربية إلا الموت، وليس يعيش بعربيته إلا في بروج من العاج بناها له خيال سقيم"[12].

الملاحظ إثبات الناموس الطبيعي، المتمثل في اقتباس اللغات من بعضها البعض، ما دامت الأمة تخالط غيرها من الأمم، فإن لغتها لا تبقى في معزل من طروء الدخيل عليها مهما تجافت وتحفظت، ومن ثم ليس ببدع أن يحصل ذلك للغة العربية في جميع أدوارها التاريخية قبل الإسلام وبعده، وهو رد في الوقت نفسه على من جعلوا العربية مقصورة على الإعراب دون التعريب، بدليل قوله (من يرم)، باعتباره سببا لتشويه محاسنها وفقد خصائصها...، متهما إياهم بالتفكير السقيم، غير السوي، ما داموا يريدون موت العربية، لا إثراءها ومواكبتها التطور والتحاقها بالركب الحضاري، الأمر الذي ينبئ بضرورة التعريب ودوره في ارتقاء اللغة العربية في سلم الحضارة.

ويمضي (ايميل بديع يعقوب) في الانتصار للتعريب، وإثبات ضرورته يقول: "ومهما حاول بعضهم استثمار الذخيرة الغوية القديمة، فإنهم لن يستطيعوا أن يجدوا مقابلا لجميع المصطلحات المستحدثة، لذلك لابد من الاقتباس (يعني التعريب) وبخاصة في أسماء الأعيان، وأعلام الجنس كالأوكسجين، والهيدروجين، والأنزيم والإلكترون، وما يدل على تصنيف عام من أجناس وأنواع من النبات والحيوان، أو سلسلة مواد متشابهة في الكيمياء"[13]. فإذن القول باستحالة إيجاد مقابلات لكل ما يستحدث من ألفاظ، يخدم أو يزيد من إثبات قدم التعريب أكثر، ويتم الإلحاح على ضرورته والتسليم بالخوض فيه، سيما إذا تعلق الأمر بالمصطلحات العلمية والتقنية المذكورة، وهذا لا يعني أن (ايميل بديع يعقوب) يترك الأمر للإطلاق، إنما يقيد ذلك بشروط وقواعد، يضمن من خلالها المحافظة على بنية اللغة يقول: "...التعريب لا مفر منه، مهما اعتمدنا الطرق الأخرى في وضع المصطلح العربي

العلمي، ولكن لا بد من مراعاة قواعد فيه، منها الاحتفاظ بالأصل ما أمكن، والأخذ بأقرب نطق إلى العربية دون تحيز إلى أصل فرنسي، أو انجليزي، وتوحيد هذا النطق قدر الإمكان مع صياغته على احد الأوزان العربية كلما تيسر لنا ذلك، ثم إتباع المصطلح المعرب بكتابته بأحرف لاتينية"[14]. من هنا يشير الدكتور إلى مسائل مهمة في التعريب –بالإضافة على ما قلنا به قبلا– وهو مراعاة الأقرب إلى نطق العربية، مع إلغاء مسالة التحيز التي لا تنفعنا في شيء، وهو ما يعرف أيضا بالثقافة القبلية، فالذين تلقوا علومهم بالإنجليزية التفتوا إلى هذه اللغة في وضع مصطلحاتهم، والذين تلقوا علومهم بالفرنسية لجؤوا إلى الفرنسية في أثناء وضعهم مصطلحات علومهم، ثم الإشارة إلى مسألة هي من الأهمية بمكان، تتمثل في قضية توحيد المصطلح المعرب بين المعربين، وهي مشكلة يعاني منها المصطلح بصفة عامة، ثم بعد ذلك إرداف المصطلح المعرب بأحرف لا تينية، ولعل الغرض من وراء ذلك تذكير مستخدم اللغة بأجنبية اللفظ المعرب عن اللغة العربية، كما يكون الهدف التعريف بمهد المصطلح واصله.

والرأي نفسه نجده عند الدكتور (محمد أسعد النادري)، الذي يرى بالتعريب ويدعو إليه يقول:" ما نراه إذا أن قدرا من المرونة تتعامل به مجامعنا اللغوية في استيعاب الدخيل وتعريبه والسيطرة عليه، وفق الأساليب اللغوية العربية، لا يضير لغتنا في شيء، بل يسهم في نموها وتفاعلها مع اللغات والثقافات الأجنبية واستجابتها لدواعي الحياة العصرية وسنن التطور، وهذا القدر من المرونة الذي ندعوا إليه هو في جميع الأحوال خير من ترك هذا الدخيل يجتاح اللغة من خلال العامة، دون تعريب ولا حسيب ولا رقيب، ولا ضوابط تحكمه"[15].

إذا ما دققنا النظر في قول (النادري)، يتضح أنه يعطي رأيه في مشروعية التعريب، ويردفه ببرهان أو حجة على ذلك؛ إذ بين في البدء أن الدخيل يسهم في نمو اللغة العربية، وتفاعلها مع اللغات والثقافات الأجنبية، ولا عجب في ذلك إذا أرادت هذه اللغة مواكبة التطور، والاستجابة لدواعي الحياة العصرية وسنن

التطور، ثم أن من أهمية التعريب ضبط هذا الدخيل بما يتوافق ونظام اللغة العربية، وعدم تركه يدخل اللغة العربية، فتتناقله العامة، دون ضوابط تحكمه، وهنا تكون المشكلة الحقيقية، والتي لا تكون لصالح اللغة العربية، فكأن (النادري) برأيه هذا يدعو إلى الرضا بالحمى إذا ما أحسسنا الموت، ويصدق عليه المثل العربي: (مرغم أخاك لا بطل)؛ ذلك أن تعريب المصطلحات وفق النظام الصوتي والصرفي والنحوي للغة العربية، أفضل من الوقوع في مشاكل أخرى لا تحمد عقباها، هذا بالإضافة إلى مزايا أخرى تحصل للغة نتيجة أخذها بالتعريب.

بمناسبة حديث (النادري) عن المرونة التي تتعامل بها المجامع اللغوية في استيعاب الدخيل وتعريبه والسيطرة عليه، نحاول الاقتصار على جهود **(مكتب تنسيق التعريب بالرباط)**، باعتباره الهيئة التي ينتهي إليها ما تنجزه المجامع اللغوية العربية في دمشق، والقاهرة، وبغداد، والمؤسسات العلمية والجامعية الأخرى في الوطن العربي، بالإضافة إلى أنه الجهة التي يقع على عاتقها العبء الأكبر لتجميع المصطلحات العربية، وإحصائها وتصنيفها وإعدادها للمراجعة والمناقشة ونشرها كما يسعى إلى تثبيت المصطلحات العلمية والتقنية العربية الموحدة مع مقابلاتها الإنجليزية والفرنسية.

لقد جاءت فكرة إنشاء مكتب تنسيق التعريب، بهدف خلق جهاز عربي متخصص، يعنى بتنسيق جهود الدول العربية في مجال تعريب المصطلحات الحديثة، ومتابعة حركة التعريب في جميع التخصصات العلمية والتقنية، كما يتفرد باختصاصات مهمة، ذكرت خاصة في نظامه الأساس الذي صدر سنة 1973 والذي حدد أهداف المكتب فيما يلي:[16]

1- تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس في جميع مراحل التعليم وأنواعه ومواده، وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة.

2- تتبع حركة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية في الوطن العربي وخارجه، بجمع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ونشرها أو التعريف بها.

3- تنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح العلمي والحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة.

4- الإعداد للمؤتمرات الدولية للتعريب.

من هنا كان لزاما علينا التنويه بالمجهودات الجبارة التي تبذلها مختلف المجامع دون تمييز، بالرغم من أن مشاكل المصطلح مازالت قائمة، ومع ذلك لا بديل عن مجهودات أهل الاختصاص، إذ كان ذلك يضمن لها (المصطلحات) التداول والتكرار، ومن ثم البقاء والاستمرار" والمأمول والمعقول من علمائنا الأجلاء هو التفكير الجدي في تدارك ما فات، من نقل المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية وهذا هو الأمر الطبيعي، الذي يترتب على الاتصال الاجتماعي والثقافي والعلمي بين البشر، ولا حياة حقيقية للمصطلحات إلا بالتداول والتكرار في الاستعمال في مؤلفات أهل الاختصاص، حتى تترسخ في الأذهان، أما استمرار الإهمال وترك الحبل على الغارب، وإلى جهد غير أهل الاختصاص، فلن يحقق المطلوب منه لغياب الركن الأهم الذي يمنح المصطلحات الجديدة شرعية البقاء والاستمرار"[17]. من هنا نتجاوز تعريب المصطلح ونتطلع إلى استعماله وشيوعه بين الباحثين وعدم الاكتفاء ببقائه (المصطلح) في رفوف المكتبات.

2- التعريب مظهر من مظاهر الاستعمار والغزو الثقافي: ناهض هذا الاتجاه الرأي السالف الذكر؛ فرفض التعريب، ورأى أن اللغة العربية قادرة على الوفاء باحتياجاتنا المعاصرة، ولا يعوز اللغة العربية في العصر الحاضر إلا أن تحصي ألفاظا من مفرداتها للدلالة على مستحدثات العلوم والفنون، ولن يرهقنا هذا من أمرنا عسرا، لأن في بطون معجمات هذه اللغة مئات الألوف من الكلمات المهجورة والمستعملة، مما يصلح أن يوضع لهذه المسميات الحديثة، واللجوء أيضا إلى الآليات القديمة التي استخدمها الأوائل في وضع المصطلحات مثل القياس

والاشتقاق والاقتباس، والتضمين، والنحت... إلى غيرها من الوسائل، التي تنبئ بقدرة اللغة العربية ومرونتها ومدى قابليتها على استيعاب التغيير والمصطلحات الحديثة، ولعل ما يشهد على ذلك تاريخها الحافل؛ إذ تربعت حينا من الدهر على قمة الهرم العالمي؛ فاستطاعت بعد الفتوح الإسلامية أن تتحول من لغة بدوية إلى لغة علمية، فقد ازدهرت في العصر العباسي ازدهارا عظيما، واستوعبت شتى مظاهر التغيير التي طرأت على الحضارة العربية، ومن ثم بلغت – في هذا العصر– بالعلم إلى عصر ذهبي، يضاهي عصر المجد للغة اليونانية، ويعود الفضل في ذلك إلى مرونتها الهائلة، إذ تتميز بكونها لغة اشتقاقية، وهي سمة لا تكاد تتميز بها –حسب رأي الدارسين– لغة أخرى، فهي تتوفر على أوزان لفظية تعوض نقص وعدم احتوائها (العربية) على الزوائد، لتكون مهمتها (الأوزان اللفظية) إنتاج ما يحتاج إليه من ألفاظ "... وهذه الأوزان هي أشبه ما يكون بقوالب المصانع التي تصب فيها مادة الإنتاج، فتصوغ لك منتجات على أشكالها وحجومها فقوالب الأوزان تصب فيها المادة اللفظية فتعطيك ما أنت راغب فيه من ألفاظ سائغة، جزلة، دقيقة المعنى، وأنت لا تحتاج معها إلى مصنع ولا إلى آلة ولا إلى مجمع لغوي، يكفي أن تكون لديك مادة تتكون من ثلاثة أحرف لتحصل على اللفظ الذي ترغب فيه، وهي ميسورة الاستعمال وفي متناول كل عربي"[18]. مثال ذلك المصطلح الأجنبي (**téléphone**)، الذي عبارة عن جهاز اخترع في العصر الحديث، ولا يوجد ما يقابله في لغتنا وثقافتنا العربية، فإذا ما حاول اللغوي إيجاد ما يقابله يعمد إلى التنقيب في الثقافة العربية، مركزا على الجذر الذي يدل على ما من شأنه الوصول إلى حقيقة الهاتف، أو وظيفته، أو شكله، فيبحث مثلا في الجذر (**هتف**) الذي يدل على الصوت أو التواصل بين طرفين، ويشتق من (**هتف**) (**هاتف**) (**اسم الفاعل**) ليقابل اسم المخترع الأجنبي. وأيضا مصطلح (**automobile**) ويقابله باللغة العربية (**سيارة**) بمعنى (**الكثيرة السير**) بوصفها صيغة مبالغة على وزن (فعَّال)، كما يمكن أن يكون لفظ (السيارة) على سبيل

المجاز ذلك أن كلمة (سيارة) تعني في المعاجم العربية (القافلة)، والسيارة: القوم يسيرون، أنثت على معنى الرفقة والجماعة، وورد هذا المعنى في القرآن في قوله تعالى:﴿ قال قَائِل مِنهُم لا تَقتُلوا يُوسُفَ وأَلقُوهُ في غَيابتِ الجُبِّ يَلتَقِطهُ بَعضُ السَّيارَةِ إن كُنتُم فاعِلِين﴾ يوسف 10. إلى غيرها من الأمثلة التي تدل على قدرة اللغة العربية في استيعاب ما يفد يوما بعد يوم من مصطلحات حديثة. ولعل هذا ما أشار إليه **حافظ إبراهيم** حينما قال على لسان العربية:

وسِعتُ كِتــابَ اللهِ لَفظًـــا وغايَةً وما ضِقتُ عَن آي بهِ وَعِظاتِ

فَكَيفَ أَضِيقُ اليَومَ ع َن وَصفِ آلَةٍ وَتَنسِيـــق أسماءٍ لِمُختَرَعاتِ

من هنا يكون من أكبر أخطار الاستعمار التشكيك في قدرة اللغة العربية على استيعاب التغيير والمصطلحات الحديثة؛ إذ لا تكمن المشكلة في بنية اللغة ذاتها إنما في أبنائها وانبهارهم بالزخم الحضاري واستسلامهم للغات الأجنبية، في مقابل عزل للعربية، فالأحرى أن يُتهم أبناؤها بالنقص والتقصير لا اللغة نفسها يقول (إلياس عطا الله): "إن محنة العربية لا تتمثل في حشود الألفاظ والمصطلحات الوافدة من عالم الحضارة المعاصرة إلى عالمها الذي يبدو متخلفا، ليس ذلك فحسب، بل إن محنتها الحقيقية هي في انهزام أبنائها نفسيا أمام الزحف اللغوي الداهم، واستسلامهم في مجال العلوم للغات الأجنبية بحتى تكونت في العالم العربي جبهة عنيدة تجاهر للإبقاء على العربية بمعزل عن مجال العلوم والتكنولوجيا، فما دامت صفوة المشتغلين بالعلوم تعرف الانجليزية أو الفرنسية مثلا، فلا باس أن نعزل العربية، بل ونقتلها في عقر دارها"[19].

بالإضافة إلى رأي (إلياس عطا الله)، يسلك الدكتور (شكري فيصل) عضو المجمع العلمي العربي بدمشق الرأي نفسه؛ في الدفاع عن اللغة العربية والرد على الذين اتهموها بالعجز يقول: "لقد انقضت الفترات التي كانت اللغة العربية فيها موضع اتهام (...) إن سلسلة التجارب التي مارستها بعض الجامعات العربية في سوريا والعراق، وفي مصر أحيانا، وفي بعض بيئات المغرب العربي نهضت دليلا

قاطعا على أن اللغة العربية ما كان لها أن تكون مقصرة على استيعاب المعرفة أولا، وعن المشاركة في ترقيتها بعد ذلك"[20]. الملاحظ أن (شكري فيصل) يقيم الحجة على من اتهموا العربية بالتقصير، من خلال ذكر أمثلة واقعية ناجحة تتعلق بقضية استعمال اللغة العربية في تدريس العلوم وتأليف الكتب العلمية في بعض الجامعات العربية، وهذا دليل على قدرة اللغة العربية لتكون لغة العلم الحديث. ومسألة **تعريب التعليم في الجامعات** ضرورة مهمة نظرا لما تعود به من النفع الكثير على الهوية الثقافية والحضارية للأمة العربية، لتكون اللغة العربية لغة التفكير والتدريس في الجامعات؛ إذ لا طالما كانت الجامعات، ولا تزال مركز المعرفة ومنهل العلم، ففيها يتخرج مختلف إطارات المجتمع: من مهندسين، وأطباء ومعلمين... وغيرهم من المتخصصين في ضروب المعرفة والعلم، والإطار إذا ما زاول تفكيره وقدم مشاريعه وأبحاثه بلغته القومية وأتقنها جيدا، فهذا يؤدي –لا محالة– إلى رقي لغة الجماهير، وذلك من حيث أنهم مولعون بتقليد هذه الطبقة العليا، من خلال استعمال أساليبهم وألفاظهم عن طريق قراءة مؤلفاتهم أو سماعهم والأمر نفسه ينطبق على الناشئة، في حالة ما إذا جبلوا على سماع لغة سليمة صقلها المفكرون وخريجو الجامعات، ولا يتأتى هذا إذا لم يكن التعليم الجامعي باللغة القومية. ولعل من نافلة القول الإشارة إلى النتائج المرضية التي حققتها الجامعة السورية حينما استعملت اللغة العربية في تدريس العلوم وتأليف الكتب العلمية، الأمر الذي أدى بمجمع اللغة العربية الأردني بعد إنشائه عام 1975 إلى الإسهام في مشروع تعريب التعليم الجامعي، إيمانا منه بأن الإبداع لا يتم إلا باللغة القومية.

هذا، وإذا كان العلم متوافرا وسائغا شرابه في الجامعات العربية، تكون النتيجة الطبيعية عدم حاجة الإطارات إلى زيارة بلدان أجنبية طلبا للعلم والإستزادة، ولا ضير في ذلك إذا كان في مجال التبادل الثقافي الحقيقي، الذي لا مناص منه بين الباحثين والعلماء في شتى الأقطار، والأمر يختلف فيما عدا ذلك؛ ذلك أن اعتماد

اللغات الأجنبية في تعليم المواد العلمية يزيد إلى صعوبة تعلم هذه المواد صعوبة تعلم لغاتها، ولعل من أهم أسباب ظاهرة الرسوب في امتحاناتنا، عدم إتقان طلابنا للغة المواد العلمية، فكثيرون ممن يتقنون المادة العلمية، لا يستطيعون التعبير عما يعرفون منها باللغة الأجنبية، إذ يبقى الباحث مهما أتقن اللغات الأجنبية، يطمح إلى المزيد لأنه –كما قيل– "ما أبدعت امة بلسان غيرها". وفي عدم زيارة الإطارات إلى البلدان الأجنبية حد لما يعرف بـــ "هجرة الأدمغة" التي تستفحل في المجتمع إذا ما كانت الشروط المحيطة بالمرء لا تخدم تفتح مواهبه، وتشل طموحه، وتحد من حرية تعبيره وتفكيره، وهذا كله ليس في معزل عن اللغة، ذلك أن التفكير لا ينفصل عن اللغة.

وإذا جئنا إلى المجال المهني، نجد أهمية التعريب واضحة، فمثلا التلقي باللغة الإنجليزية أو الفرنسية يخلق لدى الطبيب أو الصيدلي، أو المهندس عزلة عن المجتمع لغويا وعلميا، سيما إذا تعلق الأمر بالفئة غير المتعلمة، ففي هذه الحالة لا يستطيع الطبيب مثلا التواصل مع المريض باللغة الأجنبية، وهذا ما يجب على المجتمع أن يعيه، ويتيقن من أن التدريس باللغة الأجنبية يؤدي إلى قطيعة لغوية تؤدي بدورها إلى قطيعة فكرية. وقولنا هذا لا يعني نبذ اللغات الأجنبية، بل إن إتقان لغة أجنبية أو أكثر مطلب تربوي يجب تجسيده، غير أن التحدي الكبير يظل قائما إلى غاية استنبات العلم وتوطين التكنولوجيا عربيا.

بالإضافة إلى الآراء التي تحمل اللغة العربية مسؤولية التقصير والعجز على استيعاب ما يستجد من علوم، نجد من يرجع السبب إلى ضيق الوقت، والسرعة في دخول المصطلحات الأجنبية، الأمر الذي يبرئ اللغة العربية من العجز الذي رميت به، يقول الدكتور (علي القاسمي): "إن حالة الاستعجال التي فاجأت رواد النهضة الفكرية العربية وغمرتهم بسيل جارف من المفاهيم الحضارية العلمية والتقنية، لم تسمح لهم بالبحث في التراث العربي، مكتوبا أو منطوقا عن المصطلحات التي تعبر عن تلك المفاهيم، سواء أكانت موجودة أيام ازدهار الحضارة العربية ولها

مقابلات جاهزة، أم كانت جديدة"[21]. من هنا كان عامل الوقت الضيق مسؤولا عن اللجوء إلى التعريب، إذ لم يتسن للمسؤولين الوقت اللازم للعودة إلى التراث العربي والتنقيب فيه عن المقابلات التي تتلاءم والمصطلحات الجديدة الوافدة.

من هنا يمكننا القول أن ما اتهمت به العربية من عجز وتقصير كان من دسائس الاستعمار؛ إذ سدد سهامه أول أمره نحو اللغة العربية؛ باذلا جهودا مستميتة في مشرق الوطن العربي ومغربه لإضعاف العربية وتضييق مدى انتشارها، فحاول أن ينفر الناس من لغتهم، باتهامها بالجمود، والقصور، والعسر، وإضعاف أثرها الاجتماعي بجعل اللغة الأجنبية دليل التميز، ولغة العلم، غير أن ما يؤسف – والحال هذه– استجابة أبناء الأمة العربية لما يقال وما أصعب الأمر في هذه الحالة إذ كان منبع المرض من الداخل "أفلا يعيبنا أن تعترف المؤسسات الدولية مثل الأونسكو باللغة العربية، أي أن تعترف بقدرتها الكاملة على التعبير عن كل ما يتصل بالمعرفة، ثم لا تزال بعض الأقطار أو الأفكار تماري في هذا المبدأ، وتجادل فيه؟"[22]. ولعل الغرض من استهداف اللغة كونها من مقومات القومية، ومدعاة الانتماء إلى الأمة، وطابع الحضارة وسمة الثقافة، وهذا يعني أنها ليست نظاما صوتيا فحسب، وإنما أداة فكر وعقيدة، ذلك أن "الإنسان أسير فكره وعقيدته قبل أن يكون أسير بطنه"[23]. وإلا بما نفسر مقولة القائد الفرنسي لجيشه الزاحف نحو الجزائر: "علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم (يعني اللغة) الجزائر فإن حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة"[24].

يتخوف هذا الرأي –الرافض للتعريب– من مخاطر الغزو الثقافي الأجنبي الذي يمكن أن يتسرب من خلال التعريب، من خلال توظيف العنصر اللغوي الأجنبي في مختلف الشؤون، سيما الاقتصادية منها، ذلك أن الظاهر والوجه المغري لهذا التوظيف هو مساعدة الدول العربية على كسر المسافات للدخول في مضمار الحضارة الغربية ومضامينها التكنولوجية، غير أن هذا لا يمنعنا من الإقرار بالمخاطر التي تلي ذلك، ليس فقط على مكانة اللغة العربية، بل على الهوية الثقافية

بكل مكوناتها، لأن عصر العولمة الذي نعيشه اليوم يضغط بقوة على ثقافة الشعوب ومجتمعاتها الهشة ليجعلها بمرور الزمن عديمة الفائدة والمعنى، لأن المكونات الثقافية من عادات وتقاليد ولغة ونظم اجتماعية، إذا اصطرعت مع غيرها من الثقافات المؤثرة فإن النتيجة دائما تكون في صالح الأقوى على المدى البعيد. فالعولمة هذا النظام الغربي الحديث يمتلك زمام التقنية، يسعى نحو تحقيق أهداف كبرى في مقدمتها الإحاطة باقتصاد العالم ومقدراته وصولا إلى نسيجه الاجتماعي والثقافي من خلال إقامة نظام كوني بديل تذوب فيه الثقافات القومية المتنوعة لتحل مكانها حضارة كونية عالمية موحدة، وقبل السعي إلى عولمة الاقتصاد يتم السعي إلى عولمة اللغة، نظرا لأهميتها في إثبات الهوية الثقافية والخصوصية الحضارية، ولا يقتصر الأمر على اللغة العربية وحسب حتى اللغات الأوربية تسعى للدفاع عن لغاتها، وأدل على ذلك تجارب بعض الأمم فمثلا **كوريا** استعمرت من طرف اليابان ستين سنة (60) منع فيها تداول اللغة الكورية، وما إن استقلت كوريا حتى كان أول مرسوم في أول عدد من الجريدة الرسمية، هو منع التحدث باليابانية، أو **الصين** بحيث كان أول قرار صيني بعد نجاح (ماوتسي تونغ) في ثورة 1949 هو تعلم اللغة الخانية لغة بكين بدلا من اللغة الإنجليزية، أو حتى **اليابان** الذي ربط مصيره التقني والمعلوماتي بلغته الأم، واستطاع إثبات نفسه ... فما أحوجنا لمثل هذه القرارات! ألا تستحق اللغة العربية الدفاع عنها؟!

في خضم هذا التعارض والتباين في قبول التعريب من عدمه، كان هناك رأي وسط عمل على الاعتدال وسد الفجوة بين الرأيين السابقين؛ فنوه من جانب على دور اللغة فيما مضى، ولم يغفل من جانب آخر مدى قدرتها على إنتاج المعرفة مصطلحا وخطابا*، وهو الرأي الذي قال به مجمع اللغة العربية؛ إذ لا يرى مانعا من وضع المصطلحات بالاستعانة بكل الوسائل اللغوية المتاحة التي تتمتع بها العربية- باستثناء وسيلة النحت، التي لا يلجأ إليها إلا عند الضرورة باعتبار ان لا قاعدة له تحميه وتعمل على إشاعته، بالإضافة إلى ارتباطه بالذوق- كما أكد في

المقابل على بعض الاستثناءات، التي تبيح اللجوء إلى التعريب، وقد لخص الدكتور (عبد الواحد وافي) عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة موقفه يقول: "أما ما استخدمه المولدون في مختلف العصور، وما أدخله بعض الباحثين في العصر الحاضر، أو يرى إدخاله في اللغة العربية من كلمات أجنبية تتعلق بالمخترعات أو المصطلحات العلمية والفنية، فقد رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعماله "لأن في العربية غنية عنه، ولان في بطون معجماتها مئات الألوف من الكلمات المهجورة، الحسنة النغم والجرس، الكثيرة الاشتقاق، مما يصلح أن يوضع للمسميات الحديثة بدون حدوث اشتراك، لأن بعثها من مراقد الإهمال والنسيان يصيرها كأنها موضوعة وضعا جديدا"[25]. غير أن المجمع – يقول علي عبد الواحد وافي– احتاط للحالة التي قد تدعو فيها ضرورة قاهرة إلى استخدام لفظ أعجمي في الشؤون العلمية والفنية، ويتعذر إيجاد لفظ عربي يحل محله، فأجاز في هذه الحالة فقط استخدام اللفظ الأجنبي بعد صقله بالأساليب الصوتية العربية، وهذا نص قراره:" يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم"[26]. فالملاحظ في هذه الحالة عدم إنكار المجمع لقدرة اللغة العربية في استيعاب العلوم، كما لم ينكر وجود استثناءات لا يوجد في العربية مقابلا لها، هذه الاستثناءات أو الضرورة مقصورة على الشؤون العلمية والفنية.

بعض مشاكل التعريب في الوطن العربي: بالإضافة إلى ما تناولناه فيما يخص الإشكال الذي طرحته آلية التعريب، والتي أدت إلى التباين في الآراء واتخذت نتيجة لذلك طابعا جدليا؛ بين من يرفض التعريب وينتصر للمصطلح التراثي، وبين من يرحب به، فلا يرى خطورة في استعمال المصطلح الأجنبي الحديث بعد التغيير المحدث عليه، ليؤدي هذا الجدال في الأخير إلى ظهور رأي ثالث يأخذ بالوسطية والاعتدال، فيطالب بالمحاولة، ويشترط للتعريب الضرورة وانقطاع الجهد، ولعل هذا التباين والإشكال لا يعدو أن يكون واحدا من بين المشاكل التي يعاني منها التعريب في الوطن العربي، نذكر منها:

1- بطء وتريث المجامع اللغوية في أداء مهامها: وهذا ما يترك للألفاظ الدخيلة مجالا واسعا للانتشار على ألسنة الناس عامتهم وخاصتهم على السواء، ولا تتنبه للبحث عن اللفظ العربي المقابل إلا بعد فوات الأوان "وبذلك يولد هذا اللفظ ميتا لاشتهار اللفظ الأعجمي وشيوعه على الألسنة، وكم من الألفاظ وضعتها المجامع اللغوية لمستحدثات الحضارة، غير أنها لم تتجاوز أبواب هذه المجامع، فمثلا: المذياع للراديو، والخيالة للسنما، والمأوى للبنسيون (...) وغير ذلك من الألفاظ التي ولدت ميتة لهذا السبب"[27].

2- التباين في تعريب المصطلح بين الأقطار العربية: ولعل هذه المشكلة ناتجة بالدرجة الأولى عن انفصال الأقطار العربية وتباعدها، وعدم التنسيق بين بعضهم البعض في هذا المجال، يقول عبد القادر الريحاوي: "إن معضلة المصطلح ما زالت قائمة، إذ تتفاوت المصطلحات في مستواها وقابليتها للبقاء والشيوع، كما يختلف تعريب المصطلح الواحد باختلاف البلدان والمعاجم والأفراد، ولا يكاد يتفق معربان من بلد واحد على صياغة مصطلح واحد"[28]. وهو الأمر نفسه الذي ذهبت إليه بعض الباحثات تقول: "... ويبقي آخرون الكلمة كما ينطق بها، ولا يقبلون بها بديلا، حتى أصبح لبعض المصطلحات الأجنبية عدد من المصطلحات المعربة تختلف باختلاف الأقطار العربية، بل تختلف أحيانا باختلاف المعربين في القطر الواحد"[29].

3- عدم القدرة على استعمال المصطلحات المعربة وتداولها وترويجها في الوسط العربي، ذلك أن عملية التعريب لا تستوي إلا على جناحين اثنين هما:[30]

- تعريب المصطلحات وألفاظ الحضارة

- نشرها بين المتعلمين والعاملين، والذين هم بحاجة إليها تمهيدا لإدخالها اللغة العلمية، فلا قيمة لمصطلح علمي، أو لفظ حضاري يبقى حبيس رفوف مكتبات مجامع اللغة أو مؤسسات التعريب، فالمصطلحات شأنها شأن اللغة تحيا بالاستعمال والتداول وتموت بالهجر والإهمال. وهنا لا نغفل دور وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية في تحقيق التداول والانتشار الواسعين لهذه الاصطلاحات.

وهو الرأي الذي أيده الدكتور (رمضان عبد التواب)، إذ نوه بأهمية وسائل الإعلام في نشر المصطلح، مستدلا على ذلك بتجارب حية، ممثلة في ألمانيا يقول: "وفي رأيي أنه لو صاحب دخول المخترع الأجنبي إلى البلاد العربية وضع لفظ عربي له، وعناية وسائل الإعلام والصحافة بالدعاية له، لقضي على كثير من مظاهر هذه المشكلة من أساسها، وإنك لتعجب حين ترى الألمان يقومون بمثل ما ننادي به هنا ومعظم المخترعات لها عندهم أسماء ألمانية خالصة، فالتلفون مثلا عندهم **fernsprecher**، والتلفزيون **fernsehen**، وغير ذلك، وفي قدرتنا النسج على هذا المنوال، للحفاظ على عروبة لغتنا"[31].

4- استفحال ظاهرة الترادف؛ ذلك أن المستعمل للمصطلحات عندما تعوزه المعاجم فلا تسعفه بما يلزمه، ولا يتاح له الوصول إلى المصطلح الذي أقرته الهيئات اللغوية المتخصصة، فإنه يلجأ إلى اعتماد مصطلح متداول، من هنا تكثر المترادفات في لغتنا مقابل المصطلح الواحد في اللغة الأجنبية سواء أكانت الانجليزية أو الفرنسية.

على سبيل الخاتمة: نهتدي – من خلال ما تم تناوله- إلى الإقرار بجسامة المشكلة التي يعاني منها المصطلح العلمي العربي فيما يخص آلية التعريب ونذهب إلى تأييد الرأي القائل بالوسطية والاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط ولا تعصب، ولا مغالاة في تعريب المصطلح، إذ لا يمكن إنكار أهمية التعريب، فهو ضرورة علمية واجتماعية وسياسية واقتصادية، ووسيلة من وسائل ثراء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة، ودب حركة الحياة الجديدة في أوصالها، وهذا لا يعني الاعتماد عليه بالكامل، إنما يقتصر الركون إليها في عز الحاجة، مع ضرورة الانتباه إلى خصائص العربية ومزاياها في الدقة والإيجاز والبلاغة وسلامة التعبير وجلاء البيان، دون أن تندس في أوصالها ركاكة التعبير الأجنبية.

هذا، ولا بد من التخطيط السليم في أمور التعريب، بالنظر إلى اتساع البلاد العربية الواسعة، ذوات الثقافات الأجنبية المختلفة، فإذا لم ينتظم التعريب ناظم

سوي غدا فوضى ونشأت لغات ولهجات محلية خطيرة تجعل التفاهم بين أبناء الوطن الواحد وبين مثقفيهم عسيرا.

في الأخير لا نزعم أننا أحطنا بالموضوع من جميع جوانبه، أو استوفينا كل مسائله، إنما حسبنا أن يكون هذا العمل قطرة في بحر لا تستبين حدوده، وخطوة نرجو أن تتبعها خطوات أخر تكمل ما فيه من نقص وتُقوم ما قد اعوج منه.

الهوامش:

1- ينظر: عبد القادر بن مصطفى المغربي، كتاب الاشتقاق والتعريب، مصبغة الهلال، مصر 1908، ص 26.

2- م، ن، ص، ن.

3 - محمد عيد، العوامل الطارئة على اللغة، اللسان العربي، مج9، ج1، يناير، 1972، ص17.

4- حسن حسين فهمي، المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958. ص 202.

5- سمر روحي الفيصل، المشكلة اللغوية العربية، ط1، لبنان، 1992، ص 96.

6- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ط6، مكتبة الخانجي للطباعة، القاهرة، 1999 ص 358.

7- ينظر: حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1981، ص 57.

8- ينظر: أبو منصور الجواليقي، كتاب المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، مدينة لبسيا، 1897، ص 5- 6.

9- ينظر في ذلك: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي زكريـــا، ط1، ج1، دار الكتـــب العلمية، بيروت، 1998، ص 13. وعلي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2004 ص 156- 157.

10 - ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد ابو الفضل إبراهيم، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ص 126.

11- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص 368.

12- ينظر: اميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1982، ص 220.

13- ينظر: م، ن، ص 224.
14- ينظر: م، ن، ص 225.
15 - ينظر: محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، بيروت، 2009 ص 330.
16- مهدي صالح سلطـــان الشمـــري، في المصطلح ولغة العلم، كلية الآداب، بغداد، 2012 ص 200.
17 - م، ن، ص 131.
18- ادريس بن حسن العلمي، في التعريب، تقديم: أمل العلمي، ط1، دار النجاح الجديدة المغرب، 2001، ص 25.
19- مهدي صالح الشمري، في المصطلح ولغة العلم، ص 138.
20- ادريس بن جسن العلمي، في اللغة، تقديم: أمل العلمي، ط1، دار النجاح الجديدة، المغرب 2001، ص 165.
21- مهدي صالح الشمري، في المصطلح ولغة العلم، ص 133.
22- ادريس بن جسن العلمي، في اللغة، ص 165.
23- ينظر: ابراهيم بن محمود حمدان، تعريب المصطلح بين الواقع والطموح، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 34، ع2، الأردن، 2007، ص 255.
24- ينظر: مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، ط3، مؤسسة الرسالة بيروت، (د، ت)، ص 11.
* من مؤيدي هذا الاتجاه: يعقوب صروف، ابراهيم اليازجي، مصطفى الغلاييني، أنيس فريحة.
25- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 159.
26- م، ن، ص، ن.
27- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص 368.
28- ينظر: ابراهيم بن محمود حمدان، تعريب المصطلح بين الواقع والطموح، ص 249.
29- ينظر: نجاة عبد العزيز المطوع، آفاق الترجمة والتعريب، مجلة عالم الفكر، ع19، عام 1989، ص 11.
30- ابراهيم بن محمود حمدان، المرجع نفسه، ص 253.
31- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص 368.

واقع المصطلح العلمي وأثره في تعليمية اللّغة العربية.

أ. سعاد عباسي
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية - تلمسان

مقدمة: تواجه اللّغة العربية جملة من التحديات فرضتها طبيعة العصر الذي نعيشه في البيت والشارع والحياة الاجتماعية برمّتها وفي المؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها ووسائل الإعلام بما تقدّمه، وأكبر هذه التحديات تلك المصطلحات الوافدة التي لا تخلو منها حياتنا العلمية والعملية. إذ يشهد اليوم الواحد ولادة العشرات من المصطلحات العلمية التي أغرقت أذهان المتعلمين والباحثين وجعلتهم يتخبطون في فهمها وهضمها.

وفي هذه الورقة سلطنا الضوء على واقع المصطلح العلمي في اللّغة العربية بدءاً من تعريف المصطلح وأهّم خصائصه ووسائل وضعه، ثمّ بيّنا أثر التعريب والترجمة في نقل المصطلح العلمي، وأبرز مشاكله في التعليم العام والجامعي خصوصاً وأخيرا قدمنا بعض المقترحات التي يمكنها أن تنمي رصيد المتعلم العربي وتبني برامج تعليمية خاصّة باللّغة العربية وطرائق تنميتها لتدريبه على استعمال المصطلح ويتمكن من استحداث ما يلائم لغته ليجعلها لغة العلم والحضارة.

1- **واقع المصطلح العلمي في اللغة العربية:** يعد المصطلح من القضايا الهامة التي أولى لها علم اللغة الحديث اهتماما بالغا، إذ لا يستغني عنه عالم في تخصّصه ولا مفكّر في منهجه ولا باحث متعلّم في مدوّنته، وهو يشكّل جزءاً هاماً من المعجم اللّغوي. لم يكن المصطلح ليشكل قضية تستوقف العلماء سابقا، إذ نجد كتبهم ومؤلفاتهم تكاد تخلو من أيّة إشارة أو توقف عند قضية اسمها المصطلح، والملاحظ أنّنا نجد ترادفا في استخدام صيغتي (اصطلاح) و(مصطلح) سواء في المعاجم اللّغوية أو معاجم المصطلحات.

وفي تحديدنا لمعنى المصطلح: الاصطلاح هوا تفاق طائفة مخصوصة على وضع أمر مخصوص[1]. وقد جاء على هذا التحديد، تعريف بعض اللّغويين للمصطلح بأنّه: "لفظ اتّفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية"[2]، لوجود مناسبة أو مشاركة بين المدلول اللّغوي لهذا اللّفظ والمدلول الاصطلاحي. وقد عرّف أحد اللّغويين المعاصرين المصطلح بأنّه: "اللّفظ أو الرّمز اللّغوي الذي يستخدم للدّلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني أو أي موضوع ذي طبيعة خاصّة "[3].

أمّا محمود حجازي فيشير إلى أنّ أفضل تعريف أوربي معتمد اتفق عليه المتخصصون في علم المصطلحات هو: "الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية: مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقرّ معناها أو بالأحرى استخدامها وحدّد في وضوح، وهو تعبير ضيق في دلالته المتخصصة، واضح إلى أقصى درجة ممكنة أو له ما يقابله في اللّغات الأخرى ويرد دائما في سياق النّظام الخاصّ بمصطلحات فرع محدّد، فيتحقق بذلك وضوحه الضروري[4].

وفي العصر الحديث يمكن القول إنّه قد ظهرت ثلاثة اتجاهات حول استخدام لفظي "مصطلح" و"اصطلاح": الاتجاه الأوّل اكتفى بلفظ "اصطلاح" للدّلالة على معنى اللّفظ الذي يوضع للّدلالة على معنى جديد مستبعداً لفظ "مصطلح" نهائياً، كما فعل أحمد فارس الشدياق في كتابه "الجاسوس على القاموس" فقال: "إنّ الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"[4].

واتجاه ثان يرى أنّ اللّفظين شيء واحد لا فرق بينهما، كما قال محمود فهمي حجازي «المصطلح والاصطلاح شيء واحد لا فرق بينهما، فكلاهما استخدم من قبل أهل الاختصاص للدّلالة على المفاهيم العلمية لهذا التخصص أو ذلك، فسواء قلنا "اصطلاح" أو "مصطلح"، فالأمر واحد»[5].

والاتجاه الثالث الذّي فرّق بين هذين اللّفظين، ويمثّله عبد الصبور شاهين بقوله «فنحن نتذوّق في استعمالنا لكلمة "اصطلاح" معناها المصدري، الذي يعني الاتفاق

والمواضعة والتعارف ونقصد في استعمالنا لكلمة "مصطلح" معناها الاسمي الذي يترجم كلمة (Term) الإنجليزية، ولذلك لا نجد بأسا في أن نقول: (إنّ اصطلاحنا على مصطلح ما ضرورة في البحث) وهو أولى من أن نقول (إنّ اصطلاحنا على اصطلاح) بهذا التكرار الركيك. ويبدو أنّ التفرقة في الاستعمال لم تكن واضحة قديماً»[6].

تشكل المصطلحات العلمية جزءاً هامّاً من الواقع المعاصر، حيث تتعدد الأساليب المعتمدة في بنائه، فالمصطلحات الحديثة في جلّها وافدة إلى اللّغة العربية من لغات أخرى، وهي في تطور وتزايد مستمر، وتأتي كلّ لحظة بالجديد. ووصف المصطلح بالعلمي يقصد به «أنّ الحديث يدور حول المصطلحات التّي يتفق عليها العلماء للدّلالة على المعاني العلمية المتصلة بالعلوم على اختلاف أنواعها: العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية والعلوم الاجتماعية والإنسانية، على أن يكون للمفهوم الواحد لفظة اصطلاحية واحدة، أمّا إذا كان للمفهوم عدّة ألفاظ أو دلّ اللفظ الواحد على عدّة مفاهيم، فإنّ التواصل الفكري يضطرب، ويسود الخلط والفوضى بين الناس»[7].

واللّغة أداة التعامل والتفاعل الاجتماعي إلى جانب كونها أداة التفسير والحسّ والشعور، وأدوات اللّغة مصطلحاتها تعين الإنسان على تحديد تصورات عقله وخياله، وبذلك يتبين أنّ المصطلحات ليست مفاتيح للعلوم فحسب، بل هي أساسيات كلّ علم وفن، وفي ذلك يقول عبد السلام المسدي: «مفاتيح العلوم مصطلحاتها ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميّز كلّ واحد منه عمّا سواه، وليس من مسلك يتوسّل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتّى لكأنّها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلاّ محاور العلم ذاته»[8].

واللغة العربية لم تقف جامدة، بل سايرت الحضارة وتقبلت مصطلحاتها الحديثة لكن المشكلة التي تواجه لغتنا تكمن في ذلك الكمّ الهائل من المصطلحات ذات

المعاني المخصّصة، بعض هذه المصطلحات ممّا عرفته العربية ووضعت له مقابلاً، ولكنّ بعضها الآخر – وهو كثير – ليس له مقابل في لغتنا. وفي الحقيقة لقد اهتم العلماء بالمصطلح، وظهور مصطلح "المصطلح العلمي" في أيّ حضارة يمثل مرحلة متقدمة من النضج والوعي[9].

إنّ إلقاء نظرة خاطفة على وضعية المصطلحات العربية في الوقت الحاضر تقضي بنا إلى حقيقة لا مفرّ منها، وهي التخلّف الزمني في وضع المقابل العربي إضافة إلى تعدّد المصطلح العلمي والتقني. وهنا يجدر بنا الإشارة إلى جهود العلماء العرب في وضع ألفاظ وتعابير مقابلة لما وجدوه اشتقاقاً وتعريباً ونحتاً وترجمةً، غير أنّ المشكل الحاصل هو الاتفاق على مصطلح معيّن وتعميمه والاتفاق عليه !

«فلا يمكن أن يستقيم أمر علم من العلوم، إذا لم يكن له تعابيره الاصطلاحية الخاصّة التي تمكّن أصحابه من التفاهم فيما بينهم من دون اللّجوء إلى لغة عامّة تستلزم التعبير الملتوي الذي قد لا يعبّر تعبيراً دقيقا يوضح المطلوب بلا لُبسٍ أو إبهام»[10].

إنّ الحاجة إلى المصطلح لا تنتهي، ودائرته لا تغلق لأنّه مرتبط بنمو المعارف واتساعها، وقد وفّق العرب القدماء في إيجاد المصطلحات وابتكارها لأنّهم قدّروا أهميتها في بناء النهضة العلمية التي سعوا إليها عن طريق الاشتقاق والنحت والتعريب والترجمة على الخصوص، حتى أصبحت العربية تواكب كلّ المستجدات العلمية والفلسفية.

أمّا في العصر الحديث تعيش الأمة العربية تخلّفا حضاريا وفكريا، إذ يعاني المصطلح العربي من عدم الاستقرار وتطبعه فوضى عارمة بسبب:

1- تعدّد الجهات والمؤسسات الواضعة للمصطلح (مصادر المصطلحات): حيث تستعمل اللّغة الفرنسية لغة ثانية في أقطار المغرب العربي، واللّغة الانجليزية هي اللغة الثانية في أقطار المشرق العربي.

وهذا الاستخدام يبرّر ازدواجية المصطلح فمثلا مصطلح (Nitrogene) في الانجليزية يقابله مصطلح (Azote) في الفرنسية، وقد تمّت استعارة المصطلحين بلفظهما فشاع استعمال (أزوت) و(نيتروجين) في اللّغة العربية[11].

2- ازدواجية المصطلح في لغة المصدر: ففي حالة اللغة الانجليزية مثلا قد يستعمل العلماء الأمريكيون مصطلحا غير الذي يستعمله العلماء البريطانيون للدّلالة على المفهوم ذاته، فيحصل للمترجم العربي ازدواجية المصطلح للمفهوم الواحد[12].

3- الترادف في لغة المصدر: وهو استعمال لفظتين أو أكثر للدّلالة على معنى واحد، وهو ما من شأنه خلق التشويش والضبابية في فهم المعنى المقصود، وهدا ما يحدث مع مصطلح علم اللّغة واللّسانيات والألسنية كلّها تقابل مصطلح Linguistics.

فلابد أن يوضع مصطلح واحد لمفهوم واحد، لأن التهاون في هذا الضابط ينتج ما يسمّى بتعدّد المصطلحات ما يولّد الاضطراب والبلبة لدى المتعلمين والباحثين نسوق مثال تعدّد المصطلح العربي لجهاز (Cumputer) إذ بلغت هذه المصطلحات أكثر من عشر مصطلحات هي: الحاسب الإلكتروني- العقل الإلكتروني – الحاسبة الإلكترونية – النّظامية – الحسّابة – الحُسابة – المَحْسبة- الحاسوب – الحيسوب – الكمبيوتر – وهذا مثال واحد فقط عن الاختلاف في التسميات حتى في القطر الواحد[13].

4- إغفال التراث العلمي العربي أثناء وضع المصطلحات الحديثة: إنّ اللّغة العربية تحتوي على طاقة كامنة من الألفاظ تنتج عن تقليب الألفاظ على الطريقة التي رآها الخليل بن أحمد، فجهود العلماء عظيمة لا يمكن تجاهلها وتناسيها.

5- عدم الاستفادة من المصطلحات الجديدة: ويعود هذا إمّا لعدم اطلاع الجمهور عليها لغياب النشر

والإعلام وإمّا لوجود مصطلحات تفي بالغرض ولا حاجة إلى ما يوضع من جديد.

لقد أصبح اختلاف المصطلحات العلمية داء من أدواء لغتنا العربية كما قال الشهابي[14]، وصارت لهذه المصطلحات معاجم عامة شاملة تضم أعدادا كبيرة من المصطلحات المتعلّقة بالعلوم المتخصصة مثل معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية لأحمد شفيق الخطيب، ومعجم المصطلحات العلمية والفنية ليوسف خياط والمعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام[15]، وغيرها من المعاجم اللّغوية العامة الحديثة مثل الصحاح في اللّغة والعلوم.

وللمصطلحات العلمية أهميّتها الكبيرة في مجالات الترجمة وفي نقل المعارف والمفاهيم الحديثة وتدوينها، ثمّ في تدريسها في مراحل التعليم المختلفة ومرحلة التعليم العالي بوجه خاص. وتبرز أهميّتها بصورة أكثر في ترجمة العلوم الطبيعية وفي تدريسها وفي تعليم المهارة المهنية المتطورة.

2- أثر التعريب والترجمة في نقل المصطلح العلمي:

1- التعريب: هو استعمال لفظ غير عربي في كلام العرب، وإجراء أحكام وقواعد اللّفظ العربي عليه ووزنه على أحد أوزانه. ويعرّفه السيوطي (911هـ) في المزهر[16]" المعرّب ممّا استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في لغتها".

ويشير مصطلح التعريب إلى عملية اقتراض أو استعارة كلمات أجنبية، بحيث تصبح مستخدمة بشكل منتظم للتعبير عن معاني معينة، ويدخل على هذه الكلمة بعض التعديلات الصوتية أو الصرفية لتتماشى والنظام الصوتي أو الصرفي للغة العربية. والتعريب من القضايا التي شغلت العرب منذ عهد مبكّر، وكان سيبويه من الأوائل الذين تحدثوا عنه وسمّاه "إعرابا".

وبمرور الوقت، تطور مفهوم التعريب وأصبح له دلالات زادته تشعبا والتعريب وسيلة من وسائل وضع المصطلحات العلمية، وهو قديم في اللّغة العربية إلاّ أن علماء العربية أباحوه في مواقف وبتحفّظ في قولهم: «لا نرى بُدّاً من إباحة التعريب، أي نقل الأسماء الأعجمية إلى العربية بحروفها، بسبب أنّ العربيّ لا

يصعب عليه التلفظ بالكلمة الأجنبية على صورتها الأصلية، ولكنّ التعريب يجب أن يكون واضح المعالم محدوداً، مشروطا بالاضطرار، فأسماء الأعلام واللّباس والشّراب والطّعام والأثاث واجب تعريبها، ويلحق بباب الأعلام أسماء العقاقير غير العربية والأدوية والعلاجات المادية وأسماء الحيوانات التي لا يعرفها العرب وكذلك أسماء الأمراض الوافدة من البلاد الغربية، لأنّ أسماءها معلومة بسبب تقدم علم الطب تقدّماً كبيرا»[17].

إنّ التعريب في معالجة مشكلة المصطلحات لا يزال مثار جدل بين علماء اللّغة العربية، فمنهم من يجيزه ومنهم من ينكره خوفاً من فتح باب تفشي الأعجمية في القرآن الكريم – وربما في ذلك مبالغة – ومنهم من يبيحه بشروط سبق ذكرها.

2– الترجمة: تعد الترجمة همزة وصل بين الحضارات ووسيلة تحاور بين الثقافات، وتشير لفظة ترجمة في أصل معناها اللّغوي إلى التفسير، والترجمان المفسّر. جاء في اللّسان: "والترجمان المفسّر، وقد ترجمه وترجم عنه، وهو من المثل الذي لم يذكره سيبويه. قال ابن جني: أمّا الترجمان فقد حُكيت فيه تُرجُمان بضمّ أوّله، ويقال: قد ترجم كلامه إذا فسّره بلسان آخر، ومنه الترجمان، والجمع التّراجم[18]. وهكذا وردت الترجمة بمعنى التفسير والنقل إلى لغة أخرى.

– ذكرت المعاجم العربية القديمة فعل ترجم بمعنى فسّر وأبان وأوضح، جاء في صحاح اللّغة "يقال قد ترجم كلامه إذا فسّره بلسان آخر". وجاء في المعجم الوسيط: "ترجم كلامه: بيّنه ووضحه، وترجم كلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى أخرى. والترجمان: المترجم، جمعه تراجم وتراجمة"[19].

وبذلك يكون المعنى اللّغوي لفعل ترجم هو الإبانة والإيضاح والتفسير والنقل من لغة إلى أخرى، أمّا المعنى الاصطلاحي فهو لا يختلف عنه إذ يؤدّي المعنى نفسه، وإن كان محصورًا بشكل خاص في تلك العملية الفنية والعلمية التي تعنى بنقل النصوص من لغة إلى أخرى، أي من سياق فكري وثقافي إلى سياق آخر مختلف عنه.

ومن أبرز محطات الترجمة عند العرب والتي كان من ثمارها ما حدث من تلاقح بين ثقافاتهم وثقافة غيرهم، ما عرفته الحضارة الإسلامية بعد اتساع حدودها وانضمام أمم شتى إليها بكل ما تحمل من تراث حضاري ثري، فكانت الترجمة السبيل الأول للاستفادة من هذا الزخم الهائل في الهندسة والفلك والرياضيات والفيزياء والطب إضافة إلى كتب الفلسفة، فكانت هذه الترجمات الأساس الذي بنت عليه أوربا نهضتها العلمية الحديثة، في الوقت الذي تتّهم فيه اللّغة العربية – للأسف الشديد – اليوم بالجمود والقصور عن مواكبة التطور، عكس ما عرفته الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي أيّام الخليفة هارون الرشيد، ومن بعده ابنه المأمون، والتي استمدت علومها من حضارات متعدّدة: فارسية وهندية وصينية ويونانية ومصرية وبيزنطية وغيرها.

- وفي الحقيقة لم يغفل العرب دور الترجمة في تطور الحركة العلمية فأنشئت لذلك معاهد ومؤسّسات علمية دورها إرسال بعثات طلابية علمية إلى الخارج قصد الاستفادة من علوم الغير ونقلها، إنّ أثر الترجمة وما نتج عنها من نقل لبعض علوم اللّغة العربية، يتمثل في كمية المعرفة التي تمّ نقلها والتعبير عنها بألفاظ ومصطلحات عربية لم تكن موجودة عند العرب من قبل. ويبقى نجاح عملية ترجمة العلوم والفكر رهين بما يبذله المترجمون من عمل وجهد في تطويع اللّغة العربية، وذلك بتوسيع قياساتها وكشف ذخائرها من الألفاظ لتواكب الحركة العلمية وتجاوز الحواجز التي تُعيق حركة الترجمة.

أمّا في وقتنا الحاضر أخذت عملية الترجمة صبغة أخرى حيث اعتمد المترجمون على استيراد المعرفة بدلا من الإسهام في إنتاجها، وذلك عن طريق نقل المعارف ومصطلحاتها دون ترجمة أو تعريب والأكثر من هذا فإنّها تدرّس باللغة الأجنبية (بمسمياتها الأجنبية) مثل التلفزيون – الموبايل – الكمبيوتر وغيرها هذه الأسماء الغريبة عن اللّغة العربية ارتأى لها البعض وضع مسميات بديلة لتلائم اللّسان العربي فقالوا: المذياع والهاتف والحاسوب.

وفي الأخير نصل إلى أنّ الترجمة رسالة يجب على القائمين بها خدمة اللّغة العربية والنهوض بمصطلحاتها حتى تكون في مستوى الجهود المهيمنة على العصر لغة وفكرا وتقدماً علميًا وتكنولوجيًا.

3- **أثر تعدد المصطلحات على اللغة العربية داخل النظام التربوي:** يعيش المتعلم العربي في الأقسام العلمية بالثانوي وضعية خاصة، فهو مطالب بدراسة المواد العلمية (العلوم الطبيعية، الفيزياء....) باللغة العربية، وما إن ينتقل إلى المرحلة الجامعية حتى تواجهه مشكلة اللغة ومصطلحاتها العلمية، خاصة لمن سيتابع توجهه العلمي، إذ يصطدم باللغة الأجنبية كلغة علمية. فتتسع الهوة بين الطورين الثانوي والجامعي.

ومن خلال ملاحظتي الشخصية مع تلامذتي المتفوقين في الثانوي والذين نجحوا بامتياز في امتحان شهادة البكالوريا واختاروا مجال الطب والصيدلة على الخصوص فوجئوا باللغة الأجنبية ومصطلحاتها في السنة الأولى خاصة، فلم هذا التحول؟ هل اللغة العربية قاصرة بمفرداتها ومصطلحاتها عن خوض غمار العلوم؟

وأمام هذا المشكلة يبقى للمصطلح الدور الأساسي والفاعل في تكوين المعرفة خاصة ونحن في عصر الغزو الثقافي وتنامي الانفتاح على الخارج خصوصا في المجال التعليمي والتقني والاتصالي والمعلوماتي، وكان جراء ذلك جعل التعليم العربي تعليما يدرس بلغة أجنبية وباستخدام مصطلحات أجنبية تنقل المفاهيم وترسخها في نفوس المتعلمين. إضافة إلى هذا تراجع الإنتاج الفكري العربي في ميادين المعرفة كدراسة الطب وتدريسه باللغة العربية في بعض الدول العربية بسبب عزوف علماء المصطلح وواضعيه عن العمل بعدم حصولهم على المساندة والدعم والتشجيع.

ولو ألقينا نظرة على واقع تدريس الطب والعلوم باللغة الأجنبية في السنوات الأولى من تعليمهم الجامعي يتبين أنه لا قبل للكثيرين منهم على إتقان اللغة الأجنبية بسرعة، لذا من الواجب تعريب الطب والعلوم، وهذا لا يعني ألا يتقن الطالب لغة أجنبية على الأقل، بل هو من الواجب. وهنا لا نغفل دور المعلم أو المدرس حيث نجد قلة منهم من يجيد اللغة العربية لغة للتدريس، فيلجأون إلى العامية العربية مع التطعيم بالأجنبية، والأمر أعظم عند بعض ممن يدرسون اللغة العربية نفسها، مما يحدث فجوة تعليمية تعلمية.

إن استخدام لغة غير العربية في منظومتنا التربوية وفي جامعاتنا ومعاهدنا جريمة كبرى في حق الأمة، لأن ذلك يؤدي إلى قناعة لدى متعلمينا بعدم صلاحية اللغة العربية للعلم، وعدم قدرتها على مواكبة العلوم، وهذا بدوره يضعف ثقة المتعلمين بلغتهم العربية، وربما يجعلونها سبب تخلفنا الفكري والعلمي.

وبذلك نهتدي إلى القول أن سر تخلفنا في وضع المصطلحات العلمية نابع من أسباب متعلقة بأهل اللغة، لا باللغة نفسها، فاللغة قادرة على التعبير عن كل ما يستجد من أمور، وهذا ما أقرته لجنة اليونسكو: "التي اعتمدت تجارب أنجزت في بلدان كثيرة، وقررت أنه لا عائق يعوق لغة معينة لتعبر عن الحضارة الحديثة فإذا كانت هذه اللغة الأم قادرة على أن تكون أداة للتعليم العالي والتقني، فإنه ينبغي استخدامها لهذا الغرض بعد الاحتياط كله لتنسيق المصطلحات العلمية"[20].

فلو عدنا إلى تعليم اللغة العربية في المرحلة الجامعية لدى تخصص الطب أو الهندسة أو الفيزياء مثلا، فلا نجد للغة العربية وجودا، ما نلمس فيه قطيعة للعربية بمفرداتها وتراكيبها كانت بالأمس ليس بالبعيد أساس تعليمهم في مرحلة ما. الأمر

الذي يؤدي إلى ضعف المتعلمين اللغوي وعزوفهم عن كل مادة لغوية عربية، فينحرمون من مصطلحات علمية عربية هي في الأساس موجودة.

4- **ضرورة تنمية رصيد المتعلمين من المصطلحات العلمية:** للمصطلحات العلمية أهميتها البالغة في مجالات الترجمة وفي نقل المعارف والمفاهيم الحديثة، ثم تدريسها في مراحل التعليم المختلفة ومرحلة التعليم الجامعي بوجه خاص. ولما كانت المصطلحات العلمية حجر أساس العلوم والمعارف ومحورا أساسيا في التعليم والتأليف بات لزاما تنمية رصيد المتعلمين من هذه المصطلحات لتتحقق الذاتية المعرفية في مجال التعليم العالي والبحث العلمي.

والمصطلح العلمي يعتبر القاعدة الأساسية لعملية التعريب، وبين تعريب التعليم والمصطلح ترابط وثيق، إذ لا ينجح تعريب بلا مصطلح، ولا يحيا المصطلح إلا باستخدامه وتوظيفه، ومن بين أهم مجالات هذا الاستخدام الترجمة والتعريب، يقول شحادة الخوري: "إن بين التعريب وبين المصطلح والترجمة ترابطا وتكاملا فالتعريب يعتمد على استخدام المقابل العربي للمصطلح الأجنبي وعلى الأخص العلمي منه، ولاسيما أننا نعيش في عصر تتفجر فيه المعرفة تفجرا، وتدخل لغة العلم كل يوم مصطلحات جديدة يضعها العلماء والمخترعون بلغاتهم القومية. ولذلك فإن كل سعي للتعريب ينبغي أن يوافقه جهد لإيجاد المصطلح بالعربية. وبالمقابل فإن كل جهد يبذل لإيجاد المصطلح وتوحيده بين الأقطار العربية يخدم قضية تعريب التعليم"[21].

وعلى هذا الأساس لابد للمؤسسات التعليمية أن تولي اهتماما للمصطلحات ونشرها، حتى يتابع المعلمون والمتعلمون على حد سواء التطورات التي تمر بها

هذه المصطلحات وليترقبوا منها كل جديد. ومن ثمة تلقن وفقا للمراحل التعليمية والمستويات العقلية والثقافية للمتعلمين استيعابا واستعمالا.

إن تنمية حصيلة المتعلمين من المصطلحات العلمية ضرورة تمليها متطلبات العصر ويفرضها التطور العلمي والتكنولوجي. ولا نغفل في هذا الطرح المجامع العلمية العربية ودورها البارز في مناقشة المسائل والموضوعات المرتبطة بالمصطلحات وطرق تنميتها واستعمالها في الحياة العلمية، وفضل الجهود الفردية التي بذلها عدد من علماء اللغة العرب على انفراد لإفادة اللغة العربية.

وبالرغم مما تم إنجازه من قوائم ومعاجم خاصة وعامة، فإنه لا تزال طائفة كبيرة من الأساتذة والطلبة تجهل الكثير مما وضع وصدر من هذه المصطلحات.

فلماذا كل هذه الجهود في وضع المصطلح ما لم يستعمل؟ إذ يصبح للغة جسم ضخم ولكنه ضعيف الحركة قليل الفاعلية.

5- **صعوبات المتعلم في استخدام المصطلحات العلمية العربية:** بالرغم من أن المتعلم يستعمل اللغة العربية أثناء مراحل تعليمه العام، إلا أنه لا يتلقى في العادة مصطلحات علمية عربية بقدر كاف تمكنه من متابعة دراسته الجامعية، فيصطدم بكم هائل من مصطلحات لم يعتد استخدامها. ومن الصعوبات التي تعيق المتعلمين لاستخدام المصطلحات العلمية العربية:

- الاعتماد على اللغة الأجنبية في التدريس واتخاذها مقام اللغة الأم بحيث لا يتمكن المتعلم من ممارسة التعبير باللغة العربية على نحو كاف، إضافة إلى أن الساعات المقررة للدراسات العربية في الأقسام العلمية تكاد تكون منعدمة، خاصة في علوم الطب والصيدلة والفيزياء، بل إن دراسة اللغة العربية في كليات اللغات والآداب تقتصر على قواعد النحو ومبادئ الصرف وقواعد استخدام المعاجم

اللغوية، وتذوق النصوص الأدبية، أما الحديث عن المصطلحات وما يتعلق بها من إجراءات فتكاد تكون مغيبة.

- علاوة على ما ذكرنا فإن بعض المتعلمين – أو حتى المعلمين أحيانا – تقودهم الرغبة في الظهور بمظهر العارف باللغة الأجنبية، فيدفعهم الشعور بالنقص أمام الفئة المتحدثة باللغة الأجنبية، فيستخدمون الألفاظ والمصطلحات الأجنبية بدلا من مقابلاتها العربية – وهذا أمر حاصل –
- قد يواجه المتعلم صعوبة في فهم الموضوعات العلمية إما لضعف لغته وقلة رصيده من مفردتها، أو لضعف خلفياتها العلمية.
- ومن الصعوبات كذلك سوء الترجمة التي لا تلتزم باستخدام المصطلحات العلمية العربية بمعانيها وصيغها التي أقرتها الهيئات العلمية والمؤسسات اللغوية المتخصصة، مما يشيع الاضطراب والفوضى والارتجال والتعدد في تعريب الألفاظ الأجنبية.

6- بعض المقترحات لتنمية رصيد المتعلمين من المصطلحات:

- ربما يكون لتعريف المتعلمين في وقت مبكر من حياتهم الدراسية بأهمية المصطلحات ودورها في تحقيق النمو اللغوي والتطور الفكري أثره الكبير في توجههم إليها فيما بعد بوعي أكبر.
- تعليم المصطلحات للمتعلمين لابد وأن يتم بشكل تدريجي عبر المراحل الدراسية لتناسب مستوياتهم العقلية، ومن ثمة حثهم على استخدامها في أنشطتهم الدراسية، وذلك بغرض تعويدهم على استعمالها في مراحل لاحقة.
- توفير المعاجم اللغوية الخاصة منها والعامة في المدارس على اختلاف مراحلها.
- تضمين البرامج والمقررات الدراسية بمجموعة من المصطلحات خاصة الكتب العلمية منها لترسيخ المفاهيم في الأذهان.

- من الضروري أن تشارك المؤسسات اللغوية المهتمة بالنقل والترجمة في الإشراف على وضع المناهج والمقررات الدراسية لإدخال ما يتلاءم مع المستويات الدراسية من المصطلحات العلمية وتجعلها موضع التنفيذ.
- ضرورة التنسيق بين أساتذة المواد العلمية وأساتذة اللغة العربية في اختيار المصطلحات من مصادرها والتعبير بها ووضعها.
- حث المتعلمين على الإكثار من قراءة المؤلفات العلمية الحديثة المدونة باللغة العربية، مما أقرته المؤسسات اللغوية الهيئات العلمية من المصطلحات والمرتبطة أساسا بالمقررات الدراسية.
- تشجيع المتعلمين على الرجوع إلى مصادر التراث العلمي العربي أمثال:[22] حنين بن إسحاق، والجاحظ وبن سينا، والفارابي وغيرهم ...

خاتمة: وخلاصة قولنا أنه لا وجود لأمة إلا بتمثلها للغتها القومية، وأكيد أن الأمم التي تمسكت بتعليم العلوم بلغاتها لم تتخلف عن ركب التطور، وتمسكنا كأمة عربية بالتعليم بغير لغتنا لم يجعلنا نأخذ بناصية العلم فنرتقي إلى ركب الدول المتقدمة. وللخروج من إشكاليات المصطلح ووضعه واستعماله لا بد من الوقوف على:

- نشر الوعي المصطلحي ببيان أهمية المصطلح وتعريبه وطرق وضعه.
- تعريب التعليم الجامعي وجعل العلم عربيا وتوحيد مناهجه ومواده وكتبه.
- العمل على توحيد المصطلحات العربية وانتشارها في الاستعمال.
- إفراد المصطلح الواحد بترجمة واحدة وقصرها عليه.
- استقراء التراث العربي وخاصة ما استعمل منه أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال.
- إشراك المختصين في وضع المصطلحات.
- استعمال الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب التالي: التراث فالتوليد بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت.

الهوامش:

1- السيد محمد مرتضى الحسين الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق حسين نصار، سلسلة التراث العربية، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، (1369هـ/1969م)، 6 ص551.

2- مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية القديم والحديث، دمشق، المجمع العلمي العربي، 1965، ص 3.

3- عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، ط1، القاهرة، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، 1983، ص 118.

4- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، مصر دت، ص 12.

5- الشدياق أحمد فارس، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1299هـ ص 437.

6- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 8.

7- عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، ص 119.

8- شحادة الخوري، دور المصطلح العلمي في الترجمة والتعريب، مجلة التعريب، العدد 14 المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 1977، ص22.

9- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 11.

10- حسيكي سليمان، المصطلح العلمي وقابلية اللغة العربية لتوليده، مجلة الفكر العربي، العدد 95، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1999، ص80.

11- السويل عبد العزيز بن إبراهيم، المصطلحات مشكلة علم اللغة العربي الحديث، مجلة جامعة الملك سعود، مج 7، الآداب 1، المملكة العربية السعودية، 1995، ص 241.

12- القاسمي علي، مقدمة في علم المصطلح، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 2، 1977 ص 76.

13- القاسمي علي، المرجع نفسه، ص 81-82.

14- جميل الملائكة، المصطلح العلمي ووحدة الفكر، مجلة المجمع العلمي العرقي بغداد، م 34 1983، ص101.

15- مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ط1، معهد للدارسات العربية العالمية، القاهرة، 1955، ص116.

16- أحمد بن محمد المعتوق، المصطلحات العلمية العربية: مكانتها من الرصيد اللغوي وطرق وتنمية محصول الناشئة منها، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد 12، الآداب 3 1420هـ/2000م، ص 349.
17- ابن منظور، لسان العرب، ج 12، 1956م، ص 229-230.
18- المعجم الوسيط، المعجم اللغة العربية، ص 83.
19- السيوطي، المزهر، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ج 1، ص 211.
20- عبد المطلب البكاء، واقع اللغة العربية: خطره، مشكلته وسبل معالجته، المؤتمر الثاني للمجلس الدولي للغة العربية، دبي 7-2013/5/10، ص 9-10.
21- إدريس الكتاني: دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الإفريقية، مجلة اللسان العربي، مجلد 10، ج 1، ص39.
22- شحاذة الخوري، تعريب التعليم العالي، ص 130.
23- أحمد بن محمد المعتوق، المرجع نفسه، ص 373.

الدراسة المصطلحية (مناهجها وخطواتها)
- دراسة المصطلحات القرآنية نموذجا-

أ. نجوى مغاوي
جامعة محمد بوقرة، بومرداس

تمهيد: يعتبر البحث في مجال المصطلحات المدخل الأساسي للولوج إلى صرح العلوم والمعارف لأجل فهم كنهها والإلمام بكل مفاهيمها ومضامينها، ولعلّ هذا هو السبب المباشر الذي أدى إلى تطور علم المصطلح بوتيرة سريعة، واتساع دائرة استخدامه على نطاقات واسعة، على الرغم من حداثته، فقد أصبح اليوم علما له قواعده وأسسه ومناهجه الخاصة به دون غيره. وقد عرف العرب هذا العلم وأدركوا أهميته في تبيان المعاني والمفاهيم ولذلك أسسوا علم مصطلح الحديث الشريف، وكان من الأولويات التي اهتموا بها دراسة ألفاظ الحديث الشريف، إذ ألفوا معاجم كثيرة لخدمة هذا الغرض، إلا أنّ الجديد الذي فرض نفسه على ساحة البحوث المصطلحية هو ما يسمى (بالدراسة المصطلحية) الذي مازال منهجا فنيا لا يزال في طور النشأة والتطور، والأهم من ذلك أنّ هذا المنهج طبق مؤخرا على النصوص القرآنية، فما هي الأسس المعتمدة في هذا النوع من الدراسات المتخصصة ؟

- وماهي المراحل التي تعتمد عليها الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم ؟

- وما نوع الروافد العلمية التي على الدارس أن يعود إليها للوصول إلى نتائج صحيحة، خاصة وأنّ الأمر يتعلق بالمصطلحات القرآنية التي تتميز بطابع خاص لا نجد نظائره في باقي المصطلحات المتعارف عليها.

1- تعريف الدراسة المصطلحية: تعد الدراسة المصطلحية في أصلها بحثا في المصطلح، ومن هذا الباب حظيت مؤخرا بعناية كبيرة من طرف الباحثين والدارسين من المشتغلين بعلم المصطلح أو بالتخصصات العلمية والمعرفية بشكل عام، وعلى هذا تعرف بأنها "بحث في المصطلح لمعرفة واقعه الدلالي من حيث مفهومه وخصائصه المكونة له، وفروعه المتولدة عنه ضمن مجاله العلمي المدروس به"[1]

ومن ثمّ فإنّ الدراسة المصطلحية هي دراسة علمية قائمة على ضوابط ومناهج ومراحل، ولهذا تعرف في السياق نفسه بأنها "ضرب من الدرس العلمي لمصطلحات مختلف العلوم وفق منهج خاص بدافع تبيين المفاهيم التي عبرت، أو تعبر عنها تلك المصطلحات في كل علم في الواقع والتاريخ معا، أي هدفها تبيين المراد بدقة من ألفاظ أي علم في واقعه وعبر تاريخه"[2]

فأمّا دراسته من حيث واقعه فنعني بها الكشف عن الواقع الدلالي والمفهومي الذي يتعلق بالمصطلح المدروس بوصفه بنية لغوية ومعرفية في مجال علمي ما وأمّا البحث التاريخي فيعمد من خلاله إلى رصد مظاهر التطور الدلالي للمصطلح في حيز المجال المعرفي نفسه، وانطلاقا من هذا الأساس يتلخص مفهوم الدراسة المصطلحية في كونها عبارة عن تكوين بطاقة هوية أو تعريف للمصطلح داخل مؤلف ما، ومن ثمّ فإنها تركز على تشخيص كل ما له علاقة بالمصطلح موضوع الدراسة، فتبحث من هذا المنظور في خصائصه وصفاته التي تعتبر أحكاما خاصة به تخصّه وحده دون غيره، حيث تتجلى هذه الخصائص في البحث في أشكاله وبنيته، أي ضمائمه والأشكال التركيبية التي ورد فيها، كما تبحث الدراسة المصطلحية في علاقات المصطلح المدروس مع عناصر المنظومة الاصطلاحية التي يعمل في حيزها، سواء تعلق الأمر بعلاقات ائتلاف أو اختلاف أو عموم أو خصوص.

2- علاقة الدراسة المصطلحية بالنصوص المتخصصة: يتضح لنا مما سبق عرضه أنّه يتعين على الدراسة المصطلحية كي تضمن نتائج أفضل أن تقوم بمسح ميداني دقيق للمصطلح، ولن يتأتى ذلك إلا بالعودة إلى المتن الأول الذي ورد فيه ونعني بذلك النّص المتخصص الذي يعتبر الدعامة الأساسية التي يرتكز عليها الدرس المصطلحي، وبناء على هذا المبدأ تعرف "فريدة زمرد" هذا النوع من الدراسة بأنّه "دراسة علمية منهجية للمصطلح عبر النص قصدا، وللنص عبر المصطلح نتيجة."[3] ولهذا تنطلق من فكرة محورية مفادها أنّ علم المصطلح يجب أن يركز في دراسته على البنى النصية التي يرد فيها المصطلح، ولذلك تقترح تسمية بديلة لهذا النهج قائلة: "...فقد كنت قد اقترحت تسمية الدراسة بعلم اصطلاح النص، وذلك لأنّ استبدال اصطلاح النص بالمصطلحية يبرز خصوصيتها الموضوعية، وأنّها دراسة علمية منهج للمصطلح."[4]

ووفقا لهذا المعيار تعتبر الدراسة المصطلحية "منهجا من مناهج البحث موضوعها النصوص، وهدفها تعريف المفاهيم المتضمنة في النص موضوع الدراسة، ثم توظيف ذلك لمعالجة قضاياه."[5]

3- مناهج الدراسة المصطلحية: أشرنا فيما سبق أنّ منهج الدراسة المصطلحية يعتبر "طريقة للبحث المفصلة على كل مصطلح من المصطلحات المدروسة في إطار منهج من مناهج الدراسة المصطلحية بالمفهوم العام.[6] وعموما يميّز الدارسون في عالم الدراسة المصطلحية بين أربعة مناهج متلازمة تمشي كلّها وفق مراحل متعاقبة لا يمكن الاستغناء عن أحدها، يلخصها الشاهد البوشيخي فيقول: "... ومعلوم أن مستوى التطبيق أصلا فيه أربعة مناهج واضحة من البداية هي المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المتوازن، والمنهج المقارن، ولا سبيل إلى الذي يتلو إلاّ بعد الفراغ من الذي سبق، لأنّ بعضها ينبني على بعض، وإذ يفعل الأول في أي موضوع، لا يستطاع الانتقال إلى الثاني إلاّ إذا قام صاحبه بنفسه بجميع المراحل الأخرى إذ ذاك يمكن ذلك."[7] وعليه تتلخص مناهج الدرس

المصطلحي في ثلاث مناهج أساسية يعول عليها كثيرا في مجال الدراسات المصطلحية التطبيقية وهي:

أ- **المنهج الوصفي:** يعتمد المنهج الوصفي في أيّ فرع من فروع المعرفة على تجميع البيانات والحقائق عن موقف معين بالرجوع إلى أكبر عدد من الحالات خلال فترة زمنية محددة، ثم اللجوء إلى مرحلة تالية هي مرحلة التحليل والمقارنة ومن ثمّ فإنّ تجليات المنهج الوصفي في البحث المصطلحي تقوم على "عملية تشريح للمصطلح قصد معرفة جوهره، كما هو مستعمل في تراث عالم معين أو مدرسة معينة"[8] شرط أن لا تكون الفترة المخصصة للدراسة والتحليل ذات امتداد تاريخي وإلاّ تطلب الأمر الاستعانة بالمنهج التاريخي.

وعليه فإنّ المنهج الوصفي هو قوام الدراسة المصطلحية إذ يقدم لها خدمات جليلة تتمثل أهمها في "الكشف عن المعاني والمفاهيم عموما بصورة تشريحية لمعرفة واقع دلالات الألفاظ، وتميزه لكونه ينبني على خطوات معينة تشكل الأركان التي يقوم عليها والتي بفقدها يفقد المنهج" ومن البحوث والدراسات التي بنيت على أساس هذا المنهج الذي كثيرا ما يوظف في مجال دراسة المصطلحات الشرعية على وجه الخصوص نذكر:

- "مفهوم الأمر في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي": للدكتورة جميلة زيان.

- "مفهوم الحياة في القرآن والحديث" للدكتور محمد الأحمري.

كما قد يتناول الدرس المصطلحي مصطلحات معينة عند شخصية بعينها ومن ذلك:

-"المصطلح الأصولي عند الشاطبي: للدكتور فريد الأنصاري.

- "مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ: للدكتور الشاهد البوشيخي.

ب- المنهج التاريخي: يختلف المنهج التاريخي عن المنهج الوصفي في أنّ هذا الأخير لا يقف في بحوثه ودراساته على حقبة زمنية معينة، في حين نجد أنّ المنهج التاريخي يمرّ بمحطات كثيرة، وعليه يعرف هذا النوع في الدراسة المصطلحية بأنّه "محاولة دراسة المصطلح بوصفه في حركته التاريخية وصيرورته التطورية، أي دراسة نموه الدلالي من خلال مسيرته التاريخية"[9] لأنّ المصطلح إذا عاش مسيرة علمية ومعرفية طويلة، فهذا دليل قطعي على أنّه قد خضع لضرب من التطور أو التغير الدلالي ضيقا أو اتساعا.

ولأجل هذا يعمد المنهج التاريخي في الدراسة المصطلحية إلى رصد مختلف التعريفات التي حددت المصطلح، ثم يلجأ في مرحلة تالية إلى ترتيبها وفقا لتسلسلها التاريخي بداية بالأقدم وصولا عند الأحدث منها، وبهذا يتضمن المنهج التاريخي: "جميع شروح للمصطلح، مذ ظهر أول شرح له حتى آخر شرح موثقة، محققة قدر الإمكان"[10] وتظهر فعالية هذا المنهج بصورة أوضح وأشمل عندما يعمد أصحابه إلى تتبع مواضع ورود المصطلحات المدروسة في المخطوطات والكتب التراثية إذ كثيرا ما تحتوي هذه المصادر على كنوز وذخائر تفوق ما تحويه المطبوعات المعاصرة، وذلك لأجل الإحاطة ما أمكن بالمادة اللغوية والمصطلحية المتعلقة بالمصطلح المدروس، مع الإشارة إلى أنّ المنهج التاريخي له أهمية كبيرة في مجال البحث المصطلحي باعتبار أنّ جملة المعطيات التي يعرضها المنهج الوصفي لا يمكنها أن تصل إلى نتائج مرضية إلاّ إذا عنيت بالجوانب التاريخية التي تكشف عن رحلة المصطلح زمنيا ومكانيا.

ج- المنهج المقارن: يوظف المنهج المقارن في مجال الدراسة المصطلحية بعد المرحلة الوصفية والتاريخية إذ يراد به مقارنة الدلالة المصطلحية التي تتعلق بالمصطلح المدروس في حقل معرفي معين لأجل الكشف عن واقعه الدلالي.

وزيادة على ما سبق نشير أنه في غالب الأحيان يعمد المتخصصون في هذا المجال إلى توظيف المنهجين – أي المنهج الوصفي والتاريخي على وجه التحديد

– في خطوة دراسية واحدة، "وهو إعمال يبني قواعد هذا على أصول ذاك ويستثمر نتائج أحدهما لفائدة الآخر، وهنا سيستفيد التاريخ من الوصف لتأخر الثاني عن الأول"[11] وبناء على هذا التمازج المنهجي يتم العمل المصطلحي وفق الطريقة التالية :

– اعتماد النهج التاريخي في جمع النصوص وفقا لترتيبها وتحقيقها.

– تصنيف النصوص المتحصل عليها بناء على العصور التاريخية التي تنتمي إليها.

– إحصاء المصطلحات التي تضمنتها النصوص السابقة.

– دراسة النماذج المختارة بالعودة إلى المراجع، والمعاجم المتوفرة حسب مقتضيات المنهج الوصفي.

– محاولة رصد ملامح التطور الدلالي الذي خضعت له المصطلحات المدروسة.

ومن هنا يتبين لنا أنّ هذه الخطوات مبنية على ركائز المنهج الوصفي والتاريخي في وقت واحد، لأنّ معطيات كل منهما مؤسسة على معطيات الآخر لذلك لا يمكن لأي منهما أن يعمل بمعزل عن نظيره.

4– مراحل الدراسة المصطلحية: تمرّ الدراسة المصطلحية بمراحل أساسية لا يمكن الاستغناء عن أحدها أو تقديم مرحلة على أخرى. وأهمها:

أ– الدراسة الإحصائية: يعتبر الإحصاء شرطا ضروريا وركيزة أساسية تقوم عليها الدراسة المصطلحية التي لا يمكن أن تحقق مبدأ العلمية في عملها دون الوقوف عند هذه المرحلة، فالإحصاء وفقا لهذا الاعتبار يعني "الاستقراء التام لكلّ النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس وما يتصل به لفظا ومفهوما وقضية في المتن المدروس"[12] وتعرف هذه المرحلة أيضا بمرحلة البحث والجمع، إذ تمر هي الأخرى بعدة خطوات متتابعة تتلخص فيما يلي:

– إحصاء لفظ المصطلح إحصاء دقيقا من خلال الرجوع إلى مختلف المصادر التي احتوته مع مراعاة كل البنى اللفظية التي ورد عليها (حالة الإفراد والجمع حالة التعريف والتنكير، حالة الاسمية والفعلية...)

– إحصاء الألفاظ الاصطلاحية التي اشتقت من نفس الجذر اللغوي.

– إحصاء التراكيب والسياقات التي تضمنت الدلالة الاصطلاحية المتعلقة بالمصطلح المدروس.

– إحصاء كلّ المضامين والقضايا المنطوية تحت مفهوم هذا المصطلح حتى وإن لم يرد فيها المصطلح بنصه.

ب– الدراسة المعجمية: هي الركن الثاني الذي يقوم عليه منهج الدراسة المصطلحية "و يقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية دراسة تبتدئ من أقدمها مسجلة أهمّ ما فيه وتنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف، دراسة تضع نصب عينيها علام مدار المادة اللغوية للمصطلح ومن أيّ المعاني اللغوية أخذ المصطلح، وبأيّ الشروح شرح المصطلح"[13] فهي دراسة شاملة تسعى إلى دراسة معنى المصطلح من الوجهة اللغوية والمفهومية بالعودة إلى المعاجم اللغوية فالاصطلاحية المتخصصة التي تضمنته لأجل الإحاطة ما أمكن بالمعنى العام الذي يحكم مشتقاته، وهذا يعني أنّ مرحلة الدراسة المعجمية تقدم خدمات جليلة لهذا المنهج إذ بفضلها يمكننا الوقوف على" مدار المادة اللغوية للمصطلح، وعلى مأخذ المصطلح أي على أصله اللغوي اشتقاقا ودلالة، وعلى التطور الدلالي للكلمة وتمييز معنى اللفظ الحسي عن معناه العقلي، ومعناه الحقيقي عن المجازي، ومعناه اللغوي عن الاصطلاحي وهكذا..."[14]

ولكي تضمن الدراسة المعجمية نتائج مضبوطة عليها أن تخضع لمجموعة من المعايير تتلخص فيما يلي:

– وجوب الإحاطة الشاملة– ما أمكن– بكل مصادر الدراسة المعجمية (المعاجم اللغوية الاصطلاحية، والمراجع المتخصصة).

– استيعاب كلّ مناحي التعدد الدلالي التي يمكن أن يشير إليها المصطلح المدروس.

– وجوب الالتزام بمبدأ التدرج على الصعيدين الزمني والدلالي:

– **التدرج الزمني:** أي على الباحث أن يبدأ بالمصادر القديمة وصولا إلى المراجع الحديثة، ذلك أنّ هذا التدرج يمكننا من الكشف عن المسيرة الدلالية للمصطلح.

– **التدرج الدلالي:** والتزاما بهذا المقياس على الدارس في عملية التحليل الدلالي للمصطلح أن يتقيد بالتسلسل التالي: "المعنى الحسي فالعقلي، المعنى الوضعي فالمجازي، المعنى اللغوي فالاصطلاحي، الأصلي فالفرعي، المعنى العام فالخاص"[15] مع الإشارة إلى أنّه من النادر أن تجد مؤلفا واحدا يشير إلى هذه المعاني مجتمعة، وإنّما يمكن للدارس أن يحيط بهذه الدلالات مجتمعة من خلال العودة إلى أكبر عدد ممكن من المصادر التي تتضمن المصطلح المدروس.

– الالتزام بالأمانة العلمية في عملية النقل، فليس على الدارس أن يتصرف في النص، وأن يحرص كل الحرص على نسبة الكلام إلى صاحبه.

ج – الدراسة النّصية: يقصد بالنص عامة كلّ كلام ذي صبغة شفوية أو مكتوبة يدور حول محور ما، أمّا "المراد به في مجال الدراسة المصطلحية فهو الكلام الخاص في تخصص بذاته، أو مجال بعينه مما يتضمنّ المصطلح والمفهوم فكما أنّ المصطلح وعاء للمفهوم، فكذلك النص وعاء للمصطلح، ومعنى ذلك أنّ النصوص التي ليس فيها مادة مصطلحية بوجه من الوجوه لا موضع لها في الدراسة المصطلحية"[16] باعتبار أنّ النّص هو المجال الحيوي الذي يعيش فيه المصطلح، وفي غياب النصوص المتخصصة يتعذر على الدارس أن يحيط بكل جزئيات الدلالة الاصطلاحية للفظ المدروس. ومن ثم فإنّ إخضاع المصطلح للدراسة النصية من شأنه أن يحقق أهدافا كثيرة تتلخص فيما يلي:

– التأكد من درجة الاصطلاحية التي يحظى بها المصطلح المقصود بالدراسة إذ بمقدار تقبل الباحثين وأهل الاختصاص له يقاس مستوى رواجه بينهم، أي صلاحيته في مجال التعبير المتخصص.

– ضبط مفهوم المصطلح لأجل الوصول إلى تعريفه تعريفا شاملا ودقيقا.

– تحديد خصائص المصطلح، وصفاته، وعلاقاته، وضمائمه.

– معرفة الأحوال التي يرد عليها المصطلح (التعريف، التنكير، الاسمية الفعلية...).

– معرفة الحجم الإجمالي لنسبة ورود المصطلح في المتن المدروس.

– تحديد الصفات التي تتعلق بالمصطلح (وظائفه، الصفات التي نعت بها...).

– الإشارة إلى علاقته بغيره من المصطلحات التي تشاركه في نفس المجال المفهومي (الترادف، التضاد، التداخل).

– رصد ضمائم المصطلح المدروس وذلك حينما يرد في شكل مركب مصطلحي يزوده بدلالة اصطلاحية جديدة زيادة على مفهومه العام، وأبرز أشكاله هذه الضمائم (الإضافة والوصف).

– رصد المشتقات، ونعني بها مجموعة الألفاظ الاصطلاحية التي تنتمي لغويا ومفهوميا إلى نفس الجذر اللغوي الذي أخذ منه المصطلح.

– رصد القضايا التي تندرج تحت مفهوم المصطلح موضوع الدراسة "وتتضمنّ كلّ المسائل المستفادة من نصوص المصطلح المدروس وما تتصل به، ومن أصنافها (الأسباب والنتائج والمصادر والمظاهر والشروط والموانع والمجالات والمراتب والأنواع والوظائف والتأثر والتأثير"[17] إلى غير ذلك من المواضيع والمعطيات المتعلقة بمفهوم المصطلح بشكل مباشر أو غير مباشر.

4- الدراسة المفهومية :نقصد بالدراسة المفهومية للمصطلح "مجموع المعاني المفهومة من الألفاظ مصنّفة، وموضوعة في نسق مفهومي معين... ففيها تدرس النتائج المفهومة والمستخلصة من دراسة نصوص المصطلح وما يتصل به

وتصنف هذه النتائج تصنيفا مفهوميا، عبر مجموعة من العناصر المنهجية التي تعين على استخلاص التصور المستفاد من نصوص المصطلح المختلفة"[18]، وعلى هذا عدت الدراسة المفهومية أحد الأركان الأساسية التي تقوم عليها الدراسة المصطلحية، لأنّها تحتوي على كلّ النتائج التي يمكن للدارس أن يصل إليها بعد تحليله للنصوص التي ينتمي إليها المصطلح المدروس .

أ – **عناصر الدراسة المفهومية:** تقوم الدراسة المفهومية على مجموعة من الأسس المنهجية التي تتيح للمصطلحي الاستفادة الكاملة من المراحل التي تسبق هذه الخطوة، والتي تعدّ كلها مراحل تمهيدية لا يمكن للدراسة المفهومية أن تستغني عنها لأنّ النتائج والمفاهيم النهائية التي تستخلصها مبنية كلها على معطيات المراحل السابقة، والعناصر التالية تثبت هذا التلاحم:

❖– **التعريف:** تنطلق الدراسة المفهومية بادئ ذي بدء من التعريف اللغوي للمصطلح حسب ما وصلت إليه الدراسة المعجمية، مع التركيز على المعاني اللغوية التي لها صلة مباشرة بالدلالة الاصطلاحية المتطورة عنها، يعرفه عبد الرحمان بدوي بقوله: "التعريف Dèfinition ويسمي أيضا في كتب المنطق العربية القديمة (القول الشارح) وهو مجموع الصفات التي تكون مفهوم الشيء مميزا عما عداه، وهو إذن والشيء المعرف سواء إذ هما تعبيران أحدهما موجز، والآخر مفصل على شيء واحد بالذات"[19]

ولذا كان من أهم الشروط والمعايير التي يجب أن يتقيد بها التعريف المصطلحي– بوصفه عنصرا من عناصر الدراسة المصطلحية – أن يكون ملما بكلّ العناصر والسمات الدلالية التي ورد ذكرها في النصوص المختارة التي سبق وأن أخضعت للتحليل في مرحلة الدراسة النصية.

❖– **الصفات:** ونعني بها الصفات التي يمكن أن تضيف للمصطلح الأصل مفاهيم ومدلولات جديدة، أو أحكاما تبين لنا درجة الاصطلاحية التي يحظى بها في مقابل مصطلحات أخرى حاملة لنفس المفهوم.

❖- **العلاقات:** يمكن أن يرد المصطلح ضمن شبكة دلالية وسياقية تشركه مع مصطلحات أخرى في مجال مفهومي واحد، والإشارة إلى هذه العلاقات يعتبر شرطا أساسيا لتحديد هوية المصطلح بصورة صحيحة، حيث تتجلى هذه العلاقات في نوعين أساسيين هما:

*- **العلاقات الائتلافية: وتتضمن:**

- الترادف: والمقصود به شدة التقارب الدلالي أو المفهومي بين المصطلح وغيره من المصطلحات "وهي مفردات يمكن أن تكون منظومة مفهومية التي تجمعها علاقات الترادف"[20] وتجعلها منتمية كلها إلى المجال المفهومي للمصطلح المدرس، كالحيز الدلالي الذي يجمع الجدل والحجاج والمخاصمة والمراء وغيرها.

- العموم والخصوص: "وهي علاقة بين ألفاظ تتفق معانيها من وجه، وتختلف من وجه تتفق من جهة دخولها في المعنى العام للمصطلح، وتختلف من جهة اختصاص كل واحدة بمعنى خاص"[21] كالعلاقة بين الفتنة والقتل الذي يعد شكلا من أشكال الفتنة، فهو مفهوم خاص يندرج ضمن مفهوم عام، إذ الفتنة لا تقف عند حدّ القتل فقط.

*- **علاقات الاختلاف:** ونعني بالاختلاف الدلالي أن تكون لفظتان أو أكثر تحملان معنيين مختلفين بحيث لا يمكن الجمع بينهما للدلالة على شيء أو ذات واحدة كالحلال والحرام، الكفر والإيمان، الموت والحياة.

❖- **الضمائم:** يتلخص مفهوم الضمائم في مجال المصطلح في كونها مجموعة من الأشكال التركيبية التي تتولد عن عملية ضمّ المصطلح إلى عناصر أخرى، ممّا يسمح له في هذه الحالة بأن يتزود بدلالات إضافية زيادة على دلالاته المركزية. إذ تتلخص أنواع الضمائم في صنفين رئيسيين هما:

* **الضميمة الوصفية أو البيانية:** وفيها يتخذ المصطلح موقع الموصوف: الزاوية القائمة، الزاوية الحادة، الزاوية المنفرجة...

* **الضميمة الإضافية:** وهي التي يكون المركب المصطلحي المبني فيها وفق نظامها مكونا "من مصطلحين أو أكثر يكون أولهما مضافا مرتبطا بالثاني (المضاف عليه) بعلاقة هي علاقة الإضافة التي تشد من عرى التركيب، وتقرّبه من مفهوم الاسم المرّكب في المنهج اللغوي الأوروبي"[22] ومن أمثلته: براعة الاستهلال، فرط التوصيل...

❖- **المشتقات:** ينقسم الاشتقاق في صورته العامة إلى ثلاثة أصناف هي:

- الاشتقاق اللغوي: وفيه يشترك المشتق والمشتق منه في الهيكل اللفظي دون الاشتراك في المعنى ومنها: الآلي، التأويل.

- الاشتقاق المفهومي: وفيه يتحقق الاشتراك المعنوي أو الدلالي دون الاشتراك في البنية اللفظية (القصيدة، الشعر، المنظومة.)

- الاشتقاق اللغوي المفهومي: "وهو الذي ينتمي إلى نفس الجذر اللغوي للمصطلح، ونفس أسرته المفهومية كالفاسق والفسق والفسوق... وهذا النوع هو المقصود في الدراسة المفهومية"[23]، لأنّه من شأنه أن يكشف لنا أفاق النموّ الخارجي للمصطلح المدروس الذي تكون له تفرعات مفهومية ولفظية تظهر في شكل قوالب اشتقاقية جديدة.

❖- **القضايا:** ونعني بها كلّ المحاور التي لها علاقة بمفهوم المصطلح المدروس، أو بضمائمه ومشتقاته كالأنواع والأصناف التي تندرج تحته أو المظاهر والمجالات التي يعتمد عليه فيها، إضافة إلى الأسباب أو النتائج المترتبة عنه، شرط أن تكون القضايا المطروحة في هذا السياق لها صلة مباشرة بالمصطلح المدروس قصد توسيع مفهومه أكثر.

5- العرض المصطلحي: تعتبر هذه المرحلة أهمّ مرحلة في الدراسة المصطلحية كلّها، لأنّها تتضمن كل النتائج التي تم التوصل إليها من خلال المراحل التمهيدية السالفة، يعرفه الشاهد البوشيخي بأنه يعني: "الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها، وهو الركن الوحيد الذي

يرى بعينه لا بأثره، وجماع القول فيه حسب ما انتهت إليه التجربة أن يكون متضمنا للعناصر الكبرى التالية على الترتيب: التعريف، الصفات، العلاقات الضمائم، المشتقات، القضايا."[24] وما دام العرض المصطلحي هو زبدة الدراسة المصطلحية بكاملها والوجه الحقيقي لها وجب أن تتضمن حوصلة لكلّ النتائج التي توصلت إليها جميع المراحل التمهيدية التي سبقته، ومن ثمّ كان لزاما عليه أن يتضمنّ العناصر الأساسية التالية، شرط أن يُحَافَظَ في عرضها على الترتيب التالي:

– المعنى اللغوي للمصطلح، وخاصة ما له علاقة مباشرة بالدلالة الاصطلاحية.

– المعنى الاصطلاحي العام شرط أن يكون ضمن التخصص الذي يعمل في مجاله المصطلح قيد الدراسة.

كما يذكر فيه زيادة على معناه اللغوي والاصطلاحي كلّ صفات المصطلح وعلاقاته وضمائمه ومشتقاته كما توصل إليها الدارس من كل المراحل السابقة. وبذلك يكون العرض المصطلحي آخر وأهم خطوة تضع الإطار النظري للدراسة المصطلحية حيز التطبيق والممارسة.

6- مفهوم الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم: بناء على الاعتبارات التي سبقت الإشارة إليها بات من الواضح أنّ ألفاظ القرآن الكريم تتميز بخصوصية دلالية تفطنّ لها العلماء العرب في وقت مبكر في خضم دراستهم للنصوص القرآنية، بغرض شرحها وتوضيح مدلولاتها ومن ثم تقريبها إلى عقول الناس وقلوبهم، فألفوا كتبا ومصنفات كثيرة تمحورت حول الكشف عن معاني القرآن الكريم ونظمه وبلاغته، ثم جاء بعدهم دور المحدثين فجددوا مناهج البحوث والدراسات في متن النص القرآني. ومن بين ما أفرزته الدراسات اللغوية الحديثة في هذا المجال اتجاهان أساسيان أولهما يعتبر امتدادا للدراسات التراثية، أمّا الثاني منهما فقد كان وليد الدرس اللغوي التطبيقي الحديث، ويتجلى هذان الاتجاهان فيما يلي:

*- معجمة المصطلح القرآني: يندرج هذا النمط من الدراسات ضمن ما يعرف (بمعاجم الغريب القرآني) إذ يعتمد هذا المنهج على جمع الألفاظ أو المصطلحات القرآنية من متون الآيات القرآنية ونصوص الحديث النبوي الشريف، إضافة إلى الاستعانة بمختلف الدراسات الإسلامية التي تناولت المفاهيم والمقاصد الشرعية بالدرس والتحليل، ثم تصنف هذه الألفاظ وترتب وفق منهج محدد، وبعدها يشار إلى أصولها اللغوية ومختلف السياقات التعبيرية التي وردت فيها.

وقد ازدهرت حركة التصنيف المعجمي في هذا المجال منذ بدايات القرن (2هـ) وتركزت خاصة في مجال شرح غريب القرآن. ومن بين المصنفات التي خاضت في هذا المضمار(غريب القرآن) لابن عباس (114هـ)، (تقريب الغريبين) للرازي(447هـ)، (المفردات في غريب القرآن) "للراغب الأصفهاني (502هـ)، وامتدادا لهذه الحركة المعجمية التراثية في مجال الألفاظ القرآنية ظهرت في العصر الحديث معاجم جديدة تعمل في نفس الإطار، تعمل وفق مناهج وآليات مستحدثة لخدمة نفس الغرض ومنها:

- (فتح الرحمان لطلب آيات القرآن) لفيض الله الحسني المغربي (ظهرت طبعته الأولى سنة 1322).

- ومنها (دليل الحيوان في الكشف عن آيات القرآن) للحاج صالح ناضم (طبع عام 1965). إلى غيرها من المعاجم التي ركزت اهتمامها على البحث في أسرار لغة القرآن الكريم.

*- الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم: هي ضرب من الدراسة العلمية التطبيقية التي تخضع لمنهج خاص، هدفه الكشف عن كلّ المفاهيم التي تعبر عنها المصطلحات المراد دراستها، وعلى هذا الأساس يندرج هذا النمط في إطار (النظرية الخاصة لعلم المصطلح) التي تتكفل بدراسة مصطلحات مجال علمي أو معرفي معين في لغة واحدة. وبناء عليه تقوم الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم على دراسة مجال محدد هو المجال الشرعي في اللغة العربية .

7- **تعريف المصطلح القرآني:** لقد عرفت كلمة مصطلح في التراث العربي على أنه لفظ انتقل من معناه الوضعي الأصيل، إلى مجال الدلالة المتخصصة عن طريق اتفاق المجموعة التي تعتمده، بمعنى أنّ المصطلح هو في أصله لفظ استعير من مجموع الرصيد اللغوي العام لينحصر في مجال التعبير المتخصص ضمن مجال معرفي معين، ومن بين هذه المجالات المجال الديني أو مجال الدراسات المصطلحية القرآنية التي أفرزت ما سمي بـــ (المصطلح القرآني) الذي نعني به مجموع الألفاظ التي اعتمدت في مجال تسمية مفاهيم قرآنية محددة، فهو "إجمالا كلّ لفظ قرآني عبر عن مفهوم قرآني، وتفصيلا كلّ لفظ من ألفاظ القرآن الكريم مفردا كان أم مركبا، اكتسب داخل الاستعمال القرآني خصوصية دلالية قرآنية جعلت منه تعبيرا عن مفهوم معين، له موقع خاص داخل الرؤية القرآنية ونسقها المفهومي"[25] بكلّ ما تحمله من مُثُل دينية وأحكام وضوابط شرعية، وتدخل في حيزها ألفاظ العبادات والمعاملات وعلوم القرآن وغيرها، ومن هذا المنطلق اعتمد على مقابل مصطلحي آخر للتعبير عن المفهوم السابق وهو (المصطلح الشرعي) "فأمّا الشرعي فنسبة إلى الشرع وهو "البيان والإظهار، يقال شرع الله كذا أي جعله طريقا ومذهبا لخلقه، ومن ذلك أيضا الشريعة وتعني الطريقة الإلهية"[26]

وانطلاقا من هذا المبدأ يعرّف المصطلح الشرعي بأنّه "المعنى المطابق لما أراده الشارع، وسُمي أيضا بالمعنى الشرعي لأنّ الأمور الشرعية من موضوعات الشارع وحده، ولا دخل فيها لاصطلاح الناس أو اتفاقهم أو وضعهم"[27] وقياسا على ذلك فإنّ المصطلح الشرعي أو القرآني هو ما استعمله الله عز وجل في معنى خاص ثم بلغه الرسول عليه الصلاة والسلام، وعلى هذا فما اشتمل عليه متن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فهو من المصطلحات القرآنية أو الشرعية وما لم يرد فيه فهو ليس منها.

وفي السياق نفسه دائما تجدر الإشارة إلى أنّ هناك فريق آخر من الدارسين يعارض فكرة وصف هذا النمط من الألفاظ (بالمصطلحات)، باعتبار أنّ المصطلح

كما أشرنا سلفا هو ما تواضع واصطلح عليه مجموعة من الناس تربطهم انشغالات واهتمامات مشتركة، وكما هو معلوم فإنّ اللفظ الشرعي لا يندرج في إطار هذا النوع لأنّه وليد توقيف، وليس وليد تواضع واتفاق. عن هذا يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: "...إنّ القرآن الكريم قد جاء بكثير من الألفاظ التي يمكن أن تعد من قبيل الاصطلاحات كالصلاة ومعناها اللغوي الدعاء، واصطلاحا أقوال وهيئات مخصوصة من قيام وقراءة وركوع وسجود وقعود .... إلى غير ذلك من الألفاظ القرآنية التي هي قطعا من الاصطلاحات، ولا يمكن القول بأنّ معناها الاصطلاحي ناشئ عن اتفاق طائفة معينة بشأنه، فقد أنزلها الله سبحانه بمعناها الخاص من فوق سبع سنوات"[28] ووفقا لهذا الاعتبار يفضل أصحاب هذا الاتجاه تسمية هذا النوع من الكلمات بالألفاظ القرآنية، عوضا عن المصطلحات القرآنية حفاظا على خصوصيتها وتميزها.

8- أصول المصطلحات القرآنية: تشير الدراسات التي تناولت موضوع المصطلحات القرآنية أنّ هذه الأخيرة من حيث أصولها اللغوية ثلاثة أصناف هي:

– هناك مصطلحات قرآنية خضعت للتغيير الدلالي، بمعنى أنّها كانت متأصلة في متن اللغة العربية قبل مجيء الإسلام لكنّ الشرع أكسبها دلالة دينية جديدة "ذلك أنّ الأسماء التي هي مشتقة من ألفاظ العرب ولم تعرف قبل ذلك مثل: المسلم والمؤمن والمنافق والكافر، لم تكن العرب تعرفها لأنّ الإسلام والإيمان والنفاق والكفر ظهر على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم– وإنّما كانت العرب تعرف الكافر كافر نعمة ولا تعرفه من معنى الكفر بالله(...) وكانت تعرف المؤمن من جهة الأمان (...)"[29]

– "وهناك مصطلحات جديدة لم تكن مألوفة في لغة العرب قبل مجيء الشريعة الإسلامية بها منها: القرآن والإسلام والآذان والزكاة والجهاد وفتنة القبر وغير ذلك."[30]

– الصنف الأخير من المصطلحات يتمثل في ذلك النوع الذي يوافق" ما كانت العرب تعرفه شكلا ومضمونا، قلبا وقالبا مثل: الكعبة والجزية والخراج وغيرها..."[31] فظاهرة المصطلحات القرآنية في العربية كغيرها من الألفاظ انتقلت من الحيّز اللغوي العام إلى حيّز التخصص الشرعي بفعل عوامل كثيرة منها: تطور الدلالة بانتقالها من الدلالة الحسية إلى المعنوية، أو انتقال اللفظ من التعبير الحقيقي إلى التعبير المجازي، أو خضوعه لظاهرة التعميم أو التخصيص الدلالي... إلى غيرها من الظواهر التي تسهم بشكل أو آخر في مسيرة التطور اللغوي.

9- مراحل الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم: لتوضيح هذه المراحل اخترنا نموذجا تطبيقيا يتمثل في مصطلح (التقوى) الذي كان موضوع دراسة مصطلحية صاحبها الدكتور: **محمد البوزي** تحت عنوان **(مفهوم التقوى في القرآن الكريم والحديث – دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي)**، ولأنّ المقام لا يتسع إلى عرض كل المراحل بمحتوياتها، ارتأينا أن نشير فقط إلى الخطوط العريضة لهذه المراحل، كما سنشير في نهاية المطاف إلى الحوصلة النهائية التي وصل إليها صاحب الدراسة، والتي لخصها في أخر مرحلة من البحث.

وعلى هذا مرّ الدارس بمجموعة من الخطوات المنهجية سار فيها على النهج المسطر في مجال الدراسات المصطلحية العامة، وذلك على النحو التالي:

***- في مجال الدراسات الإحصائية:**

– إحصاء لفظ (التقوى) كما ورد في كامل النصوص القرآنية الكريمة بدءا من سورة الفاتحة وصولا إلى سورة الناس.

– التصنيف المبدئي للألفاظ المتحصل عليها ما بين الدلالتين اللغوية والاصطلاحية.

– العودة إلى التفاسير لأجل توضيح دلالة مشتقات (التقوى) ذلك أنّ هذا اللفظ على غرار باقي الألفاظ القرآنية كثيرا ما يحمل في بعض الآيات القرآنية الدلالة اللغوية فقط، بينما يحمل في آيات أخرى الدلالة الاصطلاحية وحدها.

– التصنيف النهائي لمجموع البنى اللفظية الواردة في الآيات السابقة لأجل إفراغها في جدول تصنيفي يجمع بين المصطلح ومشتقاته الفعلية والاسمية.

– الرجوع إلى الأحاديث النبوية الشريفة وإحصاء نسبة ورود لفظ التقوى أو أحد مشتقاته فيها.

*– **في مجال الدراسة المعجمية:** تمّ من خلال هذه المرحلة العودة إلى المعاجم اللغوية والمصطلحية المتخصصة، تم ترتيبها ترتيبا زمنيا بغرض تدوين المادة المعجمية المتعلقة بمصطلح التقوى من خلال الشروح والإستشهادات الواردة فيها.

– تسجيل التعاريف التي تناولت مصطلح (التقوى) بالرجوع إلى تفاسير القرآن الكريم.

– تصنيف هذه التعاريف لرصد تطور دلالة المصطلح لغويا واصطلاحيا.

– تحديد المأخذ الأصلي لمصطلح (التقوى) وهو (وقى) ومصدره (الوقاية) ودلالته المحورية هي الحفظ والصيانة، وقد تفرع عنها الفعل الخماسي (اتقى) الذي يدل على معنى الاتخاذ.

* **في مجال الدراسة النصية: وفيها** تُفْرَغ المشتقات التي عثر عليها في المصادر السابقة في شكل جدول بواجهتين:

– واجهة عمودية: يذكر فيها مورد اللفظ المدروس (أي نصوص الآيات التي ورد فيها).

– واجهة أفقية: تتضمن معطيات التحليل التي وصلت إليها المراحل السابقة وتتلخص في:

– المخاطبون بالتقوى في السياق.

– موقع الجملة والعامل النحوي فيها.

– المعنى الخاص للفظ التقوى.

– صفات المصطلح أو الحكم عليه تبعاً للمتصف بالتقوى أو المطالب بها.

– علاقات المصطلح (المتصف بالتقوى).

– ضمائم المصطلح (أي الأشكال التركيبية التي ورد فيها مصطلح التقوى).

نشير في هذا السياق إلى أنّ الباحث قد اعتمد على الجدول نفسه في دراسة مشتقات لفظ (التقوى) ولكن هذه المرة ركز على نوعية المشتقات الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة فقط، بتعويض الخانة المخصصة لمقام الورود بالموضوع الذي ورد في الحديث، مقابل السياق القرآني.

* **في مجال الدراسة المفهومية:** عمد فيها صاحب الدراسة إلى استخلاص كلّ المعطيات والمفاهيم المتعلقة بكل مشتق على حدى، حيث تتلخص هذه المفاهيم بشكل خاص في (مجال التقوى، ووظيفة لفظ التقوى في الترغيب أو الترهيب، ثم تحديد ضمائمه، مع تحديد نوعيتها ثم إيراد القضايا المندرجة تحت مفهوم التقوى).

هـ– في مجال العرض المصطلحي: تعتبر هذه الخطوة – كما تمت الإشارة إليها سابقا– آخر خطوة في الدراسة لأنّها تعتبر المحصلة النهائية لكل ما ورد فيها وبالتالي سنكتفي بعرض مجمل النتائج التي وصل إليها صاحب الدراسة لأنّ المقام لا يتسع لعرضها كلها، وعليه تم عرض خلاصة الدراسة فيما يلي:

"... والتقوى بمعناها الشرعي لا تقتصر على معنى الخشية والخوف من غضب الله وعقابه الذي يُفسَّر به عادة قوله تعالى (اتقوا الله)، وإن كان ذلك هو الأصل فيها، وإنما التقوى ــ كما يدل عليه مدح المتقين في القرآن الكريم ونعتهم بأولياء الله وأحبابه ــ مبدأها الخوف من الله، ومنتهاها محبته والتقرب إليه، أو الاحتماء به، مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (احفظ الله يحفظك) لأنّه لا منجى ولا ملجأ من الله إلا إليه.

– يدل حجم ورود مشتقات مصطلح (التقوى) في نصوص القرآن والحديث على حضور المفهوم في النصوص الشرعية بقوة، وفي كل المجالات القرآنية العقدية والتشريعية والأخلاقية والتربوية.

– ويدل ارتفاع نسبة المشتقات الفعلية بالنسبة للمشتقات الاسمية (70% من مجموع النوعين) فضلا عن الصفات القريبة من الأفعال كاسم الفاعل والصفة المشبهة ــ على أنّ مصطلح التقوى مصطلح عملي حركي وليس تجريدا مثاليا بعيد التحقق، ولا هو مصطلح سلبي يدل على الزهد أو الكف المطلق عن الفعل ومن ثمة فإن التقوى عقيدة عمل ...

– فعل أمر التقوى يمتاز بوروده غالبا في سياق التحذير والترهيب، بينما الماضي والمضارع يردان في مقامي الترغيب والترهيب معا، في حين ترد المشتقات الاسمية غالبا في مقام الترغيب مقترنة بأعمال المتقين وحسن جزائهم."[32]

وفي أخر الدراسة يخرج الباحث بجملة من النتائج العامة التي لا تخدم البحوث المصطلحية فقط، وإنّما تحقق أبعادا كثيرة تتجلى أبرزها في الفهم الصحيح لهذا المصطلح، والوقوف على جملة الدلالات الاصطلاحية التي يحملها هذا المصطلح في متن النصوص القرآنية، وعلى هذا يخلص صاحب الدراسة بنتيجة جامعة يقول

فيها: "أمّا ثمرة توظيف منهج الدراسة المصطلحية في دراسة مفهوم التقوى فتتجلى في إبراز ما خفي من جوانب التقوى، وتصحيح بعض الفهوم الخاطئة عنها ومن ذلك:

ــ إبراز كون جانب الفعل أقوى من جانب الترك في التقوى خلاف ما يُعتقد.

ــ التقوى مفهوم إيماني عملي لا ينسجم إطلاقا مع الفكر الإرجائي الذي يفصل الإيمان عن العمل، كما أن التقوى ليست مقاما خاصا بالأولياء والصديقين، ولا هي خصلة من سماتها التبتل وعزلة الناس وإظهار الزهد في الدنيا والدروشة، وغير ذلك، مما علق بها في أذهان البعض من جراء أثر الجهل بحقائق الإسلام..."[33]

ختاما نصل إلى القول بأنّ حداثة علم المصطلح في الدراسات العربية جعل الدراسة المصطلحية موازاة مع ذلك علما يافعا، لا يزال في طور النشأة والتكوين ونظرا للأهمية الكبيرة التي يتمتع بها هذا النوع من الدراسات فقد طبقت مناهجها على نصوص القرآن الكريم أملاً في الوصول إلى مفاهيم صحيحة، ذلك أنّ إخضاع المصطلح للمعايير العلمية المنهجية توصل الدارس إلى تحديد معانيه ودلالاته بصورة دقيقة، ممّا يعني أنّ النتائج المتوصل إليها تكون على قدر كبير من الموضوعية إذ تغيب فيها ذاتية الباحث، وتلغى الأفكار المسبقة عن الموضوع المدروس. ومن ثمّ فهي سبيل إلى الحدّ من اختلاف التفاسير والشروح التي تهتم بدراسة النصوص القرآنية، وكل هذا يقف دعامة في وجه تعدد الآراء واختلاف الاتجاهات وكثرة الصراعات التي يكون مردها في الغالب غياب الفهم الصحيح للألفاظ والمصطلحات الشرعية، إذ أنّ كل هذا مدعاة إلى تصدّع الأمة وانشقاقها

وتفرق أبنائها، خاصة وأنّ القرآن الكريم هو أحد أهمّ المقومات التي تحافظ على تماسك الأمة لأنه حامل التشريع الإلهي إليهم.

ولا سبيل إلى محاربة كلّ ذلك إلا بالفهم الصحيح لألفاظ ومقاصد النص القرآني الكريم عن طريق بناء صرح قوي بالدراسة المصطلحية التي يمكنها أن تحفظه وتقيه من التحريفات والتشوهات.

الهوامش:

1 – تعليق عبد الغني الودغيري على منهج المعجمية، دار المعارف، الرباط، ط1، دت، ص160

2– أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية وغيرهم، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية سلسلة الكتاب الطبي الجامعي، البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية، 2005، ص199

3 – فريدة زمرد، مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف، مطبعة أنفوبرانت، فاس ط2، 2005، ص 38

4– فريدة زمرد، آفاق تطوير الدرس المصطلحي للقرآن الكريم مفهوما ومنهجا، وقائع المؤتمر العالمي الثاني للبحث في القرآن الكريم وعلومه، ص286

5– إدريس الفاسي الفهزي، الإحصاء في الدراسة المصطلحية، مجلة دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، فاس، ع 5، 1426 هـ، 2005 م، ص18

6– أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية، الكتاب الطبي الجامعي، ص201

3– من تقديم الدكتور الشاهد البوشيخي لكتاب الدكتور محمد أزهري، مصطلح القافية من الأحفش الأوسط إلى حازم القرطاجي (دراسة مصطلحية) رسالة نيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، المغرب، 2002–2003، ص4

8– كمال بشر، دراسات في علم المعنى، بحث مقرر في كلية دار العلوم، القاهرة، ص24

9– رشدي فكار، في المنهجية والحوار، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، دت،ص23–24

10– الشاهد البوشيخي، مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، مطبعة أنفوبرانت، فاس 1423هـ، 2002م، ص3

11– القرشي عبد الرحيم البشير، المصطلح الشرعي ومنهجية الدراسة المصطلحية، مجلة جامعة القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، ع13، 1427 هـ، 2006م، ص 122.

12- الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، مطبعة أنفوبرانت، فاس، المغرب، ط1 2002، ص 22 -23
13- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
14- محمد أزهري، مصطلح القافية من الأحفش الأوسط إلى حازم القرطاجي، ص37
15- مصطفى فوضيل، الدراسة المعجمية للمصطلح، ع 5، 1426 هـ، 2005م، ص36، نقلا عن مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، ص 18
16- مصطفى فوضيل، الدراسة النصية للمصطلح، دراسات مصطلحية، مكتب تنسيف التعريب الرباط، ع 5، 2005 م، ص 42.
17- الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، دراسات مصطلحية 2، مطبعة أنفوبرانت فاس، ط3، يونيو، 2004، ص 24-25.
18- فريدة زمرد، الدراسة المفهومية (تعريفها وأنواعها وعناصرها المنهجية)، مجلة دراسات مصطلحية، ع5، 2005م، ص53
19- إدريس الفاسي الفهزي، الإحصاء في الدراسة المصطلحية، مجلة دراسات مصطلحية معهد الدراسات، ع5، 1426 هـ، 2005 م، ص 18.
20- مهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 81 ،ج 3، ص 533.
21- فريدة زمرد، الدراسة المفهومية للمصطلح (تعريفها وأنواعها وعناصرها المنهجية)، ص56.
22- جواد حسني سماعنة، التركيب المصطلحي: طبيعته النظرية وأنماطه التطبيقية، اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع50، 2000، ص45.
23- فريدة زمرد، الدراسة المفهومية (تعريفها وأنواعها وعناصرها المنهجية)، ص57
24- الشاهد البوشيخي، مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجاد 78، ج3، ص 299.
25- الشاهد البوشيخي، القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، سلسلة دراسات مصطلحية رقم 4 مطبعة أنفوبرانت، فاس، 1423هـ، 2002م، ص20.
26- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تح ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت 1405هـ، ص166.
27- أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1419هـ، 1988م، ص129، بتصرف.

28- عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، مصر، دط، دت، ص118
29- عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو، المصطلح الشرعي وترجمة معاني القرن الكريم (دراسة تحليلية)، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة، ع4، السنة الثانية، نوفمبر 2010، ص283.
30- عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو، المصطلح الشرعي وترجمة معاني القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة، ع4، السنة الثانية، نوفمبر 2010، ص238.
31- حسين بن سعيد غزالة، ترجمة المصطلحات الإسلامية (مشاكل وحلول)، من بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1423 هـ، ص1.
32- محمد البوزي، مفهوم التقوى في القرآن الكريم والحديث (دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي)، دار السلام، القاهرة، ط1، 2011، الخاتمة.
33- محمد البوزي، مفهوم التقوى في القرآن الكريم والحديث (دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي)، الخاتمة.

المدوّنة الحاسوبيّة وصناعة المعجم العربي.

أ. كاهنة محيوت

جامعة مولود معمري، تيزي- وزو

مقدّمة: إنّ المدوّنة الحاسوبيّة مجموعة مشكّلة من النّصوص اللّغويّة المكتوبة أو المنطوقة، التي نقوم بقراءتها بواسطة الحاسوب، وتكون هذه المدوّنة مصحوبة بالشّروح التي تبيّن مكوّناتها اللّغويّة المختلفة. وتمدّنا المدوّنة بالبراهين والأدلّة والأمثلة حول طريقة استعمال اللّغة في سياقات الكلام المتنوّعة؛ بحيث يستطيع اللّغويّ أن ينجز من خلالها ما شاء من البحوث الأكاديميّة اللّسانيّة واللّغويّة، بيْد أنّ عدم استجابة المدوّنة الحاسوبيّة لهذه الشّروط، عُدّت دون فائدة، وبالتّالي لا وظيفة لها. وعلى إثر ذلك أقول إنّ المدوّنة الحاسوبيّة تدرس الظّاهرة اللّغويّة من خلال مجموعة كبيرة من النّصوص التي يمكن قراءتها آليّا، ومنه، فإنّها تحلّ جزءً من الأزمات التي يواجهها المعجم العربيّ. إنّ إشكالية هذا البحث تتمثّل في ما يلي: **ما علاقة لسانيّات المدوّنة الحاسوبيّة بالمعجم العربي؟** وللإجابة على هذه الإشكاليّة سوف أعمد إلى طرق العناصر التّالية: تعريف المدوّنة، وعلاقتها باللّسانيّات الحاسوبيّة، استخدامها في البحث اللّغويّ، كيفيّة البحث فيها للوصول إلى المصطلحات، ومجالات استخدامها وصعوباتها، إسهامها في حل مشاكل الألفاظ – على سبيل المثال لا الحصر- في المعجم العربيّ، وعلاقتها به، وكيفيّة تطبيقها عليه لتطويره آليّا شكلا ومضمونا، ومدى مواكبة المعجم العربي للتكنولوجيا في مجال استخدام المصطلح في المعجم.

إنّ المعجم كتاب يضمّ بين دفّتيه أكبر عدد ممكن من كلمات أو ألفاظ تنتمي إلى لغة ما، وتبيّن كيفيّة استعمالها من خلال السّياقات المختلفة، ترد في مقدّمة كلّ معجم مهما كان نوعه، طريقة استعماله ومعاني الرّموز التي يحتويها في ثنايا

المداخل، وذلك سيكون ذا فائدة إن صاحبه التّطوّر التّكنولوجيّ، أي وجود حاسوب متطوّر يتولّى خزن الموادّ المعجميّة بطريقة آليّة ومحوسبة، ومن هنا تظهر لنا أهمّية الحاسوب في الصّناعة المعجميّة على وجه الخصوص، وفي حياتنا العامّة اليوميّة والعمليّة على وجه العموم، بحيث أصبحنا لا نستطيع الاستغناء عنه ولو بشكل من الأشكال، لأنّه أصبح ضرورة معاصرة. و"إنّ توفير معجم لسانيّ عربيّ موسوعيّ أحاديّ اللّغة، ومعجم آخر موحّد لمصطلحات اللّسانيّات متعدّد اللّغات سيعتبر من أفضل الوسائط المساعدة على ترجمة الأعمال اللّسانيّة الغربيّة الحديثة وسيكون محطّة بارزة في الوصول بهذا العلم إلى العالم العربيّ، إلى ما يصبو إليه أهله من نضج واكتمال وتأصيل، والواضح أنّ التّقنيّات الحاسوبيّة ستيسّر أمر بناء المعجم اللّسانيّ الموسوعيّ الأحاديّ اللّغة بإسهامها في تدوين عدد ضخم من المداخل اللّسانيّة وترتيبها، وتقديم تعريفات مفصّلة لمفاهيمها، والأمل كبير في أن ينحو هذا المعجم الآليّ نحو أشهر الموسوعات الآليّة المنجزة فيسهّل عمليّات البحث عن المصطلح ومرادفاته بسرعة، ويستحسن أن يكون مرفقا بالصّور والرّسوم البيانيّة والجداول الموضّحة لانتماء المصطلح المدوّن إلى منظومة من المفاهيم[1]" ومعنى ذلك أنّ التّقنيّات الحديثة، والتي من بينها الحاسوب، من شأنها أن تسهم في تطوير المعاجم، أحاديّة اللّغة أم ثنائيّة أم متعدّدة اللّغات، وهي تساعد في التّرجمة الآليّة لها، من خلال استغلال معدّات الجهاز الإلكترونيّ، وتتجلّى هذه المساعدة أصلاً في خزن مداخل المعجم، وترتيبها بحسب نمط التّرتيب المختار لها، وتظهر أهمّيّة هذه الخطوة في تسيير البحث على طالب العلم، أو مستغلّي هذه المعاجم والوصول إلى هذه النّفائس من الكتب في آخر نقطة من العالم، وفي أيّ بلد وُجدت أو يصنعها؛ فبعد أن كانت ورقيّة محصورة في نقطة معيّنة من الأرض، وبين أهلها، أصبحت اليوم سهلة المنال وفي متناول الجميع بفضل الحوسبة والأجهزة الألّيّة والتّكنولوجيّة المتطوّرة، وبفضل الشّابكة العالميّة؛ بحيث يمكن لمتصفّحيها عبر الأنترنيت أن يقرؤوا فيها ما يشاؤون، كما أنّ هذا التّطوّر المذهل في ترقية

الحاسوب، جعلت في إمكان الحاسوبيّين واللّغويّين والمعجميّين والتّقنيّين المختصّين في هذين المجالين – الحاسوب وعلم المعاجم- أن يغيّروا في هذه المعاجم المصنوعة كلّما استدعت الحاجة أو الضّرورة ذلك، ويحدث ذلك مباشرة على الجهاز الآليّ لا على الورقيّ من المعاجم، وبذلك يكون التّعب ناقصا لا مضاعفا بحذف أو زيادة أو تعديل بعض المداخل أو المعلومات المختلفة الواردة فيها، جزئيّا أو كلّيّا.

وكذلك "يؤدي الحاسوب وظيفة الاتّصال على درجة عالية من الكفاية التي تتمثّل في مقدار المعلومات المختزنة وفي سرعة أدائها، وقد حدث تطوّر هائل متسارع في أداء الحاسوب إلى حدّ الآن، وشركات الحاسوب الكبرى والمؤسّسات العلميّة في أمريكا والغرب واليابان التي تعمل على إنشاء جيل ذي قدرة فائقة في سعة المعلومات وسرعة استدعائها وتقديمها[2]" وذلك إن دلّ على شيء، إنّما يدلّ على أنّه وإلى حدّ السّاعة، مازال التّطوّر يتزايد في هذه الأجهزة، وبالإمكان حتّى حمل المعاجم في الهواتف الذّكيّة من الجيل الثّالث، وكذلك أصبح الحاسوب اليوم يتضمّن كافّة المعدّات وطرائق الاستخدام؛ بحيث يمكنه من خلال كفاءاته التي يتوفّر عليها، من حيث كمّيّة المعلومات ونوعيّتها، وكذا سرعة استحضارها في دقائق معدودات، وفي الوقت الذي نرغبها فيه.

"ولا يقتصر الاتّصال في الحاسوب على الجانب المكتوب من اللّغة، فإنّ الحاسوب يؤدّي وظائف اتّصاليّة على مستوى الصّوت، والكتابة والصّورة، وهذا يجعل المعلومات قابلة للتّداول الصّحيح المتكامل الذي تتكامل فيه الكلمة مع نطقها والمرجع الذي تدلّ عليه.، وكلّه تطوير للأداء اللّغويّ[3]"؛ ومعنى ذلك أنّ الحاسوب متعدّد الوظائف؛ فلم يعد يقوم بعمليّة الكتابة فقط، وإنّما يمكنه أيضا الكتابة آليّا من خلال إعطائه الجمل أو النّصوص بالصّوت فقط، وذلك أشبه بالحديث إليه عن طريق الإملاء عليه، وهو يقوم بتدوينها على الفور، وذلك كلّه بفضل التّطوّر

المذهل الحاصل في هذا المجال، ويمكن القول إنّ العلم أبدا لا ينفذ، ومازال ينتظر الاستكشاف.

"وعن طريق الحاسوب يمكننا أن نبني معجما لغويا شاملا ودقيقا، ويمكن تصميم برامج لدراسة الظواهر الصرفيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة في العربيّة[4]"؛ وذلك يدلّ على أنّ التّطوّر الآليّ الإلكترونيّ يستدعي بالضّرورة تطوّر المعاجم، فبهذه الطّريقة التّكنولوجيّة السّريعة جدّا يمكن صناعة معجم لغويّ عامّ أو متخصّص يكون ذا جودة ونوعيّة، وشاملا لكلّ ألفاظ اللّغة بكلّ دقّة وموضوعيّة وعلميّة، مع العلم أنّه بإمكان المعجميّين تصميم برامج خاصّة بدراسة مختلف الظّواهر المتّصلة باللّغة، من صرفيّة ودلاليّة وتركيبيّة... إلخ.

"غير أنّ للجمع والمنع في التّصنيف المعجميّ في الحاسوب ميزة عظيمة جدّا فهو يفيد في الميز بين المستعمل والمهمل، ولكن لا يمكن للحاسوب إمدادنا بما لم نبرمجه عليه بالشّكل والحركات الإعرابيّة[5]"؛ ومعنى ذلك أنّ الحاسوب غير قادر على تشكيل الكلمة، وإعطائها للباحث على اختلاف نطقها ومعناها بحسب حركتها وإعرابها، وبخاصّة إذا لم يُبرمَج على ذلك؛ لأنّه لا يتمتّع بالمؤهّلات العقليّة التي لدى الإنسان العاقل، وكذلك لا يمكنه إعطاؤنا بالتّراكيب الجميلة؛ لأنّه غير ذي إحساس بالجمال اللّغويّ، فهو مجرّد آلة تطبّق ما تؤمر به من طرف الإنسان، وهذا الأخير الوحيد الذي يمكنه تحسين الجمل والنّصوص المترجمة آليّا.

"تعدّ علاقة تحديد الوظيفة ذات أهميّة قصوى في الدّراسات المصطلحيّة، فلا عجب أن تنعت التعريفات الوظيفيّة بالتّعريفات العمليّة، وترتكز هذه العلاقة على وصف المفهوم أو الموضوع، وتعيين وظيفته وأنماط استعماله، وكيفيّات تداوله كما تعبّر عن الرّباط القائم بين الوحدة (الموضوع المادّيّ، الشّخص، المفهوم) والنّشاط المترتّب عنها بشكل مباشر، ومن أمثلتها بالمعجم المنهجيّ للمصطلحيّة: تعريف المدوّنة (Nomenclature) بكونها: لائحة مصطلحات تمثّل العلاقات بين

مفاهيم متلاحمة التّركيب، وتشير إلى قواعد منهجيّة في التّسمية مثال: مدوّنة الكيمياء.[6]"

وهناك أسباب لاستخدام الحاسوب في الصّناعة المعجميّة من زاوية نظر الدّكتور (عليّ القاسميّ)، وقد ذكرها في النّقاط التّالية:

- "استحالة إلمام فرد أو عدّة أفراد بجميع المصطلحات العلميّة والتّقنيّة استخدام الحاسوب في خزن المصطلحات ومعالجتها يؤدّي إلى الإسراع في عمليّة التّرجمة اليدويّة، إن لم تتيسّر التّرجمة الآليّة، وذلك عن طريق توفير المعلومات المساعدة التي يحتاجها المترجم، يؤدّي استخدام الحاسوب في ترجمة المصطلحات إلى تحسين نوعيّة التّرجمة وذلك لشموليّة الحاسوب، سهولة تطوير رصيد المصطلحات المخزون في ذاكرة الحاسوب وتحديثه، وسهولة التّنسيق بين المقابلات أو بين المصطلحات الموضوعة لمفهوم واحد من قبل جهات متعدّدة وبالتّالي يسهل الوقوف على الازدواج المصطلحيّ[7]"؛ وذلك كلّه يعني أنّ الحاسوب في أساسه مصنوع من أجل العمليّات الرّياضيّة والحسابيّة، وتخطيط الهندسات والتّكنولوجيا، وغيرها من التّقنيّات الحديثة، ولكنّه اليوم تطوّر بشكل ملفت للانتباه إلى أن أصبح على هو عليه في عصرنا، فالحاسوب يملك الوحدات الضّروريّة التي تجعله قادرا على التّرجمة الآليّة، وعلى سائر البرمجيّات الأخرى التي بُرمج عليها ابتغاء إنتاج عمل نصّي معيّن.

ويستعمل الحاسوب على هذه الحال لأغراض علميّة متعدّدة، وبخاصّة التّرجمة وفي الصّناعة المعجميّة، في الوقت الذي لا يملك فيه الأفراد الوقت الكافي لترجمة نصوص كثيرة ومتنوّعة في حقول المعارف المتنوّعة، وبخاصّة إذا كانت مستعجلة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ المترجم لا يتوصّل في كثير من الأحيان إلى إيجاد الكلمات أو المصطلحات الدّقيقة والصّحيحة؛ فالمترجمون ليسوا سواء، إذ يوجد عند هذا ما لا يوجد عند ذاك، فاللّسان مستودع ومخزّن في الأدمغة البشريّة – على حدّ تعبير العالم فرديناند دي سوسير Ferdinand De Saussure-

ولا يوجد بالتّمام عند شخص واحد، وإنّما باجتماع جميع الأرصدة اللّغويّة التي تشكّل في مجموعها اللّسان المعيّن: عربيّ أو فرنسيّ أو ألمانيّ؛ وبالتّالي، فإنّ خزن المعلومات المترجمة بدقّة وموضوعيّة وبإجماع العلماء المختصّين: من لغويّين وحاسوبيّين، وتقنيّين ومعجميّين، يمكّن من توحيد التّرجمات من خلال توحيد المصطلحات - هذا الموضوع الشّائك هو الآخر، والذي توخّل فيه البحثة العرب ولم يصلوا بشأنه إلى التّوحيد العام والشّائك لكثير من المصطلحات العلميّة واللّغوية-والعودة إليها واستخدامها في صناعة المعاجم المحوسبة، الثّنائيّة أو المتعدّدة اللّغات، وذلك لا يتحقّق بسهولة ويسر إلاّ في ظلّ وجود مدوّنة محوسبة إلكترونيّة متّفق عليها؛ وذلك يعني التّوحيد المصطلحيّ؛ لأنّ الحاسوب لا يمكنه تغيير نوعيّة التّرجمة ما لم يُبرمَج على ذلك من طرف فرق البحث المتخصّصة في وضع البرامج في الحاسوب، وإذا ما توصّلوا إلى هذه النّتيجة الإيجابيّة، فسوف يكون ذلك انتصارا لنا جميعا، لوصولنا إلى التّوحيد والشّمول في علم المصطلح وبالتالي، الخروج من دائرة المصطلحات العشوائيّة المترجمة للمفهوم الواحد بعدّة صيغ؛ أي الازدواج المصطلحيّ على حدّ تعبير الدّكتور (عليّ القاسميّ) المختصّ في علم المصطلح والمعجم.

إنّ للفظة "مدوّنة" تاريخ سابق، ويقول (عليّ القاسميّ) بشأنه إنّ العرب قد استعملوه ابتداءً من النّصف الأوّل من القرن العشرين الميلاديّ، ففي البداية، كان مصطلحا يطلق على القوانين والأحكام الفقهيّة، مثل مدوّنة القانون المدني، ولكنّي أرى أنّ هذا اللّفظ غير متداول حاليّا في القانون، وإنّما أصبح فقهاء القانون يطلقون فقط أسماء القوانين دون كلمة "مدوّنة"، مثلا: القانون الجنائيّ، القانون البحريّ قانون الأسرة أو الأحوال الشّخصيّة، القانون المدني والدّستوري والإداري... إلخ. وإذا ما نظرنا إلى مفهوم المدوّنة في العصر المعاصر، قلنا إنّها حزمة مصطلحات تشكّل رصيدا لغويّا معرفيّا معيّنا، والتي يدرسها الباحث ويتناولها بالبحث والتّنقيب والتّحليل الموضوعيّ؛ "فالمدوّنة هي مجموعة من النّصوص تمثّل اللّغة في عصر

من عصورها، أو في مجال من مجالات استعمالها، أو في منطقة جغرافيّة معيّنة أو في مستوى من مستوياتها، والمدوّنة إمّا أن تُجمع يدويّا وتُقرأ ورقيّا، وإمّا –كما هو شائع حاليّا- تُخزّن في الحاسوب، وتعالج وتقرأ إلكترونيّا. ونستعمل المدوّنة من أجل دراسة اللّغة وتحليلها ومعرفتها من خلال نماذج منها وردت بصورة طبيعيّة مستخدمين قدراتنا على الملاحظة التي هي أم المعرفة.[8]" وذلك إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ المدوّنة على هذه الشّاكلة، تمثّل مخزن النّصوص المشكّلة من مجموع الكلمات والجمل، التي تنتمي إلى لغة ما، وفي زمن معيّن، ويحدّد فيها مجال التّخصّص، إن كان علميّا أو تاريخيّا أو جغرافيّا، أو أدبيّا ولغويّا. وكانت في الماضي تجمع في الدّفاتر المصنوعة من الورق أو المجلّدات الضّخمة، ولكنّها حاليّا أصبحت متطوّرة وتجمع في الحاسوب، ويعود إليها الباحث في أيّ وقت، في أيّة نقطة من العالم، والهدف من المدوّنة من وجهة نظر الدّكتور (عليّ القاسميّ) هي استخدام القدرات العقليّة والملاحظة الدّقيقة، من أجل تحليل ودراسة اللّغة دراسة علميّة، ابتغاء الوصول إلى بعض الخصائص الأخرى المخفيّة، والأسرار الكامنة فيها، والخروج بنظريّات جديدة أكثر عصرنةً.

<u>تعريف المدوّنة الحاسوبيّة</u>: "هي عبارة عن مجموعة مهيكلة من النّصوص اللّغويّة الكاملة المكتوبة أو المنطوقة التي تقرأ إلكترونيّا، وكثيرا ما تكون هذه النّصوص مصحوبة بالشّارات الشّارحة لمكوّناتها اللّغويّة[9]"؛ بمعنى أنّ المدوّنة موجودة على نوعين: مدوّنة ورقيّة تقليديّة، ومدوّنة عصريّة حاسوبيّة إلكترونيّة تحتوي مجموعة معتبرة من النّصوص اللّغويّة، مصحوبة بالشّرح، وقد تكون مكتوبة نقوم نحن بقراءتها من الحاسوب، أو منطوقة، يتولّى الجهاز بعد برمجته على ذلك، تلاوتها علينا.

<u>كيفيّة البحث في المدوّنة الحاسوبيّة</u>: "هناك نوعان من استخدام المدوّنة في البحث اللّغوي حسب عليّ القاسميّ، وفي رأيه يجب اتّباع الخطوات التّالية في استخدام المدوّنة:

- "يختار الباحث المدوّنة التي يريد البحث فيها؛
- يدخل الباحث الكلمة أو التّعبير الذي يريد البحث عنه في المستطيل المخصّص في صفحة البحث؛
- يستخدم الباحث الفأرة للضّغط على كلمة ابحث الموجودة بجانب المستطيل؛
- يقوم محرّك البحث بفحص المدوّنة للعثور على الكلمة أو التّعبير الموجود في المستطيل بصفحة البحث، ثم يعرض نتائج البحث على شاشة الحاسوب، ولا يستغرق البحث أكثر من ثوان معدودة[10]"؛ أي أنّ ذلك يكون حسب اختيار الباحث بحسب تخصّصه في علم من العلوم، وهو أشبه بالبحث في صفحة الأنترنيت، وذلك بمجرّد وضع الكلمة المفتاح التي نريد إيجاد معانيها أو ترجمتها، ومصاحبتها بالضّغط على زرّ البحث، حتّى تخرج كلّ الخيارات التي نقوم باختيار إحداها بما يناسب متطلّبات البحث لدينا.

- **المدوّنة وصناعة المعجم المختصّ:** " لم يعد علم المصطلح مجرّد دراسة قوائم المصطلحات ومقابلاتها بلغة أخرى، فتطوّر الدّراسات النّظريّة في علم المصطلح وتطبيقاتها العمليّة أدّى إلى ظهور ما نسمّيه بعلم المصطلح النّصّي terminologie textuelle وعلى رأس اهتمامات هذا العلم الانطلاق من مدوّنة مزدانة بنصوص علميّة يتولّى المصطلحيّ فحصها بعناية، واستخلاص المصطلحات في سياقاتها منها[11]"؛ وذلك إن دلّ على شيء، إنّما يدلّ على أنّ المدوّنة الحاسوبيّة اللّغويّة وطيدة الصّلة بالمعجم المختصّ في الصّناعة المصطلحيّة وإنتاج المصطلحات العلميّة التي نروم من خلالها توحيدها.

"ويتمّ اختيار نصوص المدوّنة من قائمة المصادر والمراجع من المخطوطات والمطبوعات الموثّقة، على أن تكون نصوص المدوّنة متوازنة من حيث انتماؤها الموضوعيّ والتّاريخيّ والجغرافيّ والاجتماعيّ، فيجب أن تنتمي نصوصها إلى جميع عصور اللّغة، وتغطي جميع فروع المعرفة، وكلّما كانت هذه المدوّنة شاملة

ازدادت مصداقيّتها[12]"؛ ومعنى ذلك أنّ وضع المدوّنة الحاسوبيّة في الحاسوب يقتضي من المختصّين بذلك بذل مجهود جبّار، يتمثّل في أخذها من المصادر اللّغويّة والأدبيّة الموثوقة، والتي تتمثّل أساسا في الشّعر العربي القديم، والقرآن الكريم، والأحاديث النّبويّة الشّريفة، والأمثال والحكم، والمستشهد بها في العربيّة وبخاصة ما قبل القرن الرّابع هجريّ؛ بمعنى أنّ المدوّنة لا يجب أن تكون محتوية على كلمات مبتذلة دارجة أو خاطئة وغير فصيحة، لأنّ ذلك إنْ حدث، فإنّه مساس بأصل اللّغة العربيّة، الذي يؤدّي إلى اضمحلالها شيئا فشيئا، ونحن من يسعى إلى إحيائها ومضاهاتها اللّغات الحيّة الأخرى، وبخاصّة أنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة غير مصنوع بعد، وهو الذي يفترض أن يجمع بين دفّتيه كلّ ألفاظ اللّغة العربيّة مستعملها ومهملها، مصحوبا بتطوّرات الكلمات الزّمنيّة الكرونولوجيّة عبر العصور المتعاقبة، ابتداءً من عصر النّقائش إلى غاية السّاعة، وفي كلّ فروع العلم المختلفة.

خاتمة: ومن خلال كلّ ما سبق ذكره من معلومات حول الموضوع، أستنتج أنّ هناك صلة وطيدة بين التّطوّر التّكنولوجيّ وبين الصّناعة المعجميّة المتفنّنة، فما أحوجنا –نحن العربَ- إلى هذه التّقنيّات المتطوّرة من الأجيال الأخيرة من الأجهزة الإلكترونيّة، مع العلم أنّنا نحتاج أيضا التّقنيّين واللّغويّين والمترجمين والمعجميّين المختصّين في المجالات المختلفة، من أجل تطوير علم المصطلح وعلم اللّغة بتوظيف هذه التّكنولوجيا، وبخاصّة في صناعة المعجم العربيّ المختصّ، وكذا المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، هذه الحلقة المفقودة، التي تنتظر أهلها للبحث عنها.

وأضيف إلى ذلك بالقول إنّ هناك بعض العقبات في الطّريق تمنع تحقيق ذلك مثل عدم وجود برامج خاصّة بالحوسبة الآليّة للمعاجم العربيّة على اختلافها والأهمّ من ذلك هو، عدم أخذ الطّلبة في الجامعات المختصّة العلم الكافي حول ذلك، مع إهمال الجامعة تدريس ذلك إلاّ بصورة بسيطة غير عميقة ولا متقنة؛ إذ يكتفي الطّالب أو الأستاذ بالإشارة الطّفيفة إلى هذه العلوم الموجودة أصلا، والتي

وصلت جامعات في الدّول العربيّة إلى أوجّها في تدريسها - قطر مثلا- بينما بقيت الجامعة الجزائريّة تتخبّط في العشوائيّة والتّنظير الخفيف للصّناعة المعجميّة دون التّطبيق، أو وجود أساتذة مختصّين، أو مخابر تتولّى ذلك.

الهوامش:

---

1. سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ط 1. الأردن: 2005، عالم الكتب الحديث، ص 258 .
2. المرجع نفسه، ص 529 .
3. المرجع نفسه، ص 530 .
4. المرجع نفسه، ص 531 .
5. المرجع نفسه، ص 533 .
6. خالد اليعبودي، آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات، ط 1. المغرب 2006: منشورات ما بعد الحداثــة، نقــلا عن: Louis jean rousseau : vocabulaire systematique de la terminologie ترجمة عمران عصام 1992 اللسان العربي العدد 36 ص 202 من كتاب اليعبودي ص. ص 267.
7. علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النّظريّة وتطبيقاته العملية، د ط. د ب: د ت، مكتبة لبنان ناشرون، ص 625 – 626 .
8. المرجع نفسه، ص 663 .
9. ينظر: المرجع نفسه.
10. المرجع نفسه، ص 669 .
11. المرجع نفسه، ص 690 .
12. المرجع نفسه، ص 712 .

Traduire de et vers la langue arabe, la crise du terme.
Quelle méthode utiliser pour l'analyse des textes de Malek Haddad ?

الترجمة المتخصصة من العربية وإليها وأزمة المصطلح

Korso Merième Samia

Introduction :

Il parait exhaustif de parler de deux langues complètement différentes l'une de l'autre, à savoir la langue arabe et la langue française, sans évoquer deux éléments fondamentaux qui sont à la base de cette réflexion : la terminologie et la traduction. Sans ces deux éléments, il nous parait impossible de traduire et de transmettre des savoirs d'une langue à une autre.

Effectivement, la transmission des idées d'une langue à une autre n'est pas une chose simple.

I . Qu'est ce que la traduction ?

Traduire c'est exprimer à travers une langue 2, ce qui est exprimé par le biais une langue1et l'utilisation de mots. Pour traduire, le traducteur doit traduire des idées. L'idée n'appartient pas au traducteur, mais à l'auteur du texte. Les mots, par contre appartiennent au traducteur, tout comme ils appartiennent à l'auteur Dans sa transformation, le traducteur doit prendre en considération deux éléments très importants à savoir : le fond et la forme.

Cependant, il arrive que la traduction ne donne pas le sens exprimé par l'auteur, ou tout simplement l'idée n'est pas traduite. Pourquoi ?

La valeur sémantique peut ne pas être la même dans les deux langues. En effet, la structure de la phrase, la syntaxe et la grammaire ne sont pas identiques dans les deux langues. Pour mieux comprendre cette difficulté, nous proposons la traduction du premier roman de Malek Haddad, *La dernière impression.* A ce titre, il est possible de proposer d'abord les différents sens du mot « impression », ainsi que les traductions suivantes :

- C’est d’abord, le fait de laisser une marque. ترك آثار
- C’est aussi une marque laissé par un objet qu’on a appliqué sur une surface molle. ترك آثار
- En imprimerie, c’est une opération par laquelle on imprime sur un support, sur un papier des caractères et des dessins. الطبعة الأخيرة الطبعة
- En peinture, c’est une couche appliquée sur un support pour diminuer son pouvoir absorbant, avant de le peindre. الطبعة
- Au sens figuré, c’est l’effet qu’une chose produit sur l’esprit. ترك إنطباعا
- C’est aussi, le sentiment envers quelqu’un, après un premier contact. ترك إنطباعا

Il est cependant possible de constater qu’une multitude de sens se présentent à l’esprit et le traducteur choisira le terme adéquat en fonction du contexte d’énonciation. Il prend en considération le sens du mot à travers l’idée ou la phrase. Alors, qu’est ce que la terminologie ?

II. La terminologie :

Il parait difficile de réaliser une bonne équation en traduction, sans l’apport de la terminologie. En effet, il arrive qu’un même mot français ou arabe ait plus d’un sens. Il arrive aussi, chose qui est plus grave, qu’un concept (c’est-à-dire une idée ou un signifié) n’ait pas dans l’une des deux langues un signifiant, c’est-à-dire un terme ou un mot pour le désigner. C’est ce que nous étudierons un peu plus loin.

III. Relation entre objet, concept et signe :

1. Objet :

Le monde tel que nous le concevons, ou plutôt le percevons, se définit sous la forme d’objets. Chaque objet comporte des propriétés spécifiques qui peuvent être soit intrinsèques soit extrinsèques.

En effet, les propriétés intrinsèques sont celles qui appartiennent à la nature propre de l’objet (exemple : son origine, sa composition, sa structure, sa fonction, sa forme…).

Les propriétés extrinsèques, quant à elles, sont celles qui relèvent de ce qui est accessoire ou accidentel (exemple : l’origine d’un objet son prix…).

En vérité, les descriptions intrinsèque et extrinsèque d’un objet peuvent varier selon le type d’analyse adopté.

En outre, il est parfois difficile de distinguer ce qui est intrinsèque de ce qui est extrinsèque par l'analyse d'un objet.

2. Concept :

L'on ne peut parler d'objet sans évoquer le concept. A ce propos Loïc Depecker déclare : « *Les objets sont catégorisés sous la forme d'un concept*. »[1].

Il est possible de penser que le concept est l'unité qui représente la pensée et qui permet au cerveau humain de concevoir et de comprendre le monde. Le concept est le reflet des unités élémentaires de la pensée.

Cependant, il est important de signaler que le terme de notion est souvent utilisé comme synonyme de concept, précisément dans l'ancienne normalisation internationale de l'analyse en terminologie.

3. Le signe linguistique :

L'appellation la plus connue pour le signe est celle de signe linguistique. Ainsi, tout signe linguistique se compose de deux parties : un signifié et un signifiant.

« *Le signifiant est la partie sensible du signe, soit son aspect phonique ou graphique. Le signifié est la partie sémantique du signe.* ».[2]

Cependant, il est constaté une confusion entre concept et signifié. Ainsi*, « Le découpage que font les langues du réel montre cependant que le signifié reste distinct du concept, même s'il a tendance à être confondu avec lui.* ».[3]

4. Le signifiant :

« *Le signifiant est la forme sensible du signe. Il est phonique ou graphique. Plusieurs types de notations sont possibles*. » ; il continue : « *En pratique : en terminologie, le signifiant est traité essentiellement sous ses formes phonétique, morphologique et orthographique.* »[4].

En effet, le signifié ou le signifiant, chacun dans sa combinaison est positif puisqu'il est possible d'expliquer un mot par d'autres mots qui ont un sens rapproché, ou par son synonyme, le signe dans sa totalité est positif. Mais pris séparément, ***Sé*** vs ***Sa*** / langue vs parole synchronie vs diachronie, sont négatifs, car le discours est un système de différences. On peut aussi évoquer les unités discrètes de la langue : [t] vs [d] ; [r] vs [l] (niveau phonique); /blanc/ vs /noir/ /grand/ vs /petit/ (niveau sémantique) ; nom vs verbe (plan syntaxique), etc.

5. Le signifié :

Le signifié est le contenu sémantique du signe. Il est composé de sèmes. « *Le sème est une unité de sens contenu dans un signifié. Par exemple : En français, le signifié de rose englobe le sème de/ végétal/ de fleur/ de/ couleur/, etc. ; ainsi que les représentations qui lui sont associées, la beauté, l'amour, la commémoration, etc.* »[5] .

Lorsqu'un signe (ou mot) comporte plusieurs sens, cela signifie qu'il a plusieurs signifiés, c'est ce qu'on appelle aussi la polysémie.

IV. Divergence des concepts d'une langue à une autre :

Dans l'attribution des appellations données par chaque langue interviennent des éléments de non recouvrement d'une langue à une autre. Dans le cas de notre étude, le traducteur de la langue arabe est parfois, confronté à la richesse du vocabulaire de cette dernière par rapport à la langue française. Pour mieux expliciter cela, prenons comme exemple le titre d'une œuvre de Malek Haddad *Je t'offrirai une gazelle,* traduit par Mohamed Sari, en langue arabe. Il lui attribue le titre de « سأهبك غزالة ». Pour ce même titre, la langue arabe par sa richesse, peut lui attribuer un autre qui est aussi juste et correct que le premier : « سأهديك غزالة ».

En effet, il existe une panoplie d'exemples qui peuvent démontrer la richesse du vocabulaire de la langue arabe, ainsi que la situation problématique dans la quelle se trouve le traducteur de, et vers la langue arabe, à choisir les mots adéquats dans sa traduction.

Dans ce même ordre d'idées, il convient de préciser que le traducteur a choisi le verbe « أهبك » au lieu de «أهديك », ceci par rapport au contexte de l'œuvre. Cette dernière est le symbole d'une liberté qu'on prend, qu'on arrache. La liberté n'est pas offerte et donnée aussi simplement qu'on offre un cadeau. Ainsi, il convient de dire que le choix d'un terme dépend en grande partie du contexte de son énonciation.

V. Concept et signifié :

Le départ de notre réflexion se base sur le signe linguistique, ce qui permettra à notre réflexion d'avancer et d'aller plus loin.

Ainsi, Saussure a le mérite d'avoir dégagé et différencié dans le signe, deux faces : le signifiant et le signifié. Cependant, tout ce qui est de l'ordre de la pensée est renvoyé le plus souvent au niveau « amorphe » de la chose, c'est-à-dire à tout ce «(…) *qui n'a pas de forme en soi*. ».[6]

Hjelmslev, quant à lui, met le point sur cette partie en citant Saussure : « *Prise en elle-même la pensée est comme une nébuleuse où rien n'est nécessairement délimité. Il n'y a pas d'idées préétablies et rien n'est distinct avant l'apparition de la langue.* ».[7]

A ce propos, l'idée de Saussure reste à approfondir car si on part du principe que « *l'unité linguistique est une chose double* », ce qui renvoie chez Saussure que « *le signe linguistique unit non une chose et un nom, mais un concept et une image acoustique* », il met l'accent sur le fait que cette dernière est « *l'empreinte psychique de ce son, la représentation que nous en donne le témoignage de nos sens*. »[8] Donc, pour Saussure, le signe linguistique est « *une entité psychique à deux faces* », qui se constitue à partir de « *la combinaison du concept et de l'image acoustique*. ».

Grâce à cette vision, Saussure donne au mot « signe » une dimension beaucoup plus importante que celle qu'il avait d'antan. En outre, les terminologues emploient le terme de « concept » pour renvoyer au « signifié », et les linguistes celui de « signifié » pour dire « concept ».

Ainsi, l'étude d'un champ terminologique dans deux langues différentes permet d'entrevoir cette distinction entre signifié et concept.

Exemple :

« *La signification induite est de ce fait actualisée de façon différente d'une langue à l'autre (...) le champ conceptuel est structuré sur le plan linguistique*.»[9]

VI. Place de la terminologie dans une langue spécialisée :

La vision donnée au mot « terme », jusqu'à cet instant, nous a permis de considérer les termes du point de vue de leur inscription dans la langue, à savoir son articulation en langue générale, langue commune et spécialisée. Ainsi, « *La langue générale peut se définir comme l'ensemble des formes et des règles de combinaison qui entrent dans le fonctionnement d'une langue (...). La langue générale alimente la langue du quotidien, langue de tous les jours, de la vie ordinaire, des situations courantes*. ».[10] Donc, c'est par cette langue que nous communiquons quotidiennement.

La langue technique ou scientifique peut être considérée comme une suite de la langue générale puisque « *Il y a véritablement continuité de la langue comme à la langue technique, techniciens*

ingénieurs, ouvriers, artisans parlant et désignant avec leur langue de tous les jours, c'est-à-dire avec la langue commune. ».[11] Chose qui donne à la langue commune une grande importance, puisque c'est elle qui permet l'existence, la continuité et le développement de la langue spécialisée.

Toujours et dans ce même ordre d'idées, il convient de définir les mots « terme » et « terminologie ».

Josette Rey-Debove définit la terminologie comme une : « *Etude générale du fonctionnement des termes comme type particulier de signes.* ».[12]

Quant au terme, elle précise : « *Nom définissable à l'intérieur d'un système cohérent, énumératif (...) ou structuré (...), et correspondant sans ambiguïté à une notion ou concept. v. terminologie*. »[13]

VI . Le passé colonial, l'anneau entre les deux langues arabe et française :

Il est important de mentionner que la langue et la culture algériennes ont été fortement touchées en raison du contexte historique de l'Algérie, du fait qu'elle a été colonisée durant plus de cent trente années par la France. Par conséquent, les langues qui seront abordées dans le présent document sont l'arabe et le français. Cette étude est menée dans le contexte de la société algérienne. La communauté linguistique est connue pour sa particularité, puisque les citoyens Algériens continuent d'utiliser la langue française dans leurs conversations quotidiennes. Le contraire est vrai aussi, puisque dans l'utilisation de la langue française, existent certains mots de langue arabe. C'est ce que nous étudierons plus loin à travers le corpus choisi à savoir l'œuvre romanesque de Malek Haddad.

Les œuvres de Malek Haddad ont été dans leur ensemble rédigées la colonisation ; ainsi leur publication oscille entre 1958 et 1961.

Cette période précède la date de l'indépendance et succède à celle du déclenchement de la guerre d'Algérie (1954-1962).

C'est pourquoi il semble important de rappeler que durant cette période de nombreux auteurs ont connu une brillante carrière tels Mohamed Dib, Mouloud Mammeri, Mouloud Ferraoun, Kateb Yacine et bien d'autres. A ce propos, Désirée Schyns déclare : « *Dés avant le commencement des hostilités, des « évènements », avant le premier novembre 1954 donc, les écrivains algériens francophones ont exprimé leur amertume devant les conditions dans lesquelles le peuple*

vivait sous la loi coloniale. Dans la trilogie « Algérie » de Mohamed Dib (La grande maison 1952, L'incendie 1954, et le métier à tisser 1957), ou dans Nedjma de Kateb Yacine (1956), on perçoit des voix (nationalistes) qui se révoltent et dénoncent le colonialisme. »[14]

La naissance de cette littérature coïncide avec une période bien précise de l'Histoire de l'Algérie, celle de la colonisation française. Cette période a aussi marqué les esprits des Algériens par son atrocité. Une guerre qui n'a épargné aucun des deux camps : algériens et français.

Dans le but de fixer le cadre historique de la guerre d'Algérie (1954-1962), il est à préciser que cette période se situe entre le 1er Novembre 1954 (jour du déclenchement de la guerre de libération) et le 5Juillet 1962 (jour de l'indépendance de L'Algérie).

Cette année, 1954 « (….) *apparaît comme l'avènement d'une ère nouvelle en rupture totale avec l'ancienne, la revanche du pays profond sur l'illusion d'une Algérie française.*»[15]. Cette lutte de libération va durer plus de sept années.

C'est cette même guerre qui a poussé de nombreux hommes à prendre position et sacrifier ce qu'ils avaient de plus cher, leur vie. C'est elle aussi qui a poussé d'autres à lutter contre l'oppression française par un autre moyen, celui de la plume. Les écrivains algériens d'expression française ont décidé de poser leur empreinte, en dénonçant au monde entier les atrocités subies par leur peuple. C'est le cas de Malek Haddad.

VII. Malek Haddad et le malaise d'une écriture en langue française :

Malek Haddad est un oublié de la littérature algérienne d'expression française. Romancier, poète et journaliste, il est aussi l'ami de Kateb Yacine aussi bien dans la vie que dans le combat littéraire, contre la colonisation. Malheureusement, son œuvre est restée méconnue par le lectorat algérien. A ce titre, il suffit de lire l'une de ses œuvres pour être profondément touché par la beauté et la profondeur de cette écriture.

C'est en effet, cette maitrise de la langue du colonisateur qui sera la source de la tragédie de Malek Haddad. Très tôt, il a éprouvé le dilemme de s'exprimer dans la langue de l'oppresseur, le colonisateur.

Incapable de trouver une solution à ce problème, contrairement à son ami Kateb Yacine, qui écrira des textes en langue Arabe et même

en Amazigh, il adoptera pour sa part une position extrême, en cessant d'écrire en langue française, dés le lendemain de l'indépendance de l'Algérie.

Cependant, il est très intéressant d'approcher l'écriture de Malek Haddad à travers un corpus sélectionné.

VIII . Analyse du corpus :

A travers une liste d'énoncés, nous avons pu constater que Malek Haddad utilise dans son écriture- qui est en langue française- une transcription de certains termes arabes. Cette utilisation de mots en arabe, serait-elle causée par l'incapacité de la langue française à véhiculer certaines idées de notre auteur, ou bien par le manque de richesse de la langue française par rapport à la langue maternelle, la langue arabe ?

Ce sont les questions auxquelles nous tenterons de répondre à travers cette analyse.

Notre corpus englobera les quatre romans de Malek Haddad, à savoir : *La dernière impression, Je t'offrirai une gazelle, L'élève et la leçon et Le Quai aux fleurs ne répond plus*.

« Les rives pourtant proches semblaient se défier et les gorges croulaient jusqu'à *l'oued.* »

(La D. I[16], p.22).

« Et les trois ouvriers qui étaient tombés dans *l'oued*, qui s'étaient tués, qui étaient morts pour le pont, qui étaient morts au pont d'honneur (…) » (La D. I, p.44)

« Et *l'oued* qui ricane, vengé. » (La D. I, p.44) « (…) *l'oued* ricane de plus belle » (La D. I, p.44)

« Et *l'oued* déborde. » (La D. I, p.45), l'oued a, ici, le sens de rivière, de fleuve, de ruisseau ou tout simplement de cours d'eau.

« Les chameaux boiront dans les *Gueltas* ou dans le Grand Fleuve. » (La D. I, p.107),

« Voici la *guelta* au bout de l'oasis… » (Je t'off,[17] p.127)

« *Guelta, seguia* .» (Je t'off, p.129).

« L'esclave soudanais qui veillait sur les *séguiates* chantait les pirogues fabuleuses. » (Je t'off, p.29) « Les *séguiates* roucoulaient » (Je t'off, p.40), c'est le pluriel de séguia, un cours d'eau, une source.

« Moulay l'imagine arrivant prés de *la guelta* au bout de l'oasis. » (Je t'off, p.67), ce sont de petites mares d'eau qui se forment après la chute des pluies. Une sorte d'abreuvoir naturel pour les animaux.

« - *Abaden* ! *Mouhal* ! *Mouhal* ! Et s'assoupit. » (La D. I, p.36), qui a le sens de jamais ! Impossible ! Impossible ! C'est une chose qui est impossible, qui ne peut avoir lieu.

« - Et ta *khenza*, où est-elle ?

La « *khenza* » c'était Simone, la femme d'Idir. *Khenz*a ne se traduit pas en français. Ce mot peut aussi bien signifier sale que nauséabond. Celle qui ne se lave pas. Celle qui n'est pas propre. En fait, celle qui n'est pas de chez nous et en clair qui n'est pas la belle fille que moi j'aurais choisie… L'étrangère ! » (La D. I, p.36)

« - *La khenza*, elle a volé mon fils, déclare-t- elle sentencieusement. » (La D. I, p.36). Dans ce passage l'auteur explique lui-même le sens du mot utilisé et ses multiples significations.

« Une bonne, dans la cuisine, faisait brûler de l'encens dans un *kanoun.* » (p.38)

« […] un *kanoun* pétille… » (La D. I, p.178), le mot kanoun a le sens de barbecue, rôtissoire, gril. Le kanoun sert aussi bien à faire cuire les aliments qu'à réchauffer les êtres.

« Le froid n'est que l'œuvre des hommes. Et ce mendiant qui va promenant ses « *yamoun'nines* » serait le premier à trouver la neige jolie s'il avait chaud quand il fait froid. » (La D. I, p.90), ce sont les paroles que prononcent les mendiants, pour réclamer la charité.

« Dans l'avenue Forcioli un *hammel* portait péniblement un sac de blé retenu à son front par deux cordes qui sciaient son *cheich* usé » (La D. I, p.103), le hammel est un porteur, un commissionnaire qui porte les bagages et la marchandise afin de gagner sa vie.

« Moulay arrange son *cheich* qui lui tombe sur le nez. » (Je t'off p.68), c'est une longue bande de tissu enroulé autour de la tète et pouvant servir, le cas échéant, à protéger le visage et les yeux, du vent de sable. Le cheich est essentiellement utilisé par les nomades dont les touaregs.

« - que Lucia été assassinée par *les Fellaga*. » (La D. I, p.135), qui a le sens de combattant, indépendantiste ou même de révolutionnaire traduit littéralement, veut dire casseur ou briseur (de tête).

« La poudre parlera pour *l'Aid- Kébir*. » (La D. I, p.189), c'est la deuxième grande fête religieuse chez les musulmans. La loi divine recommande le sacrifice d'un mouton à la mémoire du prophète Ibrahim qui s'est vu, en songe, devoir immoler son fils Ismail, et il le lui annonce. Ismail, ce fils, respectueux, croyant et adorant Dieu

accepte son destin. Et quand Ibrahim s'apprête à égorger son fils, le Bon Dieu le récompense pour son adoration et sa soumission, en lui offrant un mouton qu'il pourra sacrifier, au lieu de son fils.

« Dans un coin de la chambre, prés de la cheminée, une vieille, très vieille tante, *Lala Ourdilla*, plus vieille qu'un souvenir, pleurait en reniflant. » (La D. I, p.35), ce mot typiquement algérien, est utilisé pour interpeller les dames âgées ou les belles-mères.

« -*Ya ma*, reconnais-tu Simone ? demanda Said. » (La D. I, p.38) "*Ma'Messaouda*" (La D. I, p.38) et aussi « *Ma'Hadidja* » (La D. I p.67), c'est l'appellation des petits enfants pour leurs grands-mères ou bien d'un fils pour sa maman.

« […], un ancien très brave homme qui payait sa *moukère* mieux que ses voisins et qui lui refilait ses vieilles vestes pour les donner à son mari. » (La D. I, pp.84-85), c'est un mot familier utilisé par les colons français vivant en Algérie, dans le but de déconsidèrer la femme « indigène ». Dans le contexte de l'œuvre de Malek Haddad, il a le sens de femme de ménage.

« Le *mektoub* des bouchons tient dans un pronom indéfini. » (La D. I, p.137), ce qui est écrit, la destinée.

« Et puis les chiens du *douar* pleuraient la nuit. » (Je t'off, p.25), le douar a ici le sens de village, bourgade, hameau, mechta.

« Ô marin des étoiles, après *le Gassi-Touil* c'est toujours la chimère. La dune *O'hanet* gardait l'infini à la porte de la nuit. Dune *O'hane*t en arabe : la délaissée…Sentinelle oubliée, comment savoir le mot de passe ? » (Je t'off, p.28), c'est une chose qui a perdu de sa valeur, qui est devenue à la portée de tout le monde, qui n'a plus de prestige.

« Alors elle attendait que *le ksar* s'endorme, et par les ruelles assagies, elle allait vers le koukoumen qui rougissait dans la nuit. » (Je t'off, p.25), qui a le sens de château, forteresse, village saharien.

« Parmi les mille et mille traces de pas, je retrouverai celles des pieds de Yaminata qui ne portait pas de *naïls*. » (Je t'off, p.30), des sandales qui sont formées d'une simple semelle, qui est retenue au pied par des cordons ou des lanières de cuir.

« (…) ces lézards nommés « *tob* » dont ici l'on mange la queue. » (Je t'off, p.40), un lézard qu'on retrouve au Sahara.

« Des « *labesses* » sans fin… » (Je t'off, p.40), c'est la réponse donnée en Algérie, à celui ou celle qui prend de vos

nouvelles : «comment ça va ? ». La réponse est labasse littérallement : sans aucun malheur, donc ça va bien.

« -*Si Moulay*…mon seigneur (…)

- *Benti*…ma fille » (Je t'off, p.41), Yaminata appelle Moulay par si Moulay, qui a une signification de mon seigneur ou monsieur, le signe d'un grand respect. Et lui, à son tour répond par benti, qui a le sens de ma fille en langue arabe. Ce qui signifie aussi, une familiarité avec Yaminata.

« Ali préparait la *charba* du soir(…) » (Je t'off, p.65).

« La *charba* était prête. » (Je t'off, p.67).

« - Réveille –toi, la *charba* est cuite(…) » (Je t'off, p.67),

« Tandis que ses compagnons préparaient *la charba*… » (Le Q aux F, p.107), la charba est une soupe, un potage épais préparé à base de légumes. C'est le repas simple de gens pauvres.

« Dans son *gourbi* ou son bidonville (…)» (Je t'off, p.68),

« Un enfant, ça veut dire *le gourbi* des enfants qui n'ont plus *de gourbi*… » (L'élève L[18], p.44),

« (…) *d'un gourbi* abandonné… » (Le Q aux F, p.104[19]), ici il a le sens d'habitation de maison ou bien de foyer, qui a aussi, le sens de bidonville, d'une hutte, d'une habitation misérable.

« (…) dans l'ample « *métoulid* ». » (Je t'off , p.91), c'est un salut typiquement targui.

« Le vent du soir, *Rih-el-bhar*, le vent de la mer(…) » (Je t'off p.127), le vent marin, un vent doux, humide et frais.

« (…) lançait ses énormes *andik* (attention) » (Je t'off, p.144) utilisé pour prévenir quelqu'un du danger, qui a le sens de : attention !

« C'était la première fois qu'il refusait du *kif*. » (Je t'off, p.145),

« En plus de ce refoulement médical, il avait encore comme un défaut celui de fumer *du kif*. » (L'élève L, p.114), mot arabe désignant un mélange de tabac et de haschisch, un hallucinogène, consommé par des personnes, à la place du tabac.

« J'ai vu dans la lumière blanche des Hauts-plateaux algériens *des fellahs* moissonner. » (L'élève L, p.25), mot arabe désignant un paysan, un agriculteur ou bien un fermier.

« (…) du dentifrice et non du « *souak* », comment, mais comment se retrouver dans tout cela ?... » (L'élève L, p.85), qui est utilisé comme en guise de dentifrice pour se nettoyer les dents.

« Ma femme allait souvent à Constantine prier *Sidi Rached* afin qu'il m'exorcisât du démon qui me rongeait. » (L'élève L, p.93) tombeau d'un saint auquel rendent visite les ignorants et les mal croyants afin d'obtenir sa bénédiction, ou qu'ils implorent pour exaucer leurs voeux.

« -Pas même pour le bon Dieu, *Hakim* ? » (L'élève L, p.115), qui a le sens d'un savant ou d'un médecin.

« Un proverbe arabe affirme : « *Lifet'met* » » (L'élève L, p.145), ce qui est passé est mort, ce qui signifie qu'il faut tourner une page et oublier le passé.

« On le traitait de « *m'tourni* » parce qu'il s'était « naturalisé ».» (L'élève L, p.147), c'est celui qui a trahi ses origines, qui s'est retourné, qui a changé et qui a pris le parti de l'ennemi.

« D'un coté des pendules, les premières horloges du monde, de l'autre *des sloughis*…Oui, des *sloughis*, des chiens ! » (L'élève L p.148), c'est une race de chien, c'est le lévrier arabe à poil ras. Il a une grande valeur pour les chasseurs arabes.

« (…) Détends-toi, Khaled, *di-a-li*. » (Le Q aux F, p.31), qui signifie le mien, celui qui est à moi, qui m'appartient.

« - Elle s'appelle *Houria*, fit Khaled. » (Le Q aux F, p.44), peut avoir deux sens : le premier un prénom féminin qui signifie sirène. Le second a le sens de liberté.

« Le reste, c'est la littérature, c'est de *la zoubia*, comme on dit dans la rue des Arabes. »

(Le Q aux F, p.119), c'est de la saleté, des ordures ou bien des déchets, une poubelle rurale.

Enfin, il est possible de constater la redondance de certains mots dans les œuvres de Malek Haddad. Cependant, après avoir essayé de traduire les mots en arabe, utilisés par notre écrivain, dans ses textes en langue française, il est possible d'affirmer que l'auteur avait la possibilité d'utiliser les équivalents de ces mots de langue arabe. Seulement, pour se démarquer des auteurs français, il a préféré utiliser une touche purement algérienne à cette langue dominante.

IX. Conclusion :

Enfin et pour conclure, nous dirons que la terminologie joue un rôle primordial dans la traduction des textes. Lorsqu'un traducteur transforme un texte d'une langue à une autre, il se trouve souvent

confronté à la crise du terme. A savoir le choix du terme qui convient le mieux, à une transmission fidèle.

La langue arabe est non seulement la langue du Coran, mais c'est celle dont le vocabulaire est très riche. C'est cette même richesse qui est la source du problème du traducteur. Il ne sait quel terme choisir puisque pour chaque mot de la langue française, on peut lui attribuer deux à trois en langue arabe. A titre d'exemple, le « lion », en comporte plus de soixante dix en langue arabe.

C'est pourquoi plusieurs éléments sont pris en considération lors de la traduction d'un texte à savoir la culture, le milieu social, la maitrise de sa langue maternelle et celle de l'autre langue…

A travers l'analyse de l'écriture de Malek Haddad, il est possible de relever ce malaise de l'écriture avec la langue de l'autre. C'est ce qui a poussé l'auteur à utiliser des mots en langue arabe car il trouve que certains mots ont une valeur sémantique en langue arabe, dont ne dispose aucune autre langue.

Références bibliographiques :

- **DE SAUSSURE, Ferdinand**, *Cours de linguistique générale* Editions Payot, Edition critiquée par Tullio de Mauro, Paris, 1994.
- **SCHYNS, Désirée**, *La mémoire littéraire de la guerre d'Algérie francophone, Etudes transnationales, francophones et comparées,* Edition L'Harmattan, Paris, 2012.
- **DEPECKER, Loïc,** *Entre signe et concept*, Editions Presses Sorbonne nouvelle, U.K, 2003.
- **HADDAD, Malek :**

* *La Dernière impression*, Paris, Edition Julliard, 1958.

* *Je t'offrirai une gazelle*, Edition Julliard, Paris, 1959.

* *Les Zéros tournent en rond*, Edition Maspero, Paris, 1961.

* *Le Quai aux Fleurs ne répond plus*, Editions Julliard, Paris 1973.

- **HARBI, Mohammed**, *1954, La guerre commence en Algérie* Edition Barzakh, Blida, 2009, p.05.
- **HJELMSLEV, Louis**, *prolégomènes à une théorie du langage*, Editions de Minuit, Paris, 1971.

Références bas de page :

1 - Loïc, Depecker, Entre signe et concept, p.111.
2 - Ibid.
3 - Ibid.
4 - Idem, p.123.
5 - Idem, p.124.
6 - Gödel, 1957, p.20.
7 - Prolégomènes, p.67.
8 - De Saussure, Cours de linguistique générale, p.98.
9 - Loïc Depecker, Entre signe et concept, p.31.
10 - Idem, p.62.
11 - Idem, p.63.
12 - Idem, p.62.
13 - Idem, p.146
14 - Désirée, Schyns, *La mémoire littéraire de la guerre d'Algérie francophone Etudes transnationales, francophones et comparées,* Edition L'Harmattan Paris, 2012, p.50.
15 - Mohammed, Harbi, *1954, La guerre commence en Algérie*, Edition Barzakh Blida, 2009, p.05.
16 - Nous utiliserons les initiales D. I pour renvoyer à *La dernière impression* de Malek Haddad.
17 - Nous utiliserons les initiales « Je t'off », pour renvoyer à Je t'offrirai une gazelle de Malek Haddad.
18 - Les initiales « L'élève L » seront utilisés pour renvoyer au roman de Malek Haddad, *L'élève et la leçon*.
19 - Idem pour « Le Q aux F », *Le quai aux fleurs ne répond plus*.

المصطلح وعلم السرد

الأستاذة: سعيدة حمداوي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي

"اعطيني اصطلاحا اعطيك منهجا". سعيد علوش

استأثر السرد بنصيب وافر من الاهتمام كتابة ومقاربة، مقارنة بباقي الأنواع الأدبية الأخرى، نظرا لارتباطه بوجود الإنسان، تلبية لمطالبه واشباعا لحاجياته في نقل الأخبار، والتي تتشكل في اللغة مكتوبها ومنطوقها، رسمها وإشارتها، وفي الأجناس الأدبية قديمها وحديثها (الأساطير والخرافات، الحكايات الشعبية، القصص والروايات). بيد أن اشتغال الأنواع السردية على الحكي؛ يتأتى بصفتها وسيلة اتصالية تربطه ببقية أفراد المجتمع، وأنتج السرد بوصفه علما؛ مجموعة من الطرائق التي ترصد مكوناته الداخلية، وتستنبط العلائق بين عناصره، وتضبط أسسه، وتحكم توجهاته النظرية والتطبيقية، والتي تعتمد على "مفاهيم الحبكة وأنواع الرواة المختلفين والتقنيات السردية، وتطرح مجموعة من الأسئلة: من يتحدث؟(الراوي)، من يحدث؟(القراء)، متى يتحدث؟ (زمن السرد)، والذي تحدث فيه الأحداث، من يتحدث أي لغة؟(الأصوات السردية)، من يتحدث بأي سلطة؟ من يرى؟ (وجهة النظر)"[1].

وكانت البداية بأبحاث الشكلانيين الروس، الذين استبعدوا مظاهر الفكر الإيديولوجي عن الدراسة النقدية، وأبطلوا دور السياقات الخارجية في مقاربة النصوص الأدبية؛ من خلال تأسيس علم أدبي ينطلق من الخصائص الجوهرية للمادة الأدبية، أطلقوا عليه مصطلح "الأدبية"، تركيزا منهم على البنى الداخلية التي

تشكل أساليب التعبير الأدبي انطلاقا من دراسة النص في ذاته ولحد ذاته. ويرى **بوريس ايخنباوم** – أحد أعلام الشكلانية الروسية – أن الأشكال النثرية تتعدد "بتعدد أنماط السرد، فهو الذي يؤكد التطورات التي حصلت في فن القص، بدءاً بالخرافة والأسطورة والملحمة وصولا إلى تطورات الرواية الحديثة"[2]، إذ اتخذ انزياحها عن الأصول الحكائية، اعتبارها مزيجا من الحوارات والأوصاف والتأملات. وكما سار **فلاديمير بروب** بالتحليل الشكلي للقصص اتجاها جديدا أسس من خلاله لآليات منهج بنيوي، كشف عنه من خلال دراسته التي استهدفت مائة حكاية خرافية، والتي رسخت نموذجا علميا، يهدف بالأساس لدراسة البنى الحكائية في جميع الأشكال السردية، ومن ثم، قعد بها لجميع النظريات النقدية المهتمة بالسرد عند أهم مؤسسيها **(تزيفيتان تودوروف، جيرار جينيت، كلود بريمون، رولان بارت، أ.ج. غريماص،...)**.

ويعتقد **مارتن والاس** في دراسته "النظريات الحديثة للسرد"[3]، أن أهم حدث وسم الدراسات النقدية؛ انتقالها من نظريات الرواية إلى نظريات السرد، ذلك أن ظهور الرواية – حسب طرح الشكلانيين– كان في القرن الثامن عشر، مرافقا لبداية ظهور الفلسفات والتيارات السياسية والاجتماعية، التي كانت تدعو إلى الحرية الفردية، وهو مؤشر أخر لظهور الطبقة الوسطى، باعتبارها تشكل قوة التاريخ حسب النقد الاجتماعي، وتشمل نظريات الرواية (مرحلة ما قبل 1960)، ما جاءت به نظريات الشكل التي ترى أن جميع أنواع السرد عناصر شكلية، ونظريات المضمون التي تركز على المضامين الخارجية الاجتماعية، والتي جمع بينهما **جورج لوكاش** في طروحات البنيوية التكوينية، في حين ساهم **نورثروب فراي** في الانتقال من الرواية إلى نظرية السرد؛ بتوسيع حدود التخييل، وإدراج الرواية ضمن مجالاتها، كما أزاح **وين بوث** بعض الحدود التي فصلت التخييل بوصفه فنا عن باقي الطرق الاعتيادية لنقل المعنى بواسطة اللغة.

وغدت المناهج النقدية تروج للسرد ونظرياته، بوصفه منهجا له أسسه، ومبادئه العلمية، وبات لزاما أن يبتكر النقاد منظومة مصطلحية خاصة، يخضع لها الدارسون والمهتمون بمجال السرد، وأصبح مسلما أن المصطلح ضرورة تواكب ما تم تحقيقه من تحولات طرأت على مقاربة النصوص السردية بمختلف أشكالها لأن "كشف أسرار الآليات المفهومية، مرتبط بكشف أسرار الآليات اللغوية المتحكمة بكل ذلك"[4]؛ ما يعني أن المصطلح السردي أداة تضبط المعرفة السردية وتوحدها، بالنظر إلى ما يمتلكه من خصائص تمنحه صفة العلم؛ لارتباطه المباشر بالمناهج التي أوجدته، ومنحته هذه المصداقية والدقة والتفرد المطلوبين لتداوله، ما يجعله يتميز عن غيره من مصطلحات المناهج الأخرى، ومن ثم، تجنبه التداخل بغيره من المعارف، وتمنحه القدرة على التكيف في مختلف البيئات الفكرية والثقافية؛ لارتكازه الوثيق بالمفاهيم التي أوجدته، ومنحته مدلولاته الثابتة.

وعليه، يهدف المصطلح السردي من حيث هو علم؛ إلى البحث عن طبيعة العلاقة التي تربط بين المفاهيم السردية، ومقابلاتها اللغوية التي تعبر عنها، انطلاقا من أن "مفاتيح العلوم مصطلحاتها"؛ ما يجعل المصطلح السردي مفتاحا منهجيا وعتبة أساسية لقراءة نقدية سليمة، ودليلا يقودنا إلى استقراء المنهج، ما يجعل من مصطلحات أي اختصاص كيفما كان نوعه، يكتسب دلالته الخاصة من طبيعة الاتجاه المعرفي نفسه الذي يحدد أطره، وكذا السياق الذي أنتجه، وهو المبرر المنطقي لتنوع واختلاف دلالات المصطلح الواحد.

1 – سيرورة المصطلح السردي في النقد الغربي: ارتبط علم السرد بجملة من العلوم التي شكلت أرضية عمله، "ففي النصوص السردية (وخصوصا الروائية) تتعدد الأصوات المختلفة فيها وتتداخل صور الحياة، مما يفرض على السرد أن يستعين بالعلوم المساعدة، كاللسانيات وسيمياء الخطاب وعلوم الاتصال وسواها"[5] ومن بين العلوم الأدبية التي "تهتم بصورة خاصة بالسرد، نذكر من بينها: السرديات، والسيميوطيقا الحكائية، والبلاغة الجديدة، والأسلوبية، ونظريات التلفظ

والتداولية... وتشتغل هذه العلوم مجتمعة بمصطلحية" شبه "مُوحَّدة رغم الفروقات بينها"[6]، غير أن كل علم من هذه العلوم يمتلك منظومته المصطلحية والمفاهيمية وفق المجال الذي يشتغل فيه، ويستقل وفقه عن علم السرد.

ولقد أمد **جيرار جينيت** حقل علم السرد بمصطلحات، يرى المختصون أنها أسهمت في عدم ثبات الجهاز المصطلحي الخاضع له، ما دفع المهتمين بالدراسات السردية إلى مجابهة حالة من الاضطراب والفوضى إزاء تحديد موضوع علم السرد، ويؤكد هذا الواقع حقيقة المصطلح السردي في وسطه الفكري الأصلي الذي يشوبه الاختلاف واللاستقرار بين المصطلحيين والنقاد الغربيين أنفسهم، وهذا أمر طبيعي وضروري على حد قول **جينيت** نفسه، غير أنه ينبه إلى قضية مهمة ترتبط أساسا بالكيفية التي ينتج بها مصطلحاته، حيث يقول: "الجأ في اختيار المصطلحات إلى نوع من الاستعارة اللغوية التي نود ألا تفهم بكيفية مفرطة الحرفية"[7]، وقد لاحظ **جينيت** نوعا من الخلط والاضطراب في فهم ثلاثة مصطلحات، يتم ربطها بالواقعة السردية يحدد لها مفاهيم مختلفة، وهذا ما جعله يقترح "اسم القصة على المدلول أو المضمون السردي(...) واسم الحكاية بمعناها الحصري على الدال أو المنطوق أو الخطاب أو النص نفسه؛ واسم السرد على الفعل السردي، المنتج"[8].

ولن يختلف الأمر مع بقية المؤسسين الذين قدموا مصطلحاتهم السردية التي وضحت رؤيتهم الخاصة في مقاربة النصوص السردية على اختلافها، والتي تم توثيقها في معاجم ودراسات متخصصة كشأن **تودوروف** و**غريماس** و**بارت** باعتبارهم من أهم مؤسسي علم السرد في اتجاهه الفرنسي، وينطبق الأمر على رواد علم السرد الأنجلوسكسونيين*، وبقية الاتجاهات الأخرى.

ويمتاز المصطلح السردي الغربي بمجموعة من الميزات، يحددها **سعيد يقطين** في ميزتين هما: الاشتراك اللفظي والاختلاف الاصطلاحي، وكذا الاختلاف اللفظي والاشتراك الاصطلاحي. ويمثل للحالة الأولى بمصطلحات يعتقد الدارس أنها تحمل

نفس الدلالة غير أن الاختلاف ينبع من طريقة توظيفه، ومن السياق الذي يشتغل وفقه، والتي تحدد دلالاته، فهناك مثلا من يضع "الخطاب" مقابلا لـــ"النص". وهناك من يعتبره مرادفا له، ويرى آخرون الخطاب أعم من النص، وينطلق سواهم من العكس"[9]، في حين أن هناك مصطلحات تختلف لفظا، وتشترك اصطلاحا، من قبيل: وجهة النظر، والمنظور، والرؤية، والبؤرة، والتبئير، لكنها مجتمعة تشترك اصطلاحا. إنها جميعا تتصل بالموقع الذي يحتله الراوي من عالم الأحداث، أو المادة الحكائية التي يتكلف بروايتها"[10].

2 – واقع المصطلح السردي في النقد العربي: عرفت الساحة النقدية علم السرد عبر الترجمة والمثاقفة، ومن خلال مقاربة النصوص السردية قديمها وحديثها وفق مناهج غربية متباينة، نظرا لتزايد الإبداعات السردية والروائية منها وانتقل معها المصطلح السردي بكل حمولته المعرفية الغربية، وتنوع اتجاهاته، ما أسهم في وجود اتجاهين رئيسيين: الأول منهما قاده مصطلحيون مغاربة تأثروا باتجاهات السرد في فرنسا، ومصطلحيون مشارقة استوعبوا نظريات السرد الأنكلوسكسونية، فخلف هذا الوضع الآلاف من المصطلحات السردية الغريبة عن لغتنا، ما انعكس على عدم استقرار المفاهيم، وعدم توحيد الترجمات، "مما كان مدعاة لتوفر أنواعها ومترادفاتها وتضارب تلك المترادفات لذا اتسمت هذه المصطلحات بالغموض والسطحية والخطأ الناتج عن سوء إدراك مفاهيمها"[11]. ويمكننا أن نجمل حالة المصطلح السردي في النقد العربي في الآتي:

أ – اضطراب المصطلح السردي: اسهم تطور الفنون السردية وتداخلها بعضها ببعض، وغياب الوعي بخصائصها وميزاتها الأساسية إلى وسم حالة المصطلح السردي في النقد العربي بالاضطراب؛ نتيجة غياب الدقة العلمية في استعمال المصطلحات الخاصة بمجال السرد من جهة، والفردية والانتقائية من غير تمعن وتفحص لمدى مناسبة المصطلح لمجال التطبيق على النصوص من جهة أخرى كما كان لتعدد تعريب المصطلح أثر بارز في تفاقم مشكلة التعامل بالمصطلح

السردي؛ فعلى سبيل المثال نجد مصطلح (Narratology) يعرب بـــــ السرديات السردية، علم السرد، السردولوجية، نظرية القصة، القصصية، المسردية القصيات، السردولوجية، الناراتالوجية. ويعود هذا التباين والتضارب في استعمالات المصطلحات إلى " تعدد البيئات الثقافية، وصلابة الحدود المصنوعة بين الأقطار العربية؛ ببعضهم ينقل وبعضهم يترجم، وبعضهم يعرب، وكل ناقد يختار الكلمات العربية التي يحس هو أنها تحمل دلالات المصطلح الأصلي"[12]، وهذا ما يؤدي إلى الاهتمام بالجانب اللغوي على حساب الاصطلاحي أو العكس، ما يفقد المصطلح توازنه الطبيعي، ويخل بقيمته التداولية.

ومما عمق الهوة في استخدام الدارسين للمصطلح السردي وتجلي اضطرابه توظيف المشتغلين على المصطلح السردي لمصطلحات تعود في أساسها إلى علوم أخرى "مثل مصطلحي "الشخصية" و"الوعي" المقترضين من علم النفس، ومصطلح "القدر" و"الصدفة" المقترضين من الفلسفة، ومصطلحي "الحبكة" و"الذروة" المقترضين من النقد المسرحي، ومصطلحات "الشكل" و"المضمون" و"الأسلوب" التي تشمل النقد الأدبي بعامة"[13]، حيث يرى **سعيد علوش** في هذا الشأن، أن التعامل بمصطلحات دون غيرها خارج سياق نشوؤها يجعل " المصطلحات الأدبية في متاهات التحويلات اللامتناهية، بعيدا عن مجال الاضافة والنقص المشروعين فهذا ما يفتح الباب، لخلل غير طبيعي(...) يسقط مثلا لمصطلحات" الاشكالية/"البطل الاشكالي"، "المأساوية/"البطل المأساوي"، وهلم جر، في الترويجات التي لا يدعمها منطق أساسي، ومعرفي معين"[14]. ويُتَهَمُ المترجمون بأنهم السبب الأول في تفاقم المشكلة المصطلحية في النقد العربي، حتى وإن كانوا ملمين بأصول اللغتين المنقول منها والمنقول إليها، إلا أن غياب الاختصاص في مجال السرد، وعدم إدراك التباينات الحاصلة بين مختلف المدارس السردية، والبعد عن واقع التغيرات التي تشهدها الساحة النقدية السردية، ما يجعل المترجم بعيدا كل

البعد عن حقيقة المصطلح ومدلولاته في بيئته الأصلية، وبالتالي، فشله في إيصال الدلالات المقصودة إلى بيئة عربية لها مميزاتها اللغوية والفكرية.

ولتفادي التأثيرات التي يطرحها اضطراب المصطلح، يقترح **يقطين** جملة من المعايير التي يجب أن يخضع لها منتج المصطلح السردي، منها:

1 – معيار الجمالية: ويقصد به "أن يكون [المصطلح] سهلا، ويسير النطق وتستسيغه الأذن بسهولة(...) في إيجازه ما أمكن وقبوله الإضافة والنسبة بدون أن يؤثر ذلك على بنائه أو صيغته"[15]؛ ويمثل لمصطلح "المضطلع" المقابل في استخدامات **أ. لوقا** و**محمد خير البقاعي** لـــ(Actant)، والذي استبدلا به مصطلحا لاقى قبولا نقديا عربيا لجماليته ودقته، وهو "العامل".

2 – معيار الطواعية: ويعني به ارتباط المصطلح باللغة العربية سواء من حيث الصيغة أو الوزن. ومن الصيغ الدخيلة على لغتنا، والمخلة بسلامتها؛ إضافة بعض اللواحق التي نجدها ميزة من ميزات بعض اللغات الأوروبية مثل (éme)، ما يجعلنا أمام مصطلحات من قبيل: "صوتم" و"معنم".

3 – معيار الأصالة: ويقر هذا المعيار بضرورة العودة إلى تراثنا المصطلحي لنقتبس منه ما يوافق مفهوم المصطلحات الغربية، " فالإنتاج الاصطلاحي الغربي مؤسس في شق مهم منه على ما تمده به اللغات القديمة مثل اليونانية واللاتينية. فنحن نترجم (Séme) أحيانا ب "السيمات" وأحيانا أخرى ب "السمات" في حين نجد الفلاسفة العرب القدامى كانوا يتحدثون عن "المقومات"(...) و"الجهة" (المصطلح العربي القديم) التي نضعها كمقابل ل "Aspect" التي يترجمها البعض جهلا باللغة وبدلالة المفهوم الاصطلاحية ترجمة حرفية ويضع لها مقابلا هو "المظهر"..."[16].

ب– تباين استخدام المصطلح السردي:

إن ما يلاحظه المتتبع لاستخدام المصطلح السردي في أوساط الدرس النقدي العربي ذلك التباين الواضح في الكثير من الدراسات، والتي يحددها **عبد الرحيم محمد عبد الرحيم** في دراسته: "أزمة المصطلح في النقد القصصي" في الآتي:

1- تعدد الأشكال الاصطلاحية الدالة على مفهوم واحد: ويمثل بمصطلح (fantasy) الذي يستخدم الدراسون العرب مصطلحات كثيرة منها: (فانتازيا الاغراق في الخيال، الرؤيا، الوهم، العنصر السحري، العنصر الخرافي)، وكذا مصطلح(short story) الذي يقابل مصطلحات من قبيل: القصة القصيرة الأقصوصة، قصة قصيرة، رواية...، ويقابل مصطلح (fable) حكاية، أحدوثة خرافة، قصة[17].

2- تعدد المفاهيم الاصطلاحية التي يحملها الشكل الاصطلاحي الواحد: ويمثل لهذا البعد ب مصطلح "قصة" الذي استخدمه **كمال عباد** في ترجمته لكتاب "Aspects of the Novel" لفوستر في مقابل اللفظ الانجليزي(novel)، ثم يترجم كلمة (story) ب "قصة"، ويترجم مصطلحي (story) و(fiction) ب "حكاية"، مع أن " أن فوستر نفسه في كتابه السابق يوضح الفرق بين مفهومي المصطلحين story، novel فيعرف الأول بأنه العمود الفقري للرواية؛ وهو قص الحواديث على حسب ترتيبها الزمني، وهي العامل المشترك بين الروايات، ويفسر الثاني عن طريق...قصة خيالية نثرية ذات اتساع معين"[18].

3- ميوعة المفاهيم الاصطلاحية: ويعني به غياب الضوابط التي تتحكم في ضبط المصطلح ضبطا دقيقا.

4- ذاتية المفاهيم الاصطلاحية: وتعني الذاتية؛ خضوع المفهوم المصطلحي لرؤية الباحث الخاصة، إذ "يتضح هذا إذا نظرنا مثلا إلى مصطلح الأحداث الذي يطلق عليه النقاد العرب عددا من المترادفات مثل: الحوادث، الأخبار، الوقائع الأفعال، الحوادث الوهمية، التمثيل، المواقف، الدلالة على ما يبدر من الشخصيات القصصية من أعمال، دون تحديد أو توجيه لهذه الدلالة"[19].

ج - غياب البعد التراثي في صياغة المصطلح السردي: يرجع المهتمون بقضية المصطلح في النقد العربي الأزمة التي يعيشها المصطلح السردي إلى قضية فكرية؛ لأننا بعيدون فكريا عن إنتاج هذه المعرفة الغريبة وعاجزون عن تمثلها

فعليا، ورغم ذلك نسعى لتطبيق آلياتها دون مراعاة لخصوصية النص العربي وحمولاته الثقافية والفكرية؛ ويعني هذا "أن أي استعارة كاملة لآليات منهج، دونما مراعاة خصوصية موضوع الدرس(...) سيقود إلى الوقوع في العدمية (...) وإلى مجموعة من المقولات الجامدة التي ستظل بظلال المصطلح الجديد الذي فرضه منهج غريب"[20].

وما يثير الاستغراب، هو الجهد الذي يبذله الباحثون في مجال المصطلح السردي لاستحداث مصطلحات جديدة في وجود بديل يعبر على المدلولات في التراث العربي، على نحو " تعدد هذه الأشكال الاصطلاحية التي اطلقها النقاد على ما يسمى في الفرنسية Monologue، وفي الانجليزية Soliloquy، إذ يطلقون عليه الكلمات الاتية: مونولوج، مناجاة، مألكة، حديث النفس، الحوار الذاتي، حوارات باطنية، فالأول نقل المصطلح الفرنسي كما هو، والثاني والثالث حاولا ترجمة المدلول الاصطلاحي، والرابع والخامس والسادس حاولوا ترجمة المدلول الاصطلاحي والمدلول اللغوي معا، فجاءت عباراتهم مكونة من مقطعين كالمصطلحين السابقين الانجليزي والفرنسي، وأصبح المصطلح له مفهوم عربي وعدة مفاهيم عربية"[21].

وبمعاينة سريعة لبعض المصطلحات السردية ومدلولاتها نجدها مرتبطة بأصول غربية، حيث يشير **عبد الرحيم محمد عبد الرحيم** إلى أنه من "بين خمسمائة مصطلح أخرجتها من أكثر من مائة كتاب عند النقد القصصي في الأدب العربي لم أعثر فيها إلا على حوالي ثلاثين مصطلحا تحمل مضامين عربية الأصل، وذلك مثل مصطلحات: "النادرة"، "القصص" و"السيرة"، و"المقامة" و"الشكل" و"المضمون" و"الحديث"، "والمفارقة"، و"الطرفة"، و"السمر" و"المغزى" و"الحوار"...وغيرها"[22]. وأغلب هذه المصطلحات مصطلحات عربية قديمة، فقدت من مدلولاتها القديمة ما جعلها بعيدة عن مسايرة المصطلح، يضاف إلى ذلك التحريف الذي أصاب المصطلح العربي القديم نتيجة استخدامه للدلالة على مدلولات غربية دون مراعاة

حمولته الدلالية القديمة، "وذلك مثل مصطلحات: "الشكل" و"الراوي" و"المضمون" و"المفارقة" و"الهجاء"؛ فكل من هذه المصطلحات له دلالتان احدهما تقليدية والأخرى حديثة وافدة"[23].

انطلاقا مما سبق عرضه، نخلص إلى مجموعة من النتائج، أهمها ما يأتي:

1 – إن تتبع مسار المصطلح السردي يستوجب منا معرفة دقيقة بالجذور المعرفية، واللغوية المرتبطة بأبعاد ثقافية وفكرية وأسلوبية محلية من جهة، تتباين وثقافة المصطلح الغربي الوافد من جهة أخرى؛ محاولة لتفادي اللبس والغموض والتشويه الذي يصيب المصطلح ؛ نتيجة تضيق أو توسيع للحدود الدلالية التي يستوعبها، أو استعماله في غير مجال تخصصه.

2 – إن إشكالية المصطلح ظاهرة ليست حكرا على منظومتنا العربية، لكن تفاقمها في بيئتنا راجع لاستهلاكنا الآلي غير المنتج، دون تكييف لما يناسب فكرنا ومعارفنا الخاصة؛ ذلك أن كل مصطلح هو ابن منظومته الفكرية التي ينتمي إليها أو نسقه العلمي أو الفلسفي الذي انبثق منه، والذي يكشف بالمقابل لونه المعرفي وخصوصيته ومناعته الدلاليتين.

3 – يعود عدم تكامل البحث السردي ومصطلحاته في نقدنا العربي إلى أن اتجاهات الدراسة السردية لا تغدو أن تكون منهجا، يتم انتقاء إجراءاته من تيارات سردية مختلفة، ومن رؤى نقدية متباينة؛ ما أنتج فوضى مصطلحية، وحشدا لسياقات عشوائية ومضطربة، وسوء توظيف انعكس سلبا على طريقة تلقي المناهج السردية المرتبطة بها؛ كوننا نتعامل مع النظريات التي لا ننتج تعاملا غير إنتاجي.

4 – تفرض حالة الفوضى المصطلحية في النقد العربي تكثيف الجهود ضمن منحى علمي، من أجل تسهيل تداول المصطلح السردي من خلال قوانين تجيز استخدامه، وفق أسسه المفاهيمية، التي لا تحتمل التعدد سواء بوضع قواميس أو معاجم تجمع شتات المفردات، وتسهل العودة إليها عند الحاجة، كما يستدعي هذا

الوضع، الدفع بجهود الترجمات الفردية والجماعية، بغية مواكبة ما ينتج من دراسات، واستيعاب ما ينتج من نظريات ومعارف.

5 – العمل على توحيد المصطلح السردي وتنظيمه، وتحديد مفاهيمه، بأسلوب علمي يتماشى مع التقدم الذي أحرزته الدراسات السردية؛ لأن المصطلحات الأدبية الجديدة التي نتعامل بها لسنا نحن الذين ننتجها، ومادام كل مشتغل بها يتعامل معها بطريقة يختلف بها عن غيره، فلا يمكن إلا أن يدركها بطريقته الخاصة، ويقترح تبعا لذلك مقابلات تناسب فهمه، وتمثل استيعابه لها، ما يفقد المصطلح الأصلي حقيقته، وتشتت دلالاته.

قائمة المراجع:

1 – ابراهيم، عبد الله. المتخيل السردي. ط1. المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، 1990.

2 – بلوحي، محمد. اللسانيات المعاصرة وإشكالية ترجمة المصطلح اللسانونقدي–البنيوية والسميائية أنموذجا، مجلة الآداب، جامعة تلمسان، ع09 2005.

3 – جينيت، جيرار. خطاب الحكاية. ط2. تر/ محمد معتصم، عبد الجليل الازدي، عمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1997.

4 – زيتوني، لطفي. معجم مصطلحات نقد الرواية. ط1. مكتبة لبنان ناشرون بيروت، لبنان، 2002.

5 – عبد الرحيم، محمد عبد الرحيم، أزمة المصطلح في النقد القصصي فصول، مج7، ع3–ع4، أفريل – سبتمبر، 1987.

6 – علوش، سعيد. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. ط1. دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1985.

7 – كوللر، جونثين. نظرية الأدب. تر/ خميسي بوغرارة. منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، قسنطينة، 2007.

8 – مجموعة من المؤلفين. معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة. ط2. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، 1996 .

9 – والاس، مارتن. نظريات السرد الحديثة. تر/ حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998 .

10 – يقطين، سعيد. المصطلح السردي العربي، موقع سعيد يقطين http://www.saidyaktine.net/؟p=69، تاريخ التصفح: 2014/10/10.

الهوامش:

1 – كوللر، جونثين. نظرية الأدب. تر/ خميسي بوغرارة. منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، قسنطينة، 2007، ص :77.

2 – مجموعة من المؤلفين. معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة. ط2. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، 1996، ص:13.

3 – أنظر: والاس، مارتن. نظريات السرد الحديثة. تر/ حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، ص:14– 25.

4 – بلوحي، محمد. اللسانيات المعاصرة وإشكالية ترجمة المصطلح اللسانونقدي–البنيوية والسميائية أنموذجا، مجلة الآداب، جامعة تلمسان، ع09، 2005، ص:193.

5 – زيتوني، لطفي. معجم مصطلحات نقد الرواية. ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2002 ص: 08.

6 – يقطين، سعيد. المصطلح السردي العربي، موقع سعيد يقطين http://www.saidyaktine.net/؟p=69، تاريخ التصفح:2014/10/10.

7 – جينيت، جيرار. خطاب الحكاية. ط2. تر/ محمد معتصم، عبد الجليل الازدي، عمر حلي الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1997، ص: 41.

8 – المرجع نفسه، ص: 39.

* نؤكد هذا الاختلاف، حين نعود إلى دلالة مصطلح السرد في النقد الفرنسي، والذي يعني النسج والحرص، وفي النقد الانجلوسكسوني الذي يدل على الإخبار telling من غير حضور السارد في القصة.

9 – يقطين، سعيد. المصطلح السردي العربي، موقع سعيد يقطين http://www.saidyaktine.net/؟p=69، تاريخ التصفح: 2014/10/10.

10 – المرجع نفسه.

11 – المرجع نفسه.

12 – عبد الرحيم، محمد عبد الرحيم، أزمة المصطلح في النقد القصصي، فصول، مج7، ع3–ع4، أفريل – سبتمبر، 1987. ص: 104.

13 – المرجع نفسه، ص: 104.

14 – علوش، سعيد. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. ط1. دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1985، ص: 07.

15 – يقطين، سعيد. المصطلح السردي العربي، موقع سعيد يقطين http://www.saidyaktine.net/؟p=69، تاريخ التصفح: 2014/10/10

16 – المرجع نفسه.

17 – عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، أزمة المصطلح في النقد القصصي، ص: 100.

18 – يقطين، سعيد. المصطلح السردي العربي، موقع سعيد يقطين http://www.saidyaktine.net/؟p=69، تاريخ التصفح:2014/10/10.

19 – عبد الرحيم، محمد عبد الرحيم، أزمة المصطلح في النقد القصصي، ص: 102.

20 – ابراهيم، عبد الله. المتخيل السردي. ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء 1990، ص: 13.

21 – عبد الرحيم، محمد عبد الرحيم، أزمة المصطلح في النقد القصصي، ص: 103 – 104.

22 – المرجع نفسه، ص: 103.

23 – يقطين، سعيد. المصطلح السردي العربي، موقع سعيد يقطين http://www.saidyaktine.net/؟p=69، تاريخ التصفح: 2014/10/10.

مصطلحات عبد الجليل مرتاض اللّسانيّة

أ.طاوس خلوات

جامعة مولود معمري، تيزي–وزو

مقدّمة: تُقسّم اللّغة من وجهة نظر التّداوليّة والتّواصليّة إلى مستوى عامّ وآخر خاصّ، وهذا المستوى تمثّله المصطلحات في كلّ علم من العلوم؛ ذلك أنّ أهل كلّ علم محتاجون إلى الإيجاز ليتحقّق لهم التّواصل في ما بينهم في حقول اختصاصهم ولا يقوم الوجود الحقيقيّ لهذه المصطلحات إلاّ بإنماء المفردات الجديدة وبإعادة نشر المفردات أو التّراكيب النّاجزة بمعان جديدة. وقد شملت قضيّة نقل المصطلح وترجمتِه؛ الباحثين في نقل العلوم منذ رفاعة الطّهطاوي وحتّى يومنا هذا، فعُقدت في سبيل ذلك مؤتمرات وندوات، وأُقرّت توصيات. وليست قضيّة المصطلح بعيدة عن قضيّة المصطلح العلميّ ولا سيّما أنّ اللّسانيّات أقرب إلى العلم منها إلى غيره ذلك أنّ «قارئ كتب اللّسانيّات المترجمة منها أو الموضوعة بالعربيّة تتخطّفه أمواج الفوضى المصطلحيّة[1]» وهو مما يحُول دون فهم هذا العلم فهمًا دقيقا صائبا.

1– مفهوم المصطلح: إنّ المصطلحات مفاهيم ومنظومات دالّة مأخوذة من منظومة الدّوال اللّغويّة فهي غير مفصولة عن دلالاتها اللّغويّة، إلاّ أنّها تغدو مستقلّة كلّما أوغلت في ميدانها التخصّصيّ، فهي ألفاظ انحرفت دلالاتها عن أصل وضعها، فدخلت ميدانا خاصا من الدّلالة يكشف سياقها العلميّ الّذي أصبحت حكرا من بعد.

و«تتّضح المعضلة المصطلحيّة في الدّراسات اللّسانيّة المترجمة أيّما اتّضاح، من دون تفريق بين الكتاب الجامعيّ أو الموضوع للمختصّين، فقد كان أصحاب التّرجمات مدفوعين بالرّغبة في إشاعة هذا العلم الجديد وتيسير الثّقافة اللّسانيّة الجديدة، وتحقيق الرّيادة في تقديم مفاهيمها في زحمة العلوم والاختصاصات[2]»

فمصطلح اللّسانيّات قد «بلغت المصطلحات الّتي اُستعملت في التّعبير عنه ثلاثة وعشرين مصطلحا[3]» ظهر هذا المصطلح أوّل مرّة في الجزائر و«كان موضع اتّفاق المختصّين، ثمّ احتضنه المختصّون في ندوة اللّسانيّات المنعقدة في دمشق ووضع عبد السّلام المسدّي كتابه (قاموس اللّسانيّات)[4].» وبذلك يكون أبناء العربيّة قد توحّدوا على مصطلح واحد. وعلى الرّغم من ذلك « يأتي مترجمًا (الموسوعة اللّغويّة) لـــ(ن.ي كولنج (Ko linge) ليضعا مصطلحات عدّة في مقابل مصطلح (Linguistics) فيقولا علم اللّغة، ألسنيّة، علم اللّغويّات اللّسانيّات، علم اللّغات.[5]» وما على القارئ إلا أنّ يختار، وهذا برهان على جهلهما بما أصبح مستقرّا في هذا الميدان من مصطلحات، وعلى افتقارهما إلى الدقّة النّاجمة عن متابعة ما يجدّ من دراسات، أو أنّه ليس لهما من شكل إلاّ وضع الاسمين على غلاف الموسوعة ومن ثمّ إغفالهما مسألة السّياق في أثناء التّرجمة والاكتفاء بما تنجِدُهما به المعاجم ثّنائية اللّغة.

ويتساءل عبد الجليل مرتاض عمّا إذا كنّا راضين عن بعض المصطلحات اللّسانيّة، ويقول إنّ هذا ما يحزّ في نفسه والسّبب هو أنّ بعض المصطلحات اللّسانيّة الجديدة الّتي لا وجود لها في لسانيّاتنا العربيّة، أو هي موجودة بترجمات أو تعريبات تجعلنا من الصّعب أن نقبلها كلّها، وهذا لن يكون في فائدة توحيد الرّؤى اللّسانيّة، وتقريبها من بعضها بعضا لتطوير اللّسانيّات العربيّة الّتي لا ولن تتطوّر بفوضى المصطلحات.[6]»

2- مصطلحات عبد الجليل مرتاض: من المصطلحات الّتي اقترحها مرتاض مقابلا لمَا ورد في بعض التّرجمات العربيّة ما يلي:

نحو أم نحويّة: متى يكون نحو جملة أو نحو نصّ نحوا بالمفهوم القوْعديّ؟

إنّ ما تفتقر إليه اللّسانيّات العربيّة الحديثة غياب المصطلحات الّتي تتناسب مع ما جدّ في اللّسانيّات الغربيّة الحديثة، ومن هذه المصطلحات*(Grammatical) أي

نحويّ و(Grammaticalité) القوْعدة، و(Grammaticalisation) أي المورفيم النّحوي و(Grammème) أيّ أصغر وحدة صرفيّة... إلخ.

تُطلق الوظيفة النّحويّة (Fonction grammaticale) على الدّور الّذي تقوم به سانتغمات* في جملة، فالوظائف النّحويّة هي الوظائف المتعلّقة بالفاعل، والمفعول به، والمفعول له والمضاف إليه، والعامل (Agent). وفي النّحو التّوليدي والتّحويلي لتشومسكي يُقال النّحويّة (Grammatical) لكلّ ملفوظ يعدّه متكلّم (Un sujet parlant) ملفوظا تابعا أو خاصّا بلسان ومطابقا لقواعده، لأنّ تحليل لغة طبيعيّة يتعامل مع مفهوم النّحويّة على أنّه مفهوم مؤسّس على الحكم الّذي يبديه متكلّمون للُغة بذاتها. ومن اللّسانيّين من يحدّد النّحويّة في ثلاثة تجليّات، فتأتي:

ا- بمعنى ضروب نحويّة: أدوات التّعريف، أدوات أو روابط الوصل، حروف الجرّ ...

ب- بمعنى الوظائف النّحويّة: من فاعل، مفعول، ظرف، حال ...

أ- بمعنى قانون الجملة: استفهام، نفي، أمر...

وعن التّرجمات العديدة لكتاب أندري مارتيني: عناصر اللّسانيّات العامّة (Eléments de linguistique générale) يتطرّق عبد الجليل مرتاض إلى جانب المصطلح فيه، ويرى أنّه متباين مع ما هو متعارف عليه تقريبا بين جلِّ اللّسانيّين العرب المحدثين، إذ كيف يمكن لمتلقّ مطّلع على المبادئ الأولى لِلسانيّات أندري مارتيني أن يُسيغ ترجمة (Analyse en monème) إلى" تحليل إلى كلمات" ومعلوم أنّ الكلمة شيء، والمونيمة الّتي هي أصغر وحدة دالّة شيء آخر؟ بل كلّ كلمة مونيمة، وليست كلّ مونيمة كلمة، وأنّى لنا أن نقبل ترجمة (Actualisation) إلى "اجتعال" وهي تعني بكلّ بساطة انتقال الشّيء إلى طور الحقيقة، كتأدية صوت أو إخراجه، أو تحيين الشّيء كجعله ينتقل من القوّة إلى الفعل؟ وأنّى لنا أن نقبل إطلاقه "الصّويتي" على ما هو فونيميوفونولوجيّ: Analyse phonologique تحليل صوتيّ" و"Phonème صوتيّ" وفي ما يأتي بعضٌ من هذه المصطلحات[7]:

− Chaîne parlée	1− مدرج الكلام
− Code	2− وضع
− Conjoint (monème)	3− كلمة اقترانيّة
− Copule	4− عماد
− Corrélation	5− تناظر
− Créole	6− كرييول
− Carminatives (fonction)	7− أوجية (وظيفة)
− Fonction (des éléments phonique)	8− وظائف العناصر اللّسانيّة
− Lexème	9− معجميّ
− Linéarité (du langage)	10− صفّي
− Marque (de corrélation)	11− علامة (تناظر)
− Maternelle (langue)	12− الأمّ (لسان)
− Message	13− خطاب
− Modalité	14− قرائن
− Mode	15− صيغ
− Monème	16− كلمة
− Monème autonome	17− كلمة مكتفية
− Morphème	18− نحويّ
− Morphologie	19− تصريف
− Morpho (phonologie)	20− تصريف صوتيّ
− Ordre (dans une corrélation)	21− قبيل (في تناظر)
− Paradigmatique	22− جدوليّ
− Participe	23− اسم (فاعل/ مفعول)
− Synthème	24− نسق

والّذي يكاد يكون متّفَقا عليه أن المصطلحات اللّسانيّة أعلاه؛ متداولة على نطاق واسع أو ضيق على النّحو الآتي:

1- بدل مدرج الكلام، Chaîne parlée سلسلة الكلام أو التكلّم أي تتابع الأصوات المتلفّظ بها خطّيّا: ك/ت/ب وزمنيّا؛

2- بدل الوضع Code الّذي لا صلة له بما جاء، نقول: رمز الاتّصال المتواضع عليه في إطار جماعة لغويّة معيّنة، وكان عبد الجليل مرتاض قد اقترح "السّنن" ترجمة لـــ (Code) استيحاء من عنوان أوّل كتاب "فقهيّ[8]" عربيّ لابن فارس؛

3- مقابلة مونيم بكلمة أمر غير مقبول، لأنّ كلّ كلمة مونيم، وليس كلّ مونيم كلمة: فكلمة "سنستدرجهم" مؤلّفة على الأقلّ من خمسة مونيمات، هل يجوز القول فيها إنّها مؤلّفة من خمس كلمات؟ و(Conjoint) تعني المتّصل أو المقترن، فضلا عن دلالات أخرى والأنسب القول: مونيم مقترن؛

4- نقول: Fonction copulative أي وظيفة الوصل أو الرّبط، ومن ثمّ فـــ: Copule منطقيّا ونحويّا تعني رابطة[9]؛

5- يتساءل عبد الجليل مرتاض من أين جاء مصطلح "تناظر" تقابلا لـــ Corrélation إلاّ إذا استُوحي من "الارتباط المتبادل" وإلاّ فإنّه يكون:

- ارتباطا صوتيّا متبادلا = Corrélation phonétique -
- ارتباطا دلاليّا متبادلا = Corrélation sémantique-

أي أنّ مصطلح (Corrélation) «تناظر علاقة أو ارتباط، ولو قيل المضاهاة بدل تناظر؛ لكان أقرب» ويأتي بمعنى التّلازم كوجود علاقة بين مجموعتين من الأصوات، كالعلاقة بين الأصوات الانفجاريّة المهموسة والانفجاريّة المجهورة فلكلّ وحدة صوتيّة في المجموعة الأولى ما يقابله في الثّانية، مثلما هو الحال في مقابلة الأصوات المرقّقة والمفخمة.

6- «المعروف عن مصطلح (Créole) أنه كلّ تواصل لغويّ طبيعي هجين كالعاميّة الجزائريّة وبخاصّة وسط المغتربين في فرنسا، ويمثّل عبد الجليل مرتاض لهذا المصطلح بالمثال التالي:

- صباح الخير.
- Comment allez-vous ?
- الحمد لله.
- ورّاك ماشي؟
- آ، راني ماشي لْبالة (La pelle) والفَاس

(انتبه !اذهب على مهل) Attention ! vas-y doucement-

وعليه، فلفظة كرييول لغة ليست لهجة أو لغة ما، وإنما هي ناجمة عن منوّعة بقواعد خاصة ومفردات ممزوجة أصبحت بسبب ظروف تاريخية أو سوسيو ثقافية اللّغة الأمّ لقبيلة ما. إذن مصطلح (créole) هي اللّغة الهجينة أو المختلطة أو المولّدة، والّتي تتكوّن بين النّاس وتنتقل من الأجداد إلى الأولاد، وهي لغة مبسّطة، تتألّف عناصرها من لغات مختلفة وقد سقط الإعراب منها.

7- "أوجية" هذا المصطلح يُقصد به عادة وظيفتان: تزايديّة ونبريّة أي: Fonction culminative de l'accent، وهي من (Culmination) أي بلوغ الأوج؛

8- «نلاحظ أنّ المترجم ترجم (Elément) ترجمة سليمة، بينما ترجم عنوان كتابه "مبادئ"[10].» ويعني هذا المصطلح عنصر، وهو كلّ وحدة لغويّة أو نحويّة أو معجميّة تدخل في تكوين جملة.

9- اضطربت قواميس المصطلحات اللّسانيّة المزدوجة اضطرابا شديدا ومعها المؤلّفات اللّسانيّة العربيّة الحديثة، فمنهم من يترجم (Lexème) إلى معجميّ كما نجده هنا، ومنهم من يسمّيها المفردة المجرّدة أو الوحدة الجذريّة، ومنهم من يقول فيها: **مفردة متمكّنة**، أو **المفردة**، والمصطلح الّذي يستأنس إليه عبد الجليل مرتاض؛ ما وجده في القاموس المزدوج العام للمرحوم سهيل إدريس، حيث يسمّي اللِّكْسيم "المأصل" أو "جذر الكلمة، وهو الأصوب في نظرنا؛

10-يتساءل عبد الجليل مرتاض من أين ورد مصطلح "صفّي" لتقابل (Linéarité) إذ المتّفق عليه أن هذا المصطلح الأخير يعني ما هو خطّيّ تتابعيّ أو التّرتيب التّسلسليّ للأصوات أو الكلمات حين يؤدّي تغيّر إحداهما إلى تغيّر في

الأخرى يكون متناسبا مع تغيّر الكمّيّة الأولى، لأنّ الوحدات تتعاقب أو تخلّف الواحدة منهنّ الأخرى، ولكن لا يمكن أن تكون متماثلة في آن واحد في نفس النّقطة من السّلسلة الكلاميّة؛

11-إذا كنّا نطلق علامة على (Marque) فبأيّ مصطلح نسمّي (Signe) مثلا؟ وهناك بعض القواميس اللّسانيّة تُطلق نفس المصطلح (علامة) على (Marque) والأنسب أن نترجمه: "شارة" أو "ميِّزة" أو طابع؛

12-مصطلح (Maternel) يشار بها إلى كــلّ مــا هو أموميّ، ومنها (Langue maternelle) أي لغة الأمّ؛

13-يعتقد عبد الجليل مرتاض أنّ المترجم استأنس بترجمة مصطلح (Message) إلى "خطاب" بما ورد في بعض القواميس اللّسانيّة المزدوجة الّتي ورد فيها فعلا هذا الشكل من التّرجمة، والمعروف أنّ هذا المصطلح يقابل العنصر الرّابع من عناصر التّبليغ السّتّة لدى رومان ياكوبسون، ونطلق عليها مرسلة تجنّبا للرّسالة الّتي قد يعني بها شيء أوسع وأعمّ من المرسلة، وأمّا خطاب، فلا أحد يختلف مع نظيره بأنه ما يُعرف بـــ (Discours) حتّى وإن كان بعض الدّارسين (هاريس) يسمّي الخطاب ملفوظا متّصلا أو سلسلة من الملفوظات[11].»

14-يترجم المترجم وهو الزّبير سعدي الّذي أخذ عنه عبد الجليل مرتاض هذه المصطلحات، مصطلح (Modalité) بالقرائن، مع أنّ هناك من يطلق القرينة على السّياق (Contexte) وربّما سمّاها مصدر لسانيّ مزدوج آخر "حكم الكلام" من أمرٍ وتمنٍّ واستفهام، على حين أن القواميس المزدوجة العامّة لا تكاد تختلف في ترجمة (Modalité) أو (Modality) إلى:

- طريقة، كيفيّة، وضع؛
- أسلوب: الطّريقة الّتي تُكتب بها المقطوعة الموسيقيّة؛
- إلى جانب مدلولات أخرى.

والّذي نخلص إليه أنّ القرينة (Modalité) أنسب استعمالا في مجال السّياق والبلاغة كالقرينة اللّسانيّة (السياقية) والقرينة غير اللّسانيّة أو الحاليّة في مقابل القرينة المقاليّة[12]» ويشير عبد الجليل مرتاض إلى الصّعوبة الّتي وجدها في ترجمة

هذا المصطلح، إلى درجة أنّه عبّر عنه بكلمته الأجنبيّة إفرادا وجمعا، تلافيا للغموض المصطلحيّ إذا ما تُرجم ترجمة حرفية إلى العربيّة[13]» وتدلّ الكلمة(Modalité) عند أندري مارتيني حصريّا على «المحدّدات النّحويّة لوحدة دالّة (Significative): فالجمع، وأداة التّعريف، والدّال على الملكيّة (possessif) واسم الإشارة كلّها كيفيّات اسميّة (في الفرنسيّة)[14] »

15- ترجمة (mode) إلى "صيغة" مناسبة إلى حدّ ما، ولكنّها متداخلة معنويّا مع (Modalité) : صيغة الفعل، كيفيّة التّلفّظ، كيفيّة الدّلالة، وعرّفه جون دبواJean Dubois)) بأنّه: «فئة نحويّة شريكة عموما للفعل ومترجمة عن نمط التّبليغ المقام من قِبل المتكلّم بين هذا الأخير ومخاطبه (وضع الجملة (Statut de la phrase) أو موقف المتكلّم (Le sujet parlant)[15]» وممّا هو ملاحظ أن جون دوبوا يعتبر هذا اللفظ مرادفا لـ (mode)

ونشير إلى أنّه ليس بالضّرورة أنّ كلّ ما ينطبق على لغة ينطبق على لغة أخرى ومن هنا تبدو علّة فوضى المصطلح، كلّما أراد أحدنا أن يُخضع لغته إخضاعا تعسّفيا أو قهريّا إلى مصطلحات لا تتماشى مع طبيعة لغته الّتي قد لا تحتاج أصلا إلى كلّ هذه المصطلحات، أو هي في حاجة إلى مصطلحات لا تزال غائبة عمّا ينسجم مع أنظمتها الداخلية المستقلّة؛

16- أشرنا إلى أنّ مصطلح (Monème) لا يعني كلمة، بل أصغر وحدة دالّة من التّقطيع المزدوج الأوّل، فكلمة: "يذهبن" تتضمّن ثلاث مونيمات: (يـ) و(ذهب) و(نون النسوة) والمونيم مرادف تقريبي للمورفيم (Morphème) المصطلح الأمريكيّ. و«ينبّه بعض اللّسانيّين إلى الحذر من الخلط بين المصطلحين فالمورفيم الأمريكيّ يساوي المونيم النّحوي عند مارتيني. والمونيم بالنّسبة لمارتيني يكون ثمّة اختيار، لا الشّكل وحده فحسب ففي جملة فرنسيّة (La grande chaloupe) (زورق الإنقاذ الكبير) لا تشكّل العلامات الثّلاث للمؤنّث أيّ اختيار، ومن ثمّ فليس هناك مونيم؛ أي أنّ المونيم يكون حين يتمّ التّمييز بين جنس المؤنّث وجنس المذكّر، كما في (tigre) تعارضا مع (tigresse)»

17- من الأقرب أن نقول: "المونيم المستقلّ" وإلاّ قلنا: المونيم المكتفي بذاته أو القائم بذاته مقابلا لـــ (monème autonome)؛

18-سمّى المترجم (Morphologie) "تصريفا" وإذا كان عبد الجليل مرتاض لا يعارض مبدئيّا هذه التّرجمة الأقرب إلى المصطلح الشّائع، الّذي عادة ما يقابل به النّحو، فكيف نترجم مصطلح (Conjugaison) فالمتعارف عليه أنّه علم الصّرف.

وما تقوله المصادر اللّسانيّة المختصّة أنّ المورفولوجيا دراسة الأشكال في اللّغة والتّغيّرات في شكل الكلمات لتوضيح علاقاتها مع كلمات أخرى من الجملة وسيرورة نظام التّكوين في كلمات جديدة، وهي تعني لدى كل من:

1- **فندريس** (Vendryes): دراسة المورفيمات الّتي تتميّز عن دوال الماهية؛

2- **سويت** (Sweet): دراسة التّبدّلات الشّكليّة لكلّ فئة من الفئات النّحويّة؛ أي أنّها تعالج عند تصريف الاسم، التّركيب (Composition) والاشتقاق، ترتيب الكلمات وأقسام الخطاب؛

3- عند **جسبرسن** (Jespersen) تعالج "دوال" وظائف نحويّة (لاحقة أو بادئة، كلمة نحويّة، ترتيب الكلمات)

4- **بلومفيد** (Bloomfield) تدرس التبدّلات لأشكال الكلمات (وحدات معجمية) حيث المورفيمات الّتي لا تتواجد دائما وحدها كملفوظات كاملة، كزائدة أو لاحقة ترِدُ كعناصر مقوِّمة؛

5- **مارتيني** تخصّ المورفولوجيا التّغيّرات لدوال المونيمات أو البدائل الصّرفيّة (Allomophone) بالمعنى البلومفيلدي، فالمورفولوجيا التّركيبية تدرس تغيرات المونيمات النّحويّة (التصريف...)

19-هل يُعبّر بـــ (Participe) عن اســـم المفعـــول واســـم الفاعل معا؟ إنّ الّذي نعرفه أنّ اسم الفاعل يقابله (Participe présent) واسم المفعول يقابله (Participe passé)

هذا إلى جانب العديد من المصطلحات الأخرى الّتي لا نريد أن نثقل بالحديث عنها، وما لوحظ لا يعني أنّه ينقص من الجهود الّتي بذلها المترجم، لأنّ الإشكال

عامّ ولا يخصّ مترجما عربيّا دون مترجم آخر، بل الإشكال الجوهريّ يكمن داؤه في لسانيّاتنا العربيّة الّتي لم تشق طريقها بعدُ إلى العالميّة.

من حقّ الباحث أن يضع مصطلحه، ولكن لا قيمة لهذا المصطلح إلا إذا أُقِرّ من أهل العلم والمتخصّصين، وبهذا يصبح جزءا من اللّغة العلميّة الشّائعة إذ يصطلح كلّ ما يرى ويعبّر كما يحلو له، وقد أدى ذلك إلى بلبلة المصطلح واضطراب الاستعمال وأُريدَ بالمجامع اللّغويّة أن تتدارك هذا النّقص، وتتعاونَ في توحيد المصطلحات العربيّة ولا شكّ أن للنّشر والتّأليف شأن في تداول المصطلحات واستعمالُها يضعها في إطارها ويُبرز قيمتها، وربّما ألحق المؤلِّف بكتابه ثبتاً بما ورد فيه من مصطلحات ومقابلها الأجنبيّ فتقوم الدّراسة الجامعيّة بدفع هذا التّأليف قُدُما.

أسهم عبد الجليل مرتاض في توضيح بعض المفاهيم وتبسيطها للقارئ العربيّ. وقد جمع ما ذُكر من مصطلحات في كتابه الموسوم بـــ: (مفاهيم لسانيّة دي سوسورية وبسّطها وقدّمها جاهزة للدّارس، ومنها: اللّسانيّات: يقول في معرض حديثه عن الاختلاف القائم حول هذه التّسمية: «والّذي نصطدم به اليوم أكثر في مجال الحقل اللّسانيّ الآني مثلما عانينا منه في ميدان الدّرس اللّغويّ القديم هذه المصطلحات اللّغويّة المتداخلة حينا والمتنافرة حينا آخر، وما يعنيه مصطلح في لغة ليس ضرورة، أو ليس بمقدوره أن يعني الشّيء نفسه في لغة أخرى،حتّى ولو كانت هاتان اللّغتان من نفس الفصيلة، ونشير إلى أن مصطلح "الألسنيّة" يكاد إطلاقه يسود في الدّراسات المشرقيّة بينما يسود مصطلح اللّسانيّات في الدّراسات اللّسانيّة المغاربيّة[16]» وممّا هو معلوم أنّ فعالاً بفتح الفاء وضمّها أو كسرها (ومثلها فعيل) إذا دلّت على مؤنّث كان جمعها أَفعلْ(لسان– ألسُن) وإن دلّت على مذكر كان جمعها أفعلة (لسان– ألسنة) والتّذكير فيه أكثر ولذلك جاء في القرآن كلّه مذكّرا، فجاء جمعه في القرآن ثلاث مرّات على وزن أفعلة.

وإذا ما أُنّثَ اللّسان، وهو في الغالب مذكّر، فإنّما يُؤنّث على الحمل، أي على معنى الرّسالة، وقال الفرّاء لم أسمع اللّسان العربيّ إلا مذكّرا، وقال أبو عمرو بن العلاء اللّسان يُذكّر ويؤنّث[17]. وإذا كان استخدام الألسنيّة يبدو كأنّه مصطلح

واضح، فإنّه مع ذلك يظلّ لا يخلو من لبس، إذ الألسنة جمع على دلالة التّذكير وواحده لسان من لفظه، وكان ينبغي أن تكون النّسبة إلى الألسنة لسانيّا لا ألسنيّة لأنّ هذه النّسبة الأخيرة لا تجوز من هذا الجمع ما دام له مسمّى من لفظه، وأمّا إذا كانت الألسنيّة من الألسن على دلالة التّأنيث فالمحافظة نفسها أعلاه تُطبّق عليها ولذا فإن انحراف هذه الكلمة وخطأها ثابتان ثبوتا لا ارتياب فيهما. ويظهر لنا أن صياغة اللّسانيّات أنسب من الألسنيّة لعدّة أسباب منها:

أ- لسانيّات مأخوذة من لسان بزيادة ياء مشدّدة وتاء التّأنيث على اللّفظ فصارت لسانيّة؛

ب- النّسبة نسبة صحيحة وفق القاعدة السّليمة في العربيّة؛

ت- لسانيّات تُعتبر بهذه الكيفيّة مصدرا صناعيّا دالاّ على كلّ الصّفات والمدلولات المعنويّة الّتي يتضمّنها لفظ "لسان" وتدور حوله؛

ث- صياغة المصادر الصناعيّة في اللّغة العربيّة قاعدة قديمة ومألوفة في اللّغة العربيّة وقد ورد في تراكيب الجاهليّة، كمصدر صناعيّ وفي القرآن الكريم أربع مرّات.

ويبدو أنّ عبد الرّحمن الحاج صالح كان أوّل من أطلق تسمية اللّسانيّات، وأوّل من اشتهرت على يده هذه التّسمية، وكان لهذا اللّسانيّ الجزائريّ الفذّ الفضل في نقل هذا المصطلح إلى بعض الجامعات.

1. **العلامة اللّسانيّة:** لقد درس عبد الجليل مرتاض مبدأ العلامة انطلاقا من مبدأ دي سوسير الّذي يرفض الأطروحة الّتي تنظر إلى اللّغة على أنها مدوّنة تحوي عبارات توافق قدرا من الأشياء المعبّر عنها. وقد بيّن بنية العلامة وتفكيكها من حيث ثبوتها وتبدّلها، وفي هذا الصّدد أشار إلى شقّي العلامة اللّسانيّة (الدال والمدلول) وشرح كيف يرتبطان بالتّصور. ويسمّي دي سوسير حسب عبد الجليل مرتاض النّسق الحاصل بين التصوّر والصّورة السّمعيّة(image acoustique) علامة حيث إنّ« العلامة نفسها عنده هي مجموع ما ينجم عن ترابط الدالّ بالمدلول، فإنّه يتصوّر لهذا التّرابط تبادلا حميميّا وقويّا بينهما[18]» وهناك من أعطى بُعدا أوسع، باعتبارها حاملة لمعلومة معيّنة خصوصا عندما تُستخدم العلامة لـــ

«الإشارة الفيزيائيّة يمكن أن تكون سمعيّة أو كهربائيّة، أو غير ذلك وبهذا تكون العلامات أعواد نقش للشّعوب البدائيّة، إشارات الطّبل، وإشارات المرور والحركات ولغات الحيوانات...» وبهذا المنطق تكون العلامة واسعة الدّلالة متنوّعة الشّكل فقد تتعلّق بلغة الإنسان وبالإشارات والإيماءات، وقد تتعلّق بالجماد وبالطّبيعيّة المتحرّكة. والعلامة اللّغويّة بالنّسبة لدي سوسير؛ هي كلّ ما يتكوّن من تصوّر وصورة صوتيّة كما أشرنا سابقا. ويرى أن جانبيْ العلامة من دالّ ومدلول غير منفصم، ويستلزم كلّ منهما الآخر، فلو قلنا مثلا: رأيت نمرا، فمجموعة الأصوات الّتي يتألف منها اسم هذا الحيوان (ن- م- ر)هي الدالّ أمّا المدلول فهو الحيوان في مخيالنا، وأمّا المرجع فهو النّمر على صورته الحقيقيّة كما هو في الطّبيعة.

2. **مبدأ الاعتباطيّة:** يرى عبد الجليل مرتاض أن دي سوسير (De Saussure) كان مولعا باعتباطيّة العلامة اللّسانيّة «وذلك لم يُنسه أن يعالج هذه المسألة لاحقا ليفرّق بين ما قد يكون اعتباطيّا مطلقا وما قد يكون اعتباطيّا نسبيّا[19]» وقد ضرب دي سوسير أمثلة عديدة منها غير المعلّلة مثلا عشرون« (vingt) وما شابهها والمعلّلة لما قبلها بفضل العبارة المركّبة منها مثل العدد تسعة عشر(dix neuf) كذلك كلمة شجرة غير معلّلة، أمّا شجرة التّفّاح(pommier) فمعلّلة قياسا إلى التّفّاح(pomme)[20] »

3. **القانون السيميوطيقي:** وقد تناول عبد الجليل مرتاض مسألة القانون السيميوطيقي للوحدات اللّسانيّة خصوصا أن أيّ قراءة مهما كانت طبيعة متنها أو مدونتها، تتعلق بالدال والمدلول أو بهما معا من عناصر أساسية أو مكمّلة لهما فهو يرى «ضرورة استحضار قوانين أخرى لا تقلّ أهمّيّة عن الإحالة على التّأويلات الدّلاليّة، لأنّه يستحيل استحضار كلّ الأنظمة الأخرى في أيّ قراءة من القراءات ويرى في هذا الأمر أن نزاوج بين السّيميوطيقيّ والمعجميّ للعثور على إحالة أخرى للكلمات أو الوحدات اللّسانيّة[21]». ولا شكّ أنّ مقاربة الأثر الإبداعيّ مهما كان من الصّعوبة بمكان، لأنّ ما هو خارج النّصّ يتعالق به ويسهم في تحديد مدلوله وتقريب معناه وفهمه، وهنا لا بدّ من الانفتاح على كلّ ما هو خارج النّصّ

لأنّ ذلك يسهم في الكشف عن المعنى المضمر في ثنايا النّصّ الأدبيّ وهذا ما ذهب إليه البنويّون الّذين يؤمنون بالمبدأ الصّوري لا المبدأ التّكويني الصّارم، الّذي يُقصي الخارج ويقتل المؤلّف ويؤمن بالنّسق المغلق.

4. **الشّعريّة والأدب:** درس عبد الجليل مرتاض مفهوم الشّعريّة وعلاقتها بالأدب، ووظائفها اللّغويّة المختلفة والتّأويل الدّلاليّ الشّعريّ للخطاب، وفي هذا الصّدد يرى أن شعريّة القراءة هي غير شعريّة الكتابة. وقد شرح الوظيفة الشّعريّة عند رومان جاكوبسون (Romane Jacobson) الّذي يعتبرها إحدى الوظائف اللّغويّة الستّ و «الشّعريّة منهج نظريّ وُجد لدراسة كلّ ما هو داخليّ في الأدب فضلا عمّا يكتنف هذا المصطلح من مقاربات نقديّة ولسانيّة متعدّدة، وأهمّها كما أومأنا، المخالفات أو الخروقات في مختلف المستويات اللّغويّة المألوفة في ما يسمّى باللّغة العاديّة. والواقع أنّ الشّعريّة في عُرْف الشكلانيّين الرّوس هي الجوانب الجماليّة في الأدب وكلّ ما يجعل من نصّ ما أدبا كالإيقاع، والتّضاد والالتفات والانزياح والقافية وغير ذلك، ولا تقتصر (الشّعريّة) على القصيدة الشّعريّة بل تهتمّ بكلّ نصوص الأدب مهما كان نوعها، والشّعريّة لا تعني بالمفهوم التّقليديّ للأدب أو ما قد يُعرف بالأدب الحقيقيّ، بل بالأدب الممكن أي بخصائصه المجرّدة الّذي تُميّز هويّته كأدبيّة أي شعريّة بنويّة[22]. والشّعريّة من هذا كلّه تختلف عن وظيفة علم النّفس وعلم الاجتماع وغيرهما لأنّها تسعى إلى معرفة القوانين العامّة الّتي تنظّم ولادة كلّ عمل أدبيّ، وتبحث عنها داخل الأثر الأدبيّ لا خارجه، وهذا ما يصطلح عليه بالنسق الأدبيّ المغلق.

5. **مبدأ الخطاب المكتوب والمنطوق:** يتحدّث عبد الجليل مرتاض في هذا الصّدد عن قضيّة تتّصل بالتّواصل اللّغويّ وغير اللّغويّ، إنّهما الشّكلان المنطوق والمخطوط، فدي سوسير يزعم أنّنا لا نعرف اللّغات عامّة إلا كتابيّا؛ لأنّ «الكتابة هي الشّهادة الخطيّة الّتي تتمثّل بها لغة محكيّة على بعد زمنيّ ما بشكل دائم، غير أنّ الغرض اللّسانيّ لا يتعيّن بتنسيق التّرابط بين كلمة مخطوطة وأخرى.[23]» فالتّواصل حسب رأيه إمّا أن يكون مكتوبا أو منطوقا، لكنّ الشّفهيّ أسبق من الكتابيّ على الرّغم من أنّ «الوحدة اللّسانيّة المخطوطة تمتزج بالوحدة اللّسانيّة

المكتوبة، فهو يرى أن اللّغة مستقلّة عن الكتابة[24].» وهذا رأي لا يجانب الصّواب لو ضربنا مثلا بالأمّة العربيّة الّتي بدأت أوّل عهدها بالشّفهيّ أو المنطوق، لأنّ العرب لم تعرف الكتابة في العصر الجاهليّ ممّا جعل أدبها عرضة للضّياع، فكانت أمّة تعتمد على المشافهة والحفظ في الصّدور، وقد مثّل خلف الأحمر والمفضل الضبي وحمّاد الرّاوية والأصمعيّ وغيرهم الرّواية الشّفويّة للشّعر في عصر التّدوين، وكانت الكتابة متأخّرة النّشوء عند العرب. ويرى عبد الجليل مرتاض أن « اللّغة مستقلّة عن الكتابة، والشفاهيّة أيضا مستقلّة عن الكتابة. وقد كان متأثّرا بجلّ اللّغويّين المشاهير في دراساته اللّغويّة ونذكر منهم: بيرس(Pears) ودي سوسير وتشومسكي (Chomsky) وآيزر (Eizer) وغيرهم[25]». كما استطاع هذا الدارس المحافظة على المصطلح الواحد وتبسيطه حتّى لا يشوّش على القارئ المبتدئ، وغالبا ما كان يفضّل المصطلحات ذات الأصول العربيّة. وقد تناول بالشرح بعض الثّنائيّات المختلفة الّتي جاء بها دي سوسير مثل (اللّسان والكلام) (الدالّ والمدلول) (التزامنيّة والتعاقبيّة) وكذا اللّسانيّات الجغرافيّة وله فيها إسهام ومشاركة، سواء من حيث اللّهجات وتغيّرها أم من حيث تبيان دور اللّغات في التّأثير في بعضها بسبب الظروف المختلفة.

7. **مصطلح النّحو عند عبد الجليل مرتاض:** يرى الباحث أن مصطلح النّحو يطرح في ذاته إشكالا، ولا يكاد يقتنع بما قدّمه القدماء والمحدثون في ذلك، ولذا نجده يتتبّع معنى هذا المصطلح، فينقل عن الأزهري قوله: «ثبت عن أهل يونان في ما يذكر المترجمون العارفون بلسانهم ولغتهم، أنّهم يسمّون علم الألفاظ والعناية بالبحث فيه نحوا، ويقولون كان فلان من النّحويّين، ولذلك سُمّي يوحنا الإسكندراني؛ يحيى النّحويّ للّذي كان حصل له من المعرفة بلغة اليونانيّين» ويردف: «والنّحو إعراب الكلام العربيّ والنّحو: القصد والطّريق يكون ظرفا ويكون اسما ونحو العربيّة منه» ولعل التّعريف الّذي يجد فيه استئناسا هو تعريف ابن جنّي المشهور بأنّه: «انتحاء سمت كلام العرب» في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتّثنية والجمع والتّكسير والإضافة والنّسب والتّركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس أهل العربيّة بأهلها من الفصاحة فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذّ

بعضهم عنها رُدّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع نحوتُ نحوا، كقولك قصدت قصدا، ثمّ خُصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم... إلخ. ويرى عبد الجليل مرتاض أن هذ المصطلح- مصطلح النّحو- من المصطلحات العربيّة الأصيلة، إلاّ أن الثّابت لديه أنه لم يظهر إلاّ منذ بداية القرن الثّاني الهجري يقول: « بل ممّا لا يدع مجالا للشّكّ أن مصطلحات لسانيّة قديمة، مثل الإعراب- اللّسان، العجمة التّعليم واللّحن. تردّدت العربيّة تردّدا واسعا على شفاه الخاصّة قبل ظهور مصطلح النّحو بعقود من الزمن.

لقد نشأ النّحو نشأة فطريّة شأنه في ذلك شأن سائر العلوم، فكانت ظواهره الأولى تُرصد من قِبل العلماء وتخضع لملاحظاتهم، وفي هذا يقول ابن السراج في الأصول: «النحو علم استخرجه المتقدّمون من استقراء كلام العرب» فقام في النّحو فنّا قبل أن يكون علمًا وأخذت تلك الظّواهر اللّغويّة تبرز شيئا فشيئا، متدرّجة في سيرها نحو الاستقلال بنظريّات وقوانين تضع لهذا العلم حدوده واصطلاحاته المجرّدة، وممّا يستدلّ به عبد الجليل مرتاض على ظهور مصطلح النّحو مع بداية القرن الثّاني للهجرة في ما أورده من أنّ رجلا قال للحسن: «يا أبو سعيد، فقال له: كسبُ الدوانيق شغَلكَ عن أن تقول: يا أبا سعيد» مما جعل المصدر نفسه ينقل لنا أن الحسن قال: «تعلموا الفقه للأديان والطب للأبدان، والنّحو للسان» لكنّ أحمد عوض القوزي في (المصطلح النّحوي) يقول: «وأول ما يلقانا مصطلح النّحو عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ) أول من بعج النّحو ومدّ القياس والعلل فعندما سأله يونس بن حبيب: هل يقول أحد الصّويق؟ بمعنى السّويق قال له نعم؛ عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النّحو يطّرد وينقاس[26]» ويقرّ عبد الجليل مرتاض بأصالة المصطلح النّحوي العربيّ، وينفي تأثّره بالنّحو اليوناني أو المنطق الأرسطي، أو النّحو السّرياني ويرى أنّ أيّ تأثير إذا كان قد لحقه فإنّ ذلك يكون قد حدث في أواخر القرن الثّالث الهجريّ وبداية القرن الرّابع منه، يقول عبد الجليل في ذلك: «إنّ إشارتنا السّابقة لأصالة المصطلح اللّسانيّ عند العرب القدماء لم تكن من باب المزايدة على اللّغة العربيّة ولا المجاملة لأولئك اللّسانيّين الّذين تُغني أعمالهم العلميّة الجادّة والمبتكرة عن أي ضرب من

المجاملة، ولكنها حقيقة علميّة ساطعة ظلّت تنمو وتنضج معنا على الرّغم من بعض الآراء الأجنبيّة، والعربيّة الواهية الّتي تذهب مذهبا مخالفا لاقتناعنا[27]» ويقول أيضا: «... وظهر أن ما يناسب لغةً ليس بالضّرورة أن يناسب هو بعينه لغة أخرى وأنّ ما يُسمّى في هذه اللّغة من مصطلح ربّما لا يكون له أدنى صلة أو حاجة في اللّغة الأخرى[28]» ويضيف موضحا ذلك الرّأي قائلا: «إنّ من يتصفّح المصطلحات الّتي استعملها الرّعيل الأوّل من النّحويين العرب المتقدّمين والّتي سجلها سيبويه بعد وفاة الخليل بن أحمد؛ لا دخيل فيها من المصطلح حتّى الأجنبيّ وهذه المصطلحات الأرسطية المترجمة في فترة لاحقة إلى العربيّة؛ لم تُضف شيئا جوهريّا إلى المصطلح اللّسانيّ العربيّ[29].» إن مشكلة توحيد المصطلح ليست مقصورة على العربيّة فقد صادفتها لغات أخرى، وإذا كانت مصطلحات بعض العلوم قد ثبتت فيها واستقرّت؛ فهناك علوم أخرى- وبخاصة الحديثة- ما تزال مصطلحاتها متعارضة، ولقد أحسّت الجامعة العربيّة بواجبها نحو توحيدها فعُقدت لذلك اللّجان ونُظّمت المؤتمرات.

1- **اقتراح مصطلحات جديدة للنحت:** يقترح عبد الجليل مرتاض أضربًا نحتيّة ذات مصطلحات متقاربة سياقيّا:

أ- من النّحت الأصغر: وهو نحت كلمة من كلمة، مثل: «تمسكن وتمذهب وتمنطق وتمظهر وتمحور وتمنكر، وتمجلس، وتمأتر... من: مسكين، ومذهب ومنطق، ومظهر ومحور ومنكر، ومجلس، ومؤتمر... وسواء تعلّق هذا الصنف من النّحت عن طريق النّحت من مشتق أو كلمات جامدة مثل: تجزأر، وتتونس وتمغرب، وتمصّر، وتمسعد وتأردن... وتفرنس، وتأسبن، وتبرغل (من البرتغال) وتأمرك، وتفتنم... نحتاً من: الجزائر وتونس والمغرب، ومصر، والسعودية والأردن... وفرنسا، وإسبانيا، وأمريكا، والفيتنام... إلخ[30]» بمعنى أن النّحت الأصغر يكون على وزنين: تمفعل وتفعلل، ومن هذين يمكن أن نشتق وهذا النّحت قديم الوجود عند العرب.

ب- من النّحت الصغير: وهو نحت من كلمتين ليس إلاّ، مثل: «الفقلغة والعلمغة والعمدلة والعلسمة، والعلجمة، والعلفكة، والعلفضة... نحتا من: فقه اللّغة

وعلم اللّغة، وعلم الدلالة وعلم السّيمياء، وعلم الجمال، وعلم الفلك، وعلم الفضاء...[31]»

ت- من النّحت الكبير: وهو ضرب يتداخل مع الاشتقاق الصغير عند ابن جنّي إلى حدّ ما لأنّه يعني اشتقاق أفعال على وزن فعلل من النّحتين السّابقين: الأصغر والصّغير، فنقول: «جزأره جزأرة يجزئره، فهو مجزئر، وذاك مجزأر... وبالنسبة لياء النّسب فينبغي أن نميّز بين ما هو منسوب إلى بلد بعينه (هنا مثلا: الجزائر) وما هو منسوب إلى الكلمة المنحوتة (هنا مثلا: الجزأرة)[32]» أي أنّ هناك فرقا بين كون الشّيء جزائريّا، وكونه جزأريّا.

ث- من النّحت الكبّار: هو انتزاع كلمة واحدة من تركيب جديد يزيد على الكلمتين، ويجب أن يُراعى فيه ما أمكن التّوازن والانسجام جريا على المنحوتات الشّائعة القديمة المصنّفة تحت النّحت الأكبر. فـ «(الجمدعة) نحت لجامعة الدّول العربيّة، و(الجزدشة) للجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبية، و(الجمصعة) نحت لجمهورية مصر العربيّة و(المعسدة) نحت للمملكة العربيّة السعودية[33].» وهذه المنحوتات كلّها على وزن فعللة جريا على: حيعلة وبسملة ونحوهما.

خاتمة: لا يمكن الحزم باستقرار المصطلح ما لم تتقيّد التّأليفات الأخرى بمصطلحات ثابتة كما أنّ بعضا من هذه المنحوتات يمجّها الذوق ولا تستسيغها أذن المتلقّي، واجتنابا للّبس الّذي يحصل أثناء البحث عن مدلول الكلمة المنحوتة – في حال عدم ذكر المنحوت منه- فإن الأفضل استعمال اللّفظ الشائع المألوف المتداول بين العامّة.

هذا عن المنحوتات الّتي يقترحها، وفي سياق آخر فإنّ عبد الجليل مرتاض يستسيغ توظيف المصطلحات باللّغة الأجنبيّة (الفرنسيّة) يقول عن هذه الميزة الّتي اتّسم به أسلوبه في ما يكتب: «حتّى إنه لأصبح يحلو لنا أن نميل إلى توظيف بعض المصطلحات الأجنبيّة نفورا من اللّبس، وهروبا من تحمّل مسؤوليّة التعسّف في حقّ هذه اللّغة الشّريفة[34]» ومن أمثلة هذه المصطلحات: (الديالكتولوجيا)[35] (سانتكس)[36] (مومورفولوجيا)[37] و(اللكسيكي)[38] أي المعجميّ، اللاّنقاج (اللّغة) وما دامت هذه المصطلحات لديها مقابلاتها باللّغة العربيّة فلا نرى داعيا للاستغناء عنها

مادامت مضبوطة وموحّدة، وفي مثال اللاّنقاج يصعب التّلفّظ بالحرفين (ga) و(ge) لانعدام هذين الصّوتين في اللّغة العربيّة، ولو كتبها بالحروف اللّاتينيّة لتيسّر للقارئ قراءتها دون صعوبة في النّطق، كما أن مجامع اللغة العربيّة تنصّ على استعمال المصطلحات العربية متى توفّرت مقابلاتها، ثمّ اللّجوء إلى المعرّبة منها، وإذا انعدمت فلا بأس في الالتجاء إلى المصطلح باللّغة الأجنبيّة متى دعا الأمر لذلك.

هوامش البحث:

1- وليد محمّد السراقبي "المصطلح اللسانيّ" ص 2.

2- المرجع نفسه، ص 2.

3- وليد محمّد السراقبي "المصطلح اللسانيّ" ص 2.

4- المرجع نفسه، ص3.

5- المرجع نفسه، ص 5.

6- عبد الجليل مرتاض، الوظائف النّحويّة في مستوى النّصّ، د ط. الجزائر: 2011، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع ص 219.

♣ وحتّى هذه المصطلحات ليست أحاديّة ولا مثاليّة.

♣ تركيبات: ليس بالسّهولة المطلقة تحديد الفرق بين المونيمات والسّانتغمات، على الرّغم من الفوارق الفاصلة بينهما لأنّ هناك بعض التّأليفات اللّغويّة قد تستدعي مستوى آخر أو مدونة أخرى لتمييزها التّمييز السّليم، ففي جملتين باللّغة الفرنسيّة:

ا- Grand homme تعني شهير أو عظيم، وهو مونيم مركّب Syntheme.

ب- Homme grand فهي تعني رجل كبير في العمر وهو تركيب Syntagme

7- المرجع نفسه، ص 91.

8- نحت فقه اللّغة.

9- عبد الجليل مرتاض، الوظائف النّحويّة في مستوى النّصّ، ص 93.

10- المرجع نفسه، ص 93.

11- المرجع نفسه، ص 95.

12- عبد الجليل مرتاض، الوظائف النّحويّة في مستوى النّصّ، ص 96.

13- G. MOUNIN, dictionnaire de la linguistique, presse universitaire de France:1974, p 217.

14- عبد الجليل مرتاض، الوظائف النّحويّة في مستوى النّصّ، ص 96.

15- Jean Dubos, dictionnaire de linguistique, librairie HACHETTE, p321
16- عبد الجليل مرتاض، اللّغة والتواصل: اقترابات لسانية للتواصلين- الشفهي والكتابي، د ط. الجزائر: 2003، دار هومة للطباعة والنشر والتّوزيع، ص 4.
17- المرجع نفسه، ص 4.
18- عبد الجليل مرتاض، الظّـــاهر والمختفي، الجزائر: 2005، ديوان المطبوعات الجامعيّة ص 40.
19- عبد الجليل مرتاض، مفاهيم لسانيّة دي سوسيريّة، ط 1. وهران: 2005، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، ص 34.
20- فردينان دي سوسير، دروس في اللّسانيّات العامّة، ص 161.
21- عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي، ص 51.
22- الزاوي أحمد، إسهامات عبد الجليل مرتاض في توضيح بعض مفاهيم الدّرس اللساني" مجلّة اللّغة والاتصال
الجزائر: 2011، العدد: 11 ص 88- 91.
23- عبد الجليل مرتاض، مفاهيم لسانيّة دي سوسوريّة، ط 1. وهران: 2005، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، ص 10.
24- المرجع نفسه، ص 11.
25- الزاوي أحمد "إسهامات عبد الجليـــل مرتـــاض في توضيح بعض مفاهيم الدّرس اللساني" ص 92.
26- محمّد ساسي محمود، الجهود النّحويّة عند عبد الجليل مرتاض، بحث ماجستير، إشراف: أحمد جلايلي، جامعة ورقلة الجزائر: 2010، ص 52.
27- المرجع نفسه، ص 126.
28-المرجع نفسه، ص 126.
29- المرجع نفسه، ص127.
30- عبد الجليل مرتاض، التهيئة اللّغويّة للنحت في العربيّة، د ط. الجزائر: 2006، دار هومة للنّشر والتّوزيع، ص 85.
31- المرجع نفسه، ص 86.
32- المرجع نفسه، ص 86.
33- المرجع نفسه، ص 87.

34- عبد الجليل مرتاض، مقاربات أوّليّة في علم اللّهجات، ط 2. تلمسان: 2001، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، ص83.

35- المرجع نفسه، ص 83.

36- المرجع نفسه، ص 10. وقد غلب استعمال هذا المصطلح في كتابه: الوظائف النّحويّة في مستوى النّصّ بصفة لافتة للانتباه حتى أنه يعنون الفصول باستخدامه.

37- عبد الجليل مرتاض، مقاربات أوّليّة في علم اللّهجات، ص 10.

38- عبد الجليل مرتاض، الوظائف النّحويّة في مستوى النّصّ، ص 80.

تقرير الورشة الثّانية

اجتمعت لجنة الورشة الثّانية المؤلّفة من الأستاذة الرّئيسة: **حياة خليفاتي** والمقرّر الأستاذ: فاتح مرزوق، وأعضائها؛ وذلك يوم: 2014/12/02.

وضمن فعاليّات الملتقى الوطنيّ الموسوم بـــ: "المصطلح والمصطلحيّة"، الّذي نظّمه مخبر الممارسات اللّغويّة بجامعة مولود معمّري، جرت أعمال الورشة العلميّة الثّانية من السّاعة: 09:30 صباحًا إلى غاية السّاعة: 12 زوالاً.

وقد أسهم في هذه الورشة كلٌّ من:

الأساتـــــذة	الموضـــــــوع
أ.فاتح مرزوق	التّداخل المصطلحيّ بين الدّرس البلاغيّ والتّحليل التّداوليّ؛
أ.حفيظة خالدي	تعريب المصطلح العلميّ بين الحاجة والفاقة
أ.سعاد عباسي	واقع المصطلح العلميّ، وأثره في تعليميّة اللّغة العربيّة
أ.نجوى مغاوي	الدّراسة المصطلحيّة، ومناهجها وخطواتها
أ.كاهنة محيوت	لسانيّات المدوّنة الحاسوبيّة، وصناعة المعجم العربيّ
أ.سعيدة حمداوي	المصطلح وعلم السّرد
أ.مريم سامية قورصو	Traduie de et vers la langue Quelle méthode pour utiliser pour l'analyse des textes de Malek Hadad
أ.خلوات طاوس	مصطلحات عبد الجليل مرتاض اللّسانيّة
أ.لعريط مسعودة	مصطلح الفضاء الروائيّ في المعاجم الغربيّة والعربيّة

وفي أثناء المناقشة والتّداول على الموضوع العام للورشة **(المصطلح العربيّ بين الفاقة والحاجة)**، أجمع المتدخّلون رفع الاقتراحات الآتية:

1- إفراد المصطلح الواحد بترجمة واحدة وقصرها عليه؛

2- استقراء التّراث العربيّ، وبخاصّة ما استعمل منه، أو ما استقرّ منه من مصطلحات علميّة عربيّة صالحة للاستعمال؛

3- إشراك المختصّين في وضع المصطلح والعمل على توحيده من قبل الهيئات والمجامع اللّغويّة؛

4- توفير المعاجم العربيّة الخاصّة العامّة في المدارس على اختلاف مراحلها؛

5- إتّباع خطوات اختبار المصطلح الّتي وضعها مكتب التّنسيق بالرّباط الّذي يشكّل مركز توحيد المصطلح في الوطن العربيّ يتعاون مع المؤسسات الغربيّة وكمنظّمة التّقييس الدّوليّ (الأيزو) والمنظّمة العالميّة للإعلام المصطلحيّ (أنفوترام).

6- العمل على نشر واستعمال المصطلحات عبر وسائل الإعلام والشّابكة؛

7- إنشاء مركز خاصّ بالبحث المصطلحيّ في الجزائر يسهر على جمع المصطلحات في الحقول المعرفيّة المختلفة في كلّ فترة، وفي كلّ مرحلة من مراحل تطوّر اللّغة العربيّة؛

8- إنشاء مرصد آليّ عربيّ في الجزائر تابع للمركز يقوم على تخزين المصطلحات والمعاجم المتخصّصة لها؛

9- العمل على تكريس ملتقى للمصطلح؛ نظرا لأهميّة الموضوع.

توصيات الملتقى:

في اليوم الثالث من ديسمبر 2014م اجتمعت اللّجنة المكونة من السادة الأساتذة:

- فهد خليل سالم الراشد — منظمة الألكسو
- محمد حاج هني — جامعة الشلف
- الصديق بسو — جامعة سطيف1
- مليكة النوي — جامعة باتنة
- الجوهر مودر — جامعة تيزي-وزو

لصياغة توصيات الملتقى الوطني حول (المصطلح والمصطلحية).

وقد تقدمت اللجنة بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لمختبر الممارسات اللغوية في الجزائر، مُمثِّلا لجامعة مولود معمري بتيزي-وزو، على حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة، وقد هنأت القائمين على الملتقى على حسن التنظيم وبراعة التسيير، وكبّرت فيهم هذا الحس الدّؤوب على إقامة مثل هذه الملتقيات التي تجمع ذوي الخبرة، وأهل الاختصاص حول قضايا المصطلح ومعالجة إشكالاته في العصر الراهن.

ولم يَفُتْ لجنة التوصيات أن تثني على البحوث والدراسات المقدمة في هذا الملتقى، والتي أثرت الحقل اللغوي بلا شك، وأسهمت في ترقية واستعمال اللغة العربية، من خلال تنوعها وعمقها، وكان مما خلصت إليه اللجنة ما يلي:

1- الاستفادة من التجارب الناجحة في مجال المصطلح على غرار جهود أكاديمية اللغة الفرنسية.

2- إنشاء هيأة تقييس تهتم بالمصطلحية تعمل على توحيد المصطلحات ونشرها.

3- تحيين مصطلحات الرصيد اللغوي العربي وتوظيفها في المقررات الدراسية المعتمدة.

4- التعاون مع وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها لإشاعة المصطلحات وتوحيدها.

5- استثمار تجربة دولة قطر الرائدة في مشروع إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية في وضع المصطلحات وتأصيلها.

6- ترقية هذا الملتقى إلى ملتقى دولي يعقد دوريا وذلك بالتنسيق مع المجلس الأعلى للغة العربية.

وفي الأخير قدمت اللجنة كل الشكر لصاحب المبادرة وصاحب الدعوة والغيور على اللغة العربية سعادة الأستاذ الدكتور صالح بلعيد.

توصيات الملتقي باللّغة المازيغيّة

إِوْلِيهانَ:

1- أدنسفايذي ڤين ثخذم فرنسا إثُوثليث ثفرنسس

2- أنعرض أدنسنولفوا ثسقموث أريسذُكلن أولن نتوسنا ذِي ثُثليث نتعرپث

3- أنعرض آمك أنر إِجذِذين بولن نتوسنا ذي ثوثليث نتعرپث ذومك أتتسخذم ذي لكُول

4- أنعرض آمك أنمعون أك تلفزيون أكذ ذرديوا (masse média) إوكن أنسلحوا أولن نتوسنا

5- أنعرض آمك أنعذ ثمورث نقطر ڤين ثخذم ذي ڤمول نتاريخ نتعربث

6- آنر أرزث ثمليليث بســڤِن تسمليلث أتتسكنت ثمورا ثــپرانيين إواكن أنولي أشو إخذمنت ثمور ندونيث ذي ثنسرميث

توصيات الملتقى باللغة الفرنسية

Les acte du présent colloque national portant sur le terme et la terminologie, tenu le 2 et 3 décembre 2014 à l'initiative du laboratoire des pratiques langagières – UMMTO – sous la direction du professeur Salah BELAID ; ont abouti aux recommandations suivantes :

1- Tirer profit des expériences réussies dans le domaine du terme à l'instar des efforts de l'académie française.

2- Créer un organisme de standardisation qui veille à l'unification et à la diffusion des termes

3- Mettre à jour les termes du trésor linguistique arabe et les utiliser dans les programmes scolaires tracés et adoptés.

4- Collaborer avec les différents mass- médias en vue de diffuser et unifier les termes.

5- Suivre le modèle pionnier du Qatar, relatif au projet de l'élaboration du dictionnaire historique de la langue arabe en matière de création et d'enracinement des termes.

6- Promouvoir le présent colloque en colloque international qui sera tenu régulièrement en collaboration avec le Haut Conseil de la langue arabe.

Enfin, nous remercions vivement le professeur Salah BELAID pour son initiative et son invitation.

The Laboratory of Language Practices in Algeria.

Recommendations

On December 2nd & 3rd, 2014, the National Conference about "Term and Terminology", organized by the Laboratory of Language Practices in Algeria, has been held at the University Mouloud Mammeri of Tizi Ouzou.

The Commission of Recommendations under the supervision of professor Saleh Belaid, has praised all the researches and studies given during this conference, that have undoubtedly contributed to the enrichment of the linguistic area as well as the promotion of Arabic language use.

The commission then, has drawn the following conclusions :

1) To take advantage from successful experiences, for example following the French Academy model in the domain of terminology.

2) To create an organization that takes charge of the standardization, unification, and spread of terminology.

3) To update the register of Arabic terminology and exploiting it in the adopted scholar programs.

4) To cooperate with different media so as to spread and unify terminology.

5) To invest the leading experience of Qatar in the project of elaborating a Historical Arabic Dictionary, focusing on both terms creation and etymology.

6) To promote this meeting to become an international conference that will be held periodically in coordination with the High Council of Arabic in Algeria.

At last, the commission has expressed its deep gratitude and thanks to Professor Salah Belaid for all his efforts to make this meeting successful.